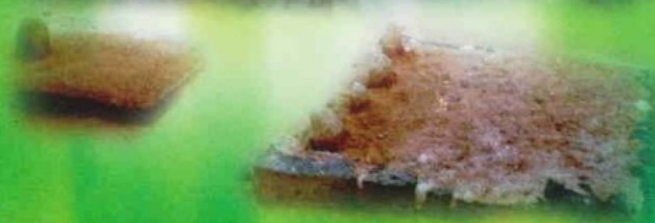


منظومات الشيخ الشيخ

السبط
الأكبر
عليه السلام



السيد عبد الرسول الموسوي الكاظمي



مَطْلُوعَةُ التَّائِيحِ
السَّبِيحَةُ الْأَكْبَرُ

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمركز الثقافي الحسيني في كربلاء المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

يهدى ثواب هذا الكتاب
إلى الروح الطاهرة لسيدتنا ومولاتنا جدة السادة
الأشراف فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها،
وإلى أرواح شهداء العقيدة الحسينية،
وإلى أرواح شيعة أمير المؤمنين عليه السلام
الفاتحة

مُظَلُّوهُمُ التَّائِبِينَ

السَّبِيحُ الْأَكْبَرُ

بقلم

عَبْدُ الرَّسُولِ الْمَوْسَى الْكَاطِمِي

قال رسول الله ﷺ:

«مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ* وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازٌ

عَلَى الصِّرَاطِ* وَالْوِلَايَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ»*

(* القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى:

ج/ ٢، ص/ ١٠٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وامتنان



للدكتورة جمانة
جميل شرارة دام علاها
على رعايتها واهتمامها

وللكوادر المخلصة من خدمة المكتبة العامة للروضتين
الحسينية والعباسية على تهيئتهم لكل ما يمت لهذا الكتاب
بصلة من المصادر اللازمة والأجواء المتاحة خدمة للعلم ونشر
المعرفة.

للسيد محمّد مهدي أديب الموسوي على تصميمه لغلاف
الكتاب فكرة وإبداعاً، لهم من المؤلف خالص التقدير.

ولخادم الحسين عليه السلام الحاج أحمد عبد الجليل الزبيدي
البغدادي كلّ الحب والتقدير على بذله وعطائه لإظهار الكتاب
إلى النور ولولا الزهور ما فاحت العطور.



الإهداء



إلى سماحة مجدّد
العصر ونابغة الدّهر
ومثال الفخر الحاج

السّيد محمّد الحسيني الشّيرازي قدّس سرّه الشّريف، الّذي
كان له فضل الرّيادة وقصب السّبوق، وكان لنا فيه فضيلة
الافتداء، وهو يقود يدنا المرتجفة من مهابة القرطاس.

إلى السّلطان الذي تربّع على عرش التّأليف.

إلى قلمه السّيال، وأدبه المتدفق، وثقافته الوثابة، ونهجه
القويم.. أهدي هذا العمل المتواضع.

تلميذك : أبو أديب الموسوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ

الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

الْكَاذِبِينَ﴾.

آل عمران/ ٦١.



سفن النجا^(١)



قال محمّد بن إدريس
الشّافعي، إمام المذهب
الشّافعي (ت/ ٢٠٤هـ):

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم
ركبتُ على اسم الله في سُفن النّجا
وأمسكتُ حبل الله وهو ولاؤهم
إذا افترت في الدّين سبعون فرقة
ولم يكُ ناجٍ منهم غير فرقة
أفي الفرقة الهلاك آل محمّد
فإن قلت في النّاجين فالقولُ واحد
إذا كان مولى القوم منهم فإني
رضيت عليّاً لي إماماً ونسله
مذاهبهم في أبحر الغيِّ والجهلِ
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرّسلِ
كما قد أمرنا بالتمسُّكِ بالحَبْلِ
ونيفاً على ما جاء في واضح النّقلِ
فقل بها يا ذا الرّجاحةِ والعقلِ
أم الفرقة اللاتي نجت منهم قل لي
وإن قلت في الهلاك حفّت عن العدلِ
رضيتُ بهم لا زال في ظلّهم ظلّي
وأنت من الباقيين في أوسع الحِلِّ

(١) العلامة العجيلي: ذخيرة المآل

صلاة دائمة



اللهم صلى وسلم
وزد وبارك على الحصن
المنيع، ذي الفضل

البديع، والشرف الرفيع، حامي شيعته عن التضييع، وواقهم من شر أعدائهم من الشريف والوضيع، نور الله الأنور وسراجة الأزهر، وارث الحوض والكوثر، صاحب الشفاعة في المحشر، كلمة الله الحسنی، وسره الأعلى، النازل اسمه الشريف من السماء، عن الله ذي العز والالاء، فالحاء شرح كونه من حملة العرش وسر حبه في القلوب، والسین بیان كونه غصن شجرة الولاية، التي إليها كل شيء يؤوب، والنون سر كونه الدوحة الفاطمية الثابتة في الشجرة الأحمدية من مبدأ الغيوب، النور المؤتمن، إمام السر والعلن، كاشف الكرب والمحن، صاحب الجود والمنن، سيدنا ومولانا أبي محمد الحسن، صلاة يصعد أولها ولا ينفذ آخرها يا أرحم الراحمين.



المقدمة



الحمد لله وكفى،
والصلاة والسلام على
النبي المصطفى، وآله

مصاييح الدّجى، وسفن النّجا، والحجّج الواضحة لأهل
الحجى، وبعد: بين يدي القارئ العزيز كتابي الذي يحمل
عنوان:

مظلوم التاريخ السّبط الأكبر، وبين دفتيه مجموعة من
الفصول، انتشرت في صفحاتها صفحات مضيئة من تأريخ
هذا الإمام الرّاشد المظلوم، الذي ظلمته أمة جدّه محمد ﷺ
وأذاقته الأمرين وأسلمته لطاغية زمانه العاهر الطّليق وابن
الطّلقاء «معاوية»!

ولا أريد بهذه المقدمة أن أسلب القارئ متعة التّجوال
في الكتاب ومطالعة فصوله التّاريخية، بل أن يتنقل براحته في
حياة إمامه الخليفة الثّاني بالحق أبي محمّد الحسن بن
علي عليه السلام، ويتحرى الحقيقة التي خفيت عليه، بل الكثير من
الحقائق المتوارية عن أذهان المسلمين!

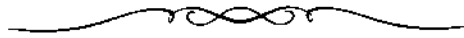
وأسأل الله العليّ القدير أن يتقبل هذا العمل الذي هو
إحياء لأمر آل محمد صلوات الله عليهم، وإظهار مظلوميّتهم
على الملأ، لاسيّما ما بطن منها وما أخفته يد الأعداء على مرّ
القرون، ومن الله نستمد التوفيق وقبول الأعمال، والتّسديد
في القول والعمل، إنّه سميع مجيب.

وكتب المحتاج لعفو الله وغفرانه

عبد الرسول الموسوي الكاظمي

من حاضرة جبل عامل في الجنوب اللبناني «بنت جبيل»

١١/ شعبان المعظم / ١٤٣٤ هـ



البطاقة الشخصية



لا أقل من أن يكون هو
سلام الله عليه أوحدياً من
المسلمين، وأحد حملة القرآن

الحكيم، وممن أسلم وجهه لله وهو محسن، يحمل بين أضالعه علوم
الشريعة، ومغازي الكتاب والسنة، والملكات الفاضلة جمعاء، وهو القدوة
والأسوة في مكارم الأخلاق، ومعالم الإسلام المقدس، فمن المحظور في
الدين الحنيف النيل منه، والوقية فيه، وإيذائه، ومحاربتة، على ما جاء لهذا
النوع من المسلمين من الحدود في شريعة الله، فله ما للمسلمين وعليه ما
عليهم.

أضف إلى ذلك: إنه صحابي جليل مبجل ليس في أعيان الصحابة بعد
أبيه الطاهر من يمثله ويساجله، ودون مقامه الرفيع ما للصحابة عند طوائف
المسلمين من العدالة والشأن الكبير وأعظم فضائله: إنه ليس بين لاتبتي العالم
من يستحق الإمامة والافتداء به واحتذاء مثاله يومئذ غيره، لفضله وقرابته، فهو
أولى صحابي ثبت له ما أثبتوه لهم من الأحكام، فلا يجوز منافرتة والصد عنه،
والإعراض عن آرائه وأقواله، وارتكاب مخالفته، وما يجلب الأذى إليه، من
السب له، والهتك لمقامه، واستصغار أمره.

زد عليه: أنه سبط رسول الله ﷺ، وبضعته من كريمته سيدة نساء العالمين صلوات الله وسلامه عليها، لحمه من لحمه، ودمه من دمه، فيجب على معتنقي تلك النبوة الخاتمة حفظ صاحب الرسالة فيه، والحصول على مرضاته، وهو لا يرضى إلا بالحق الصراح والدين الخالص.

وهو ﷺ قبل هذه كلها: أحد أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١).

وهو أحد من أثنى عليهم الله بسورة هل أتى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢).

وهو من ذوي قربي رسول الله ﷺ، الذين أوجب الله مودتهم وجعلها أجر الرسالة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣).

وهو أحد من باهل بهم رسول الله ﷺ نصارى نجران في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

وهو أحد الثقلين اللذين خلفهما الرسول الأعظم ﷺ بين أمته ليقتدى بهم وقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) الإنسان / ٨.

(٣) الشورى / ٢٣.

(٤) آل عمران / ٦١.

تخلفوني فيهما»^(١).

وهو من أهل بيت مثلهم في الأمة: «مثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق، أو هلك، أو هوى» والعبارات شتى^(٢).

وهو من الذين أوجب الله الصلاة عليهم في الفرائض، ومن لم يصل عليهم لا صلاة له، وهو أحد من خاطبهم النبي ﷺ بقوله: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»^(٣).

وهو أحد أهل خيمة خيمها رسول الله ﷺ فقال: «معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلى سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة»^(٤).

وهو أحد ريحانتي رسول الله ﷺ، كان يشمهما ويضمهما إليه^(٥).

وهو وأخوه الطاهر: «سيدا شباب أهل الجنة»^(٦).

(١) صحيح مسلم: ج / ٥ / ص / ٢٦، ح / ٢٤٠٨، سنن الترمذي: ج / ٥ / ص / ٦٦٣، ح / ٢٧٨٨، المستدرک على الصحیحین: ج / ٢ / ص / ١٤٨، الصواعق المحرقة: ص / ١٢٦.

(٢) أحمد بن حنبل في المسند: ج / ٢ / ص / ٤ و ١٧ و ٢٦، الحافظ أبو نعيم، حلية الأولياء: ج / ٤ / ص / ٣٠٦، ومصادر الحديث تربو على العشرين مصدراً وطريقاً.

(٣) ابن ماجة القزويني، السنن: ج / ١ / ص / ٥٢، ح / ١٤٥.

(٤) محب الدين الطبري: الرياض النضرة: ج / ٢ / ص / ١٨٩.

(٥) البيهقي، السنن الكبرى: ج / ٥ / ص / ١٥٠، ح / ٨٥٢٩.

(٦) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحیحین: ج / ٣ / ص / ١٦٧، وسنن ابن ماجة القزويني: ج / ١ / ص / ٤٤، ح / ١١٨، الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ج / ١ / ص / ١٣٨.

وحبيب رسول الله ﷺ، كان يأمر بحبه قائلاً: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه»^(١).

وهو أحد السبطين كان جدّهما ﷺ يأخذهما على عاتقه ويقول: «من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٢).

وهو أحد اللذين أخذ رسول الله ﷺ بيدهما فقال: «من أحبّني وأحبّ هاذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٣).

وهو أحد ابني رسول الله كان يقول ﷺ: «الحسن والحسين ابناي من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»^(٤).

نعم، هذا هو الإمام الحسن عليه السلام.

أبوه: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

جدّه: محمّد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، خاتم النبيين وسيدهم ﷺ.

جدّته: خديجة الكبرى عليها السلام أم المؤمنين وأول امرأة في هذه الأمة إسلاماً.

عمّه: جعفر عليه السلام الطيار في الجنان مع الملائكة.

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب: ج / ١، ص / ٢٩٧ - ٢٩٨، وابن أبي شيبة في المصنف: ج / ٧، ص / ٥١٤.

(٢) الحاكم في المستدرک على الصحیحین: ج / ٣، ص / ١٦٦.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص / ١١٧، باب / ١٤، ح / ١٣.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير: ج / ٦، ص / ٢٤١، الفتح النيسابوري، روضة الواعظين: ص / ١٦٦، الشيخ المفيد، الإرشاد: ج / ٢، ص / ٢٨.

عم أبيه: حمزة بن عبد المطلب عليه السلام أسد الله وأسد رسوله عليه السلام.

جدّه من أبيه: أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش وناصر رسول الله عليه السلام.

جدّ جدّه: عبد المطلب عليه السلام شبيهة الحمد وسيد البطحاء.

جدّه الأعلى: هاشم عليه السلام سيد قريش ومطعم الحجيج وهاشم الثريد.

وفي الرواية عن الحبيب المصطفى عليه السلام في خبر طويل: فنادى رسول الله عليه السلام في المدينة فاجتمع الناس عند رسول الله عليه السلام في المسجد، فقام على قدميه، فقال: «يا معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟».

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الحسن والحسين فإنّ جدّهما محمّد، وجدّتهما خديجة بنت خويلد، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس أمّا وأباً؟».

فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الحسن والحسين، فإنّ أباهما يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله، يا معشر الناس: ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟».

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الحسن والحسين، فإنّ عمّهما جعفر الطيّار في الجنة مع الملائكة، وعمّتهما أمّ هاني بنت أبي طالب، يا معشر الناس: ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟».

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الحسن والحسين، فإنّ خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله»، ثمّ قال بيده هكذا: «يحشرنا»، ثمّ قال: «اللّهم إنك تعلم أنّ الحسن في الجنة والحسين في

الجنة وجدّيهما في الجنة وأباهما في الجنة، وعمّهما وعمّتهما في الجنة
وخالهما وخالتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يحبّهما في الجنة ومن
يبغضهما في النار»^(١).

كنيته الشريفة: أبو محمّد، كناه به رسول الله ﷺ، وقيل: أبو
القاسم^(٢).

ألقابه ﷺ الطاهرة كثيرة، منها:

المجتبى، السبط، سيد شباب أهل الجنة، ريحانة المصطفى، التقي،
الزكي، الولي، الوزير، القائم، الحجة، الأمين، البرّ، الأثير، الزاهد^(٣).



(١) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص / ١٢١ - ١٢٢، مجلس ذكر فضائل أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

(٢) راجع: الطّبري، دلائل الإمامة: ص / ١٦٣، كنى الإمام الحسن عليه السلام، ابن
شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٩٢، باب إمامة أبي محمّد
الحسن بن علي عليه السلام، محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ج / ٤٤، ص / ١٢٥،
باب / ٢٢، ج / ٢، الحسين بن حمدان الخصبي، الهداية الكبرى: ص / ١٨٣،
قال: «وكناه العامة أبو محمّد، وعند الخاصة أبو القاسم، لأنّه كني بابنه المستشهد
بكر بلا».

(٣) المصادر السابقة.

الفصل الأول

- ولادته المباركة
- من آداب المولود في الإسلام
- الإمام الحسن من شجرة الجنة
- التصوص على إمامته
- دلالة إمامته
- الإمام السبط في القرآن الحكيم
- السبط الأكبر في أحاديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله

قال المحقق الأصولي الشيخ محمد حسين الكمباني الكاظمي
الأصفهاني قدس سره:

نور الهدى من أفق الحق بدا
والنير الأعظم نورُه خبا
وكيف لا ونورٌ وجهه المضيءُ
والمثل الأعلى لنور النورِ
ونوره القاهرُ للأنوارِ
وادي طوى بنوره اشتتارا
ومن سناه خرّ موسى صعقاً
كيف وهذا النير الإلهي
وذاته لطيفةٌ قدسيّةٌ
وما الحروفُ العالياتُ إلا
أوهو رمز الغيب والشهودِ
بل ذاته نُقطةٌ بآءِ البسملةِ
أصل الوجود غاية الإيجادِ
بل هو في مقامه الكريمِ
فأشرقَت به معالم الهدى
مُدَّ أشرق الكون بنور المجتبي
زيتونةٌ يكادُ زيتها يُضيءُ
فليس أجلى منه في الظهورِ
يكادُ أن يذهبَ بالأبصارِ
ومنهُ آنس الكلبيُّ نارا
واندكَّ منه الطور لما أشرقا
مثالٌ من ليس له التناهي
رقيقةٌ الحقائقِ العلويّةِ
أسماءُ الغرِّ إذا تجلّى
فاتحة الكتاب في الوجودِ
ومُجمَلُ الحقائقِ المُفضّلةِ
جَلَّ عن الأشباهِ والأندادِ
رابطةٌ الحادِثِ والقَدِيمِ

وفي محيط الكون والمكان
 ومبدء الخير ومنتهى الكرم
 سرُّ الوجودِ في مُحيّاهُ عَلَنُ
 غُرَّتُهُ مَطْلَعُ أَنْوَارِ الْأَزَلِ
 وفي مظاهر الوجودِ لَنْ تَرَى
 أَعْظَمُ مَظْهَرٍ لِأَجْلَى ظَاهِرٍ
 يُهْنِكُ يَا أَبَا الْوَلَاةِ السَّادَةِ
 بِمَنْ تَسَامَى شَرْفًا وَمَجْدًا
 رِيحَانَةُ الطُّهْرِ وَرَوْحُ الطَّاهِرَةِ
 إِنْسَانُ عَيْنِ عَالِمِ الْإِمْكَانِ
 جَامِعُ شَمْلِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ
 وَارِثُ سَيِّدِ الْوُجُودِ مَنْ دَنَى
 فَازَ وَجَارَ مِنْ مَقَامِ الْعِظْمَةِ
 بَلْ هُوَ مِنْهُ مِثْلُ نُورِ الْبَاصِرَةِ
 بَابُ الْهُدَى وَبَيْتُهُ الْمَعْمُورُ
 قِبْلَةُ كُلِّ عَارِفٍ رَبَّانِي
 وَبَيْتُهُ الْمَنِيعُ مِحْوَرُ الْفَلَكَ
 مَا الْعَرْشُ مَا الْكُرْسِيُّ مَا الضُّرَّاحُ
 بَلْ هُوَ بَابُ حِطَّةِ الذُّنُوبِ

واسطة الوجودِ والإمكانِ
 ومصدرُ الوجودِ من كَتَمِ الْعَدَمِ
 فَتَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ وَجْهَهُ الْحَسَنُ
 فَلَا يَزَالُ نَوْرُهَا وَلَمْ يَزَلْ
 أَعْظَمَ مِنْهُ مَظْهَرًا وَمَنْظَرًا
 بِهِ ظُهُورُ سَائِرِ الْمَظَاهِرِ
 وَقَادَةُ الْخَلْقِ إِلَى السَّعَادَةِ
 أَحَا وَأُمَّا وَأَبَا وَجَدَا
 قَلْبُ الْهُدَى عَقْلُ الْعُقُولِ الْقَاهِرَةِ
 وَبَهْجَةُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ
 وَالْفَرْدُ فِي الْخَلْقَةِ وَالْخَلِيقَةِ
 مِنْ رَبِّهِ فَنَالَ غَايَةَ الْمُنَى
 كُلُّ فَضِيلَةٍ وَكُلُّ مَكْرَمَةٍ
 وَعَنْ مَعَالِيهِ الْمَعَانِي قَاصِرَةٌ
 مَنْ بِسَنَاهُ يَنْجَلِي الدِّيَجُورُ
 وَمُسْتَجَارُ كَعْبَةِ الْأَمَانِي
 وَبَابُهُ الرَّفِيعُ مَرَكزُ الْمَلِكِ
 بِبَابِهِ النَّجَاحُ وَالْفَلَاحُ
 وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغُيُوبِ

بَابُ التَّجَلِّيَاتِ بِالمَجْلَى الأَتَمِّ
 عَلَى أَسَاسِ العَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ
 بِوَاحِدِ الدَّهْرِ بِغَيْرِ ثَانِي
 وَمَنْ حَوَى بِدَايِعِ المَعَانِي
 سُبْحَانَ مَنْ أْبَدَعَهُ وَأَتَقَنَهُ
 وَفَرَعَهُ جَوَاهِرُ العُقُولِ
 وَجَنَّةُ الخُلْدِ مِثَالُ وَجَنَّتِهِ
 حَقًّا وَصِدْقًا مُنِيَّةُ الخَلِيلِ
 قُطُوفُهَا دَانِيَّةٌ مَدَى الزَّمَنِ
 أَكْرَمُ بِهَذَا الثَّمَرِ الجَنِيِّ
 وَطَابَتِ الأَرْضُ بِطَيْبِ مَحْتَدِهِ
 يَا لَيْتَ غَابَ عَالِمَ الإِبْدَاعِ
 كِفَاهُ فَضلاً لَوْ نَظَرْتَ جَيْداً
 فِي مَلَكُوتِ الغَيْبِ وَالسُّهَادَةِ
 سُودَدُهُ وَعِلْمُهُ وَحِلْمُهُ
 جَرَتْ بِنَابِعِ العُلُومِ وَالحِكْمِ
 فِي لَوْحَةِ التَّشْرِيعِ وَالتَّكْوِينِ
 وَالأَمْرِ مِنْهُ أَمْرُ بَارِي النِّسَمِ

بَابُ جَوَامِعِ العُلُومِ وَالحِكْمِ
 بِنَاهُ بِالحَقِّ يَدُ التَّأْيِيدِ
 بِشِرَاكٍ يَا حَقِيقَةَ المَثَانِي
 بِالحَسَنِ المَنْطِقِ وَاليَّانِ
 مَنْ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَاتَّمَنَّهُ
 وَأَصْلُهُ مُؤَصَّلُ الأَصُولِ
 وَآيَةُ النُّورِ جَمَالُ غُرَّتِهِ
 لِلسَّانِ صِدْقِهِ بِكُلِّ قَيْلٍ
 وَرَوْضَةُ الدِّينِ بِوَجْهِهِ الحَسَنِ
 زَكَّتْ ثَمَارُ العِلْمِ بِالزَّكِيِّ
 وَاهْتَزَّتِ السَّبْعُ العُلَى لِمَوْلِدِهِ
 لَكَ الهَنَاءُ بِالسَّيِّدِ المُطَاعِ
 سَمَاءُ سَيِّدِ البَرَايَا سَيِّداً
 فَهَوَلَهُ السُّمُوءُ وَالسِّيَادَةُ
 أَعْطَاهُ جَسَدُهُ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ
 مِنْ رَشْحَاتِ بَحْرِ عِلْمِهِ الخِضْمِ
 هُوَ الكِتَابُ المَحْكَمُ المُبِينُ
 بِأَمْرِهِ جَرَى بِمَا جَرَى القَلَمُ

ولادته المباركة ﷺ



في الرواية عن الشيخ
المفيد، والشيخ الأربلي قدس
سرهما: إن الإمام الحسن

المجتبى عليه السلام، ولد في المدينة المنورة على ساكنيها أفضل الصلاة
والسلام، يوم الثلاثاء في النصف من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة
من الهجرة الشريفة^(١).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «تزوج علي فاطمة عليها السلام في شهر
رمضان، وبنى بها في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة»^(٢).

وكان الحسن عليه السلام في ولادته - مثل ولادة جدّه وأبيه عليه السلام - طاهراً
مطهراً، يسبح ويهتله حال الولادة ويقرأ القرآن، وكان جبرائيل عليه السلام يناغيه
في مهده.

وروي أنه لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن عليه السلام خرج النبي ﷺ في
بعض وجوهه فقال لها: «إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرائيل، فلا
ترضعيه حتى أصير إليك»^(٣).

(١) الإرشاد: ج / ٢، ص / ٥، كشف الغمة: ج / ٢، ص / ١٣٧.

(٢) الشيخ المفيد، مسار الشيعة: ص / ٣٦.

(٣) السيد هاشم البحراني، مدينة المعاجز: ج / ٣، ص / ٤٩٣، باب / ٣، فصل / ٤٧،

وفي اليوم السابع لولادته المباركة جاءت به أمه الزهراء عليها السلام إلى أبيها الرسول ﷺ ملفوفاً بقطعة حرير جاء بها جبرائيل إلى رسول الله ﷺ من الجنة، فسمّاه حسناً وعق عنه كبشاً^(١).

شمائله المباركة:

كان صلوات الله وسلامه عليه: أبيض مشرباً حمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، دقيق المسربة، كثّ اللحية، ذا وفرة، وكأنّ عنقه إبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا القصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسّواد، وكان جعد الشعر، حسن البدن^(٢).

أو كما قال الشاعر:

ما دبّ في فطن الأوهام من حسنٍ إلا وكان له الحظّ الخصوصيُّ
 كأنّ جبهته من تحت طُرتِه بدر يُتوجّه الليل البهيميُّ
 قد حلّ عن طيب أهل الأرض عنبره ومسكه فهو الطيبُ السّماويُّ^(٣)

بمن كان شبيهاً ﷺ:

قال الإمام الحسن ﷺ في معرض حديثه عن الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٤): «صوّر الله عز وجلّ علي بن أبي طالب ﷺ على صورة محمّد ﷺ فكان علي بن أبي طالب ﷺ أشبه

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ج / ٤، ص / ٥، علي بن يوسف الحلبي،

العدد القوية: ص / ٢٩، العلامة الطبرسي، تاج المواليد: ص / ٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج / ٤٢، ص / ٢٥٥ و ٣٠٣، الدولابي، الذرية الطاهرة: ص / ٨٤.

(٣) راضي آل ياسين، صلح الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٦ - ٢٧.

(٤) الانقطار / ٨.

النَّاس برسول الله ﷺ، وكان الحسين بن علي ؑ أشبه النَّاس بفاطمة ؑ وكنت أنا أشبه النَّاس بخديجة الكبرى ؑ»^(١).

من اختار له الاسم ؟

إنَّ اسم الحسن لم يكن يعرف من قبل، وقد ادَّخره الله للإمام الحسن ؑ، ففي الرواية عن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين ؑ عن أبيه ؑ قال: «لما ولدت فاطمة ؑ الحسن ؑ قالت لعلي ؑ: سمَّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: هل سمَّيته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه».

فقال ﷺ: وما كنت لأسبق باسمه ربي عزَّ وجلَّ.

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل أنه قد ولد لمحمَّد ابن، فاهبط إليه فأقرئه السَّلام وهنَّئه وقل له: إنَّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسَمَّه باسم ابن هارون، فهبط جبرائيل ؑ فهنَّاه من الله عزَّ وجلَّ ثمَّ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى يأمرُك أن تسمِّيه باسم ابن هارون، قال: وما كان اسمه؟ قال: سُبِّر، قال: لساني عربي، قال: سمَّه الحسن، فسَمَّاه الحسن^(٢).

ربَّ العزة والجلالة مهنتاً:

وروي أنَّه أوحى الله عزَّ ذكره إلى جبرائيل ؑ: «إنَّه قد ولد لمحمَّد ﷺ ابن فاهبط إليه فأقرئه السَّلام وهنَّئه مني ومنك...» فهبط جبرائيل على النَّبي ﷺ وهنَّاه من الله عزَّ وجلَّ ومنه^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٥، العروسي الحويزي، تفسير نور الثَّقَلين: ج / ٥، ص / ٥٢٢.

(٢) الحر العاملي، الجواهر السَّنية: ص / ٢٣٨ - ٢٣٩، باب / ١٢.

(٣) السَّيد هاشم البحراني، غاية المراد: ج / ٢، ص / ١١٤، باب / ٢١، ح / .

من آداب المولود في الإسلام



أولاً: يستحب في حق
المولود أن يُسمى باسم حَسَنٍ،
وقد اختار الله عزَّ وجلَّ

ورسوله اسم «الحسن» لهذا المولود الطَّاهر، فإنَّ الحسن والحسين اسمان
من أسامي أهل الجنة ولم يكونا في الدُّنيا، ذكروا أنَّ الله عزَّ وجلَّ حجب
هذين الاسمين عن الخلق حتَّى يسمي بهما ابنا فاطمة عليها السلام فإنه لا يعرف أنَّ
أحدًا من العرب تسمي بهما في قديم الأيام إلى عصرهما، لا من ولد نزار
ولا اليمن مع سعة أفخاذهما^(١).

قال الرسول الأعظم ﷺ: «سُمِّي الحسن حسناً لأنَّ بإحسان الله
قامت السَّموات والأرضون، واشتقَّ الحسين من الإحسان، وعلي والحسن
اسمان من أسماء الله تعالى، والحسين تصغير الحسن»^(٢).

ثانياً: ويستحب في حق المولود أن يُعقَّ عنه.

ففي الرواية عن الشيخ محمد بن يعقوب الكليني أنه قال الإمام
الصَّادق عليه السلام: «عَقَّ رسول الله ﷺ عن الحسن بيده وقال: باسم الله عقيقة

(١) الإمام محمد الشيرازي، من حياة الإمام الحسن عليه السلام، ص / ١٣.

(٢) راجع: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٦٦، باب / إمامة
السَّبطين عليهما السلام.

عن الحسن، وقال: اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه،
وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاءً لمحمد وآله^(١).

ثم أعطى رسول الله ﷺ القابلة فخذاً وديناراً.

وقد استدل فقهاؤنا على فعل النبي الكريم ﷺ بأنها سنة نبوية في حق
الحسن ومن بعده في حق الحسين عليه السلام، وكذلك استدل فقهاء المذاهب
الإسلامية، منهم الإمام الشافعي حيث قال: «العقيقة سنة، وهو ما يذبح عن
المولود، لما روى بُريد أن النبي ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين»^(٢).

والإمام أحمد بن حنبل قال: «العقيقة سنة عن رسول الله ﷺ وقد
عَقَّ عن الحسن والحسين»^(٣).

ثالثاً: ويستحب في حق المولود أن يحلق رأسه ويتصدق بوزن شعره
فضة، ويستحب أن يكون ذلك في اليوم السابع من ولادته.

وروى العلامة محمد باقر المجلسي قدس سره، أن رسول الله ﷺ
حلق رأس الحسن عليه السلام، أو أمر بحلقه، وأن يتصدق بزنة شعره فضة،
ففعلت فاطمة عليها السلام ذلك فكان وزنه درهماً وشيئاً، فتصدقت به^(٤).

رابعاً: ويستحب في حق المولود أن يلف في ثوب أبيض، ويكره في
الأصفر.

(١) الكافي: ج / ٦، ص / ٢٢، باب / أن رسول الله وفاطمة عَقَّا عن الحسن والحسين
عليهم صلوات الله. ح / ١.

(٢) النّووي في المجموع: ج / ٨، ص / ٤٦٦.

(٣) ابن قدامة في المغني.

(٤) بحار الأنوار: ج / ٤٢، ص / ٢٥٥، باب / ١١، ح / ٢٣، والأريلي في كشف الغمة:
ج / ٢، ص / ١٤١، باب في تسميته وكنيته وألقابه.

ففي الرواية عن زيد الشهيد عليه السلام عن أبيه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قال: «لما ولدت فاطمة عليها السلام الحسن عليه السلام، قالت لعلي عليه السلام: سمّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في خرقة صفراء؟ ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلقه فيها»^(١).

خامساً: مما يستحب في حق المولود أن يؤذن في أذنه اليمنى، ويُقام في أذنه اليسرى.

وفي الرواية عن القتال النيسابوري قدس سرّه، عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث عن ولادة الإمام الحسن عليه السلام قال: «فأذن النبي ﷺ في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى»^(٢).

سادساً: مما يستحب في حق المولود أن يعوذ بالمعوذتين «سورة الفلق والناس» والأدعية المأثورة، وهكذا بالنسبة إلى كلّ طفل بل إلى كلّ إنسان.

وروى الكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «رقا النبي ﷺ حسناً وحسيناً» فقال: «أعيدكما بكلمات الله التامة وأسمائه الحسنى كلّها عامة، من شر السامة والهامة ومن شر كلّ عين لامة، ومن حاسد إذا حسد» ثمّ التفت النبي ﷺ إلينا فقال: «هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام»^(٣).

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي: ص/ ١٩٧، المجلس/ ٢٨، ح/ ٣.

(٢) روضة الواعظين: ص/ ١٥٣، مجلس في ذكر ولادة السبطين عليهما السلام.

(٣) الكافي: ج/ ٢، ص/ ٥٦٩، باب/ الحرز والمعوذة، ح/ ٣.

سابعاً: مما يستحب في حق المولود أن يقبله الوالدان، فإن إظهار المحبة للطفل والعطف عليه والحنان إليه مستحب.

وروى ابن شهر آشوب قدس سره، أنه كان رسول الله ﷺ يقبل الحسن والحسين فقال أحدهم: إن لي عشرة ما قبلت واحداً منهم قط! فقال ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم»^(١).

وقال القاضي نعمان المغربي: إن رسول الله ﷺ، غضب حتى التمع لونه وقال للرجل: «إن كان الله عز وجل قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك؟ من لم يرحم صغيرنا ويعزز كبيرنا فليس منا»^(٢).

وعن الحارث بن ربيعي، أبو قتادة الأنصاري: إن النبي ﷺ قبل الحسن وهو يصلي^(٣).

ثامناً: مما يلزم في حق المولود أن يربيّه الوالدان تربية حسنة، وقد تربي الإمام السبط المجتبي ﷺ في أفضل بيت، بيت علي وفاطمة ﷺ، ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(٤).

وقد روي أن رسول الله ﷺ أنه قال في تفسير هذه الآية: «هي بيوت الأنبياء»، فقال أبو بكر: هذا منها [يعني بيت علي بن أبي طالب ﷺ]؟ فقال له النبي ﷺ: «هذا من أفضلها»^(٥).

وتغذى الإمام الحسن ﷺ من جدّه رسول الله ﷺ، فعن جابر بن

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٥٥، باب / إمامة السبطين ﷺ.

(٢) شرح الأخبار: ج / ٣، ص / ١١٦، ح / ١٠٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٢٩٥، باب / ١٢، ح / ٥٦.

(٤) سورة النور / ٣٦، انظر: تفسير فرات الكوفي: ص / ٢٨٦ - ٢٨٧، ح / ٢٨٦.

(٥) سورة النور / ٣٦، انظر: تفسير فرات الكوفي: ص / ٢٨٦ - ٢٨٧، ح / ٢٨٦.

عبد الله قال: لما حملت فاطمة بالحسن عليه السلام فولدت.. جاء النبي ﷺ فأخذه وقبله وأدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السلام يمصه^(١).

وروى الشيخ المفيد قدس سره، بإسناده عن جابر الأنصاري رضوان الله عليه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ أخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: «إن ابني هذين ريبتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله تعالى لهما ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهرين زكيين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأمة على محبتتهما فقال: يا محمد إني قضيت قضاءً وقدّرت قدراً، وأن طائفة من أمتك ستفي لك بدمتك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون ذمتك في ولدك، وإني أوجبْتُ على نفسي لمن فعل ذلك أن لا أحلّه محل كرامتي، ولا أسكنه جنتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة»^(٢).

وكانت فاطمة عليها السلام تلعب ابناً الحسن عليه السلام وتقول:

أشبهه أباك يا حسنُ واخلع من الحق الرّسن
واعبد إلهاً ذا منن ولا تُوالِ ذا الأحن^(٣)

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي مرضع فاطمة عليها السلام فيتغل في أفواههم ويقول لفاطمة عليها السلام: لا ترضعيهم!»^(٤).

(١) معاني الأخبار: ص / ٥٧، باب / معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام، ح / ٦.

(٢) الأمالي: ص / ٧٩، المجلس / ٩، ح / ٣.

(٣) عبد الله البحراني، عوالم العلوم: الإمام الحسين عليه السلام: ص / ٢٩، باب حليته وشمائله، ح / ٢.

(٤) قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح: ج / ١، ص / ٩٤، ح / ١٥٥.

وعن العلامة المجلسي قدس سرّه روى عن رجل من أهل الكوفة قال:
إنّ الحسن بن علي ﷺ، كلم رجلاً، فقال: «من أي بلد أنت؟»

قال: من الكوفة، قال: «لو كنت بالمدينة لأريتك منازل جبرائيل ﷺ
من ديارنا!»^(١).

وهكذا تربى الإمام الحسن السبط ﷺ في بيت النبوة ومهبط الوحي،
والإمامة.

الإمام الحسن عليه السلام من شجرة الجنة



روى العلامة الطريحي
قدّس سرّه عن عروة بن أبي
الجعد البارقي الأزدي، أو

الأسدي، قال: حججتُ في بعض السنين، فدخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدتُ رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وحوله غلامان يافعان وهو يقبل هذا مرّة وهذا أخرى، فإذا رآه الناس يفعل ذلك أمسكوا عن كلامهم حتّى يقضي وطره منهما، وما يعرفون لأي سببٍ حبه إياهما؟

فجئته وهو يفعل ذلك بهما، فقلت: يا رسول الله هذان ابناك؟

فقال: «إنهما ابنا ابنتي وابنا أخي وابن عمي وأحب الرجال إليّ ومن هو سمعي وبصري، ومن نفسه نفسي ونفسي نفسه، ومن أحزن لحزنه ويحزن لحزني».

فقلت له: قد عجبْتُ يا رسول الله من فعلك بهما وحبك لهما!

فقال لي: أحدثك أيها الرجل: إنّي لما عرج بي إلى السّماء ودخلتُ الجنة، انتهيت إلى شجرة في رياض الجنة، فعجبت من طيب رائحتها، فقال لي جبرائيل: يا محمّد لا تعجب من هذه الشّجرة فثمرها أطيب من ريحها، فجعل جبرائيل يتحفني من ثمرها ويطعمني من فاكهتها وأنا لا أملّ

منها، ثم مررنا بشجرة أخرى فقال لي جبرائيل: يا محمد كل من هذه الشجرة فإنها تشبه الشجرة التي أكلت منها الثمر فهي أطيب طعماً وأزكى رائحة، قال: فجعل جبرائيل يتحفني بثمرها ويشمني من رائحتها وأنا لا أمل منها، فقلت: يا أخي جبرائيل ما رأيت في الأشجار أطيب ولا أحسن من هاتين الشجرتين؟ فقال لي: يا محمد أتدري ما اسم هاتين الشجرتين؟ فقلت: لا أدري، فقال: إحداهما الحسن، والأخرى الحسين، فإذا هبطت يا محمد إلى الأرض من فورك فأت زوجتك خديجة وواقعها من وقتك وساعتك فإنه يخرج منك طيب رائحة الثمر الذي أكلته من هاتين الشجرتين فتلدك فاطمة الزهراء، ثم زوجها أخاك علياً فتلد له ابين فسم أحدهما الحسن والآخر الحسين، قال رسول الله ﷺ: «فعلت ما أمرني أخي جبرائيل فكان الأمر ما كان، فنزل إليّ جبرائيل بعدما ولد الحسن والحسين، فقلت له: يا جبرائيل، ما أشوقني إلى تينك الشجرتين، فقال لي: يا محمد، إذا اشتقت إلى الأكل من ثمرة تينك الشجرتين، فشم الحسن والحسين»، قال: فجعل النبي ﷺ كلما اشتاق إلى الشجرتين يشم الحسن والحسين ﷺ ويقول: «يا أصحابي إنني أود أن أقاسمهما حياتي لحبي لهما فهما ريحانتي من الدنيا، فتعجب الرجل من وصف النبي ﷺ للحسن والحسين ﷺ...»^(١).

في اليوم الواحد
والعشرين من شهر رمضان
المبارك سنة أربعين من



التصوص على إمامته ﷺ

الهجرة يوم رحيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الملاء الأعلى، ببيع الإمام الحسن عليه السلام خليفة للمسلمين^(١).

ولكن التصوص على إمامة الحسن عليه السلام كثيرة متواترة، وقد صرح بإمامته رسول الله ﷺ في العديد من المواقف، منها يوم الغدير، حيث نصب الإمام علياً عليه السلام خليفة من بعده، ثم ذكر أسماء أوصيائه واحداً بعد واحد، إلى الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف^(٢).

وكذلك في حديث اللوح الذي نزل به جبرائيل عليه السلام المروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري: «إن جابراً رضوان الله عليه رأى في يدي الزهراء عليها السلام لوحاً أخضر فقال لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟» فقالت: «هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله ﷺ فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليسترني بذلك».

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ج / ١٣، ص / ٢٦٢.

(٢) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص / ٩٩، والاحتجاج: ج / ص / ٨٢.

وفيه: «.. إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيكَ على الأوصياء، وأكرمُكَ بشبليكَ وسبتيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه.. أولئك أوليائي حقاً، بهم أَدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»^(١)، كما نصَّ على إمامته أمير المؤمنين ﷺ، وكذلك الصديقة الطاهرة فاطمة ﷺ، وقد روى الشيخ الجليل أبو القاسم علي بن محمد الخزاز القمي قدس سره بإسناده عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: سألت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن الأئمة ﷺ فقالت: «كان رسول الله ﷺ يقول لعلي ﷺ: يا علي أنت الإمام والخليفة بعدي، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم..».

وروى قدس سره تمة لهذا الكلام: «أشهد الله تعالى لقد سمعته، أي رسول الله ﷺ يقول: علي خير من أخلفه فيكم وهو الإمام والخليفة بعدي وسبطي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) الكليني في الكافي: ج / ١، ص / ٥٢٧ - ٥٢٨، باب / فيما جاء في الاثني عشر والنص عليهم، ح / ٣، والنعماني في كتاب الغيبة: ص / ٦٩ - ٧٢، باب / ٤، ح / ٥، والشيخ المفيد في الاختصاص: ص / ٢١٠ - ٢١٢، وغيرها من المصادر.

(٢) كفاية الأثر: ص / ١٩٦، باب / ما جاء عن فاطمة الزهراء ﷺ، من النصوص على الأئمة الاثني عشر ﷺ.

وعن الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما حضره الوفاة الذي حضره قال لابنه الحسن عليه السلام: أدن مني حتى أسر إليك ما أسر إلي رسول الله ﷺ، وائتمك على ما أئتمني عليه، ففعل»^(١).

وعن القاضي أبو حنيفة التَّعمان المغربي، بسنده عن علي بن الحسين ومحمد بن علي عليهما السلام، أنهما ذكرا وصية علي عليه السلام فقالا: «أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع الكتب إليه والسلاح، ثم قال له: أمرني رسول الله ﷺ أن أوصي إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلي رسول الله ﷺ ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضر الموت أن تدفع ذلك إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم أقبل على الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله ﷺ، أن تدفعه إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد ابنه علي بن الحسين عليه السلام فضمه إليه، فقال له: يا بني وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعه إلى ابنك محمد عليه السلام فأقرته من رسول الله ﷺ، ومني السلام، ثم أقبل إلى ابنه الحسن عليه السلام فقال: يا بني أنت ولي الأمر...»^(٢).

أقول: قال الشيخ الكليني: وقد شهد هذه الوصية سليم بن قيس الهلالي وغيره، وقد رواها سليم رضوان الله عليه^(٣) وعن الشيخ الكليني قدس سره، قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام: «أنتما إمامان

(١) الكافي: ج / ١، ص / ٢٩٧، باب / الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام، ح / ٢.

(٢) دعائم الإسلام: ج / ٢، ص / ٢٤٨، ح / ١٢٩٧.

(٣) الكافي: ج / ١، ص / ٢٩٦ - ٢٩٧، باب / الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام.

بعدي، سيدا شباب أهل الجنة، والمعصومان، حفظكما الله، ولعنة الله على من عاداكما»^(١).

وروي أن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(٢)، ونظر ﷺ يوماً إلى الحسن والحسين ﷺ فقال: «من أحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٣).

وفي الرواية عن الأربلي قدس سره بسنده عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي علي عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام! فقال النبي ﷺ: «ونعم الراكب هو»^(٤).

(١) كفاية الأثر: ص / ٢٢١ - ٢٢٢، باب / ما جاء عن أمير المؤمنين من النص على الحسين ﷺ.

(٢) روضة الواعظين: ج / ١، ص / ١٥٦، مجلس / في ذكر إمامة السبطين ومناقبهما.

(٣) كشف الغمة: ج / ١، ص / ٥٢٩، فيما ورد في حقه من رسول الله ﷺ.

(٤) المصدر السابق: ص / ٥٢٠.

دلالة إمامته ﷺ



روى العلامة الطبرسي

قدس سرّه بإسناده، عن حبابة

الوالبية رضوان الله عليها إنها

قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس، ثم ساقته الحديث إلى أن قالت: فلم أزل أقفو أثره حتى قعدت في رحبة المسجد فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك الله؟ قالت: فقال: «اتيني بتلك الحصاة» وأشار بيده إلى حصاة، فأتيتها بها فطبع لي فيها بخاتمه ثم قال لي: «يا حبابة، إذا ادعى مدعي الإمامة فقدّر أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنّه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزب عنه شيء يريد»، قالت: ثم انصرفت حتى قبض أمير المؤمنين عليه السلام، فجنّت إلى الحسن، وهو في مجلس أمير المؤمنين والناس يسألونه فقال لي: «يا حبابة الوالبية»، فقلت: نعم يا مولاي، قال: «هاتي ما معك»، قالت: فأعطيتها الحصاة، فطبع لي فيها، كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام، قالت: ثم أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقرّب ورخّب، ثم قال لي: «أتريدين دلالة الإمامة؟» فقلت: نعم يا سيدي! قال: «هاتي ما معك» فناولته الحصاة فطبع لي فيها، قالت: ثم أتيت علي بن الحسين عليه السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن أعينّت، وأنا أعد يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيت راعياً وساجداً مشغولاً بالعبادة، فيست من الدلالة، فأوحى إليّ بالسبابة فعاد

إليّ شبابي، قالت: فقلت: يا سيدي كم مضى من الدنيا وكم بقي؟ فقال: «أمّا ما مضى فنعم، وأمّا ما بقي فلا»، قالت: ثمّ قال لي: «هات معي معك» فأعطيته الحصاة فطبع لي فيها، ثمّ أتيتُ أبا جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيتُ أبا عبد الله عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيتُ أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فطبع لي فيها، ثمّ أتيتُ الرضا عليه السلام فطبع لي فيها، وعاشت حياّبة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكره عبد الله بن هشام^(١).

إنّ الإمام: هو صاحب الرّئاسة العامّة الإلهية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في أمور الدّين والدّنيا، إذ يجب على كافّة الأمتة إتباعه بدون قيد أو شرط، لأنّ الإمامة من أصول الدّين ومخالفتها توجب الكفر والبدعة^(٢)، فإذا كانت الإمامة من فروع الدّين لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكّد على أهمّيتها بقوله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٣)، فالإمامة مرتبة عظيمة هامة، نازلة منزلة النبوة، والإمام قائم مقام النبي صلى الله عليه وآله، فالإمام موجود في كلّ زمان ومكان وهو واحد لا أكثر، وهو أفضل أهل زمانه، وهو الأعلّم والأتقى والأشجع والأورع والمعصوم بفضل الله ولطفه من الخطأ والسّهو، فيكون حجة الله في الأرض، ولا تخلو الأرض من حجة لله عزّ وجلّ، والنصوص في إمامة وخلافة الأئمة الاثني عشر كثيرة، وقد أمر الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله بطاعتهم والأخذ منهم^(٤).

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى: ج / ١ / ص / ٤٠٨ - ٤٠٩، فصل في النصوص الدّالة على إمامته.

(٢) ذكر ذلك القاضي البيضاوي في كتابه: منهاج الأصول، والعلامة القوشجي في كتابه: شرح التّجريد في مبحث الإمامة، وغيرهم..

(٣) راجع: الجمع بين الصّحّحين: للحميدي، وشرح العقائد النّسفية: لسعد الدّين التّفتزاني.

(٤) الخلفاء الرّاشدين: للمؤلف (مخطوط).

الإمام السبط في القرآن الحكيم



الإمام السَّبَط الأكبر
الحسن المجتبي عليه السلام، هو من
أهل البيت الذين أوصى

الرَّسول الأعظم ﷺ باحترامهم ومودتهم ومحبتهم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر
بهذه المحبة والمودة حيث أنزل في كتابه الحكيم مجموعة من الآيات
البيانات الواضحات فيهم وشملت بذلك السَّبَط الأكبر عليه السلام، وقد أولى
المفسرون المسلمون عنايتهم بهذه الآيات وصرحوا وأكدوا على أنها
نزلت في شأنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال الفقيه الشافعي
أحمد بن حجر الهيتمي: الفصل الأوَّل في الآيات الواردة فيهم:

الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) أكثر المفسرين على أنها نزلت في [علي وفاطمة
والحسن والحسين] لتذكير ضمير «عنكم» وما بعده «...»^(٢).

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) وقد روى ذلك الواحدي النيسابوري في أسباب النَزول: ص / ٢٣٩، والحاكم
الحسكاني في شواهد التنزيل: ج / ٢، ص / ١٢٩ - ١٣٩، ح / ٦٤٨ - ٧٧٤، والبغوي
في تفسيره: ج / ٣، ص / ٥٣٠، والفخر الرازي في تفسيره: ج / ٢٥، ص / ٢٠٩
والعز بن عبد السلام في تفسيره: ص / ٥٧٥ والسيوطي في الدر المنثور: ج / ٥،
ص / ١٩٨ - ١٩٩، وقد روى السيوطي ذلك عن كلِّ من ابن جرير، وابن المنذر،

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

صحّ عن كعب بن عجرة، قال: لما نزلت هذه الآية، قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد» إلى آخره، وفي رواية الحاكم: قلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم «أهل البيت»؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» إلى آخره «...»^(٢).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾^(٣).

فقد نقل جماعة من المفسرين، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن المراد بذلك سلام على «آل محمد» وكذا قاله الكلبي «...».

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾^(٤).

وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب البغدادي، والترمذي وصحّحه وحسن بعض طرقه، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، ومسلم وغيرهم عن حملة من الصحابة منهم: أم سلمة أم المؤمنين، وأبي سعيد الخدري، ووائله وغيرهم... وفي كتب الخاصة: الإمامة والتبصرة: ص/ ٤٧، ح/ ٢٩، الكافي: ج/ ١، ص/ ٢٨٧، باب/ نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، ح/ ١، الخصال: ص/ ٤٠٢، ح/ ١١٢، علل الشرائع، ج/ ١، ص/ ٢٠٥، ح/ ٢، كفاية الأثر: ص/ ٦٦، وغيرها كثير..

(١) الأحزاب/ ٥٦.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب التفسير: باب تفسير سورة الأحزاب، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب/ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرجه بالفاظ متقاربة أصحاب السنن الأربعة: الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، والدارمي.

(٣) الصافات/ ١٣٠.

(٤) الصافات/ ٢٤.

أخرج الديلمى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ عن ولاية علي.

وكأن هذا هو مراد الواحدى بقوله: «روي في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، أي: عن ولاية «علي» و «أهل البيت» لأن الله أمر نبيه أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى: أنهم يسألون هل والوهم حق الموالاتة كما أوصاهم النبي أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة».

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

أخرج الثعلبي في تفسيره، عن «جعفر الصادق» رضي الله عنه أنه قال: «نحن حبل الله الذي قال الله فيه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾».

وكان جدّه «زين العابدين» إذا تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢)، يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العليا وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية، ثم يقول: «وذهب آخرون إلى التخصيص في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مآثور الخير..»^(٣) إلى أن قال: «فإلى من يفرع خلف هذه

(١) آل عمران / ١٠٣.

(٢) التوبة / ١١٩.

(٣) كأنه يشير ﷺ إلى الذين يضعفون الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائلهم ومناقبهم ﷺ.

الأمة وقد درست أعلام هذه الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(١) فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلى «أهل الكتاب» و«أبناء أئمة الهدى ومصايح الدجى»، الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب».

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).

أخرج أبو الحسن المغازلي، عن «الباقر» رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: «نحنُ «الناس» والله».

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٣).

أشار إلى وجود ذلك المعنى في «أهل بيته» وإتهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة (...).

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٤).

(١) آل عمران / ١٠٥.

(٢) النساء / ٥٤.

(٣) الأنفال / ٢٣.

(٤) آل عمران / ٦١.

قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية «أهل بيته»، وجاء ذلك عن «أبي جعفر الباقر» أيضاً «...».

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

قال الزمخشري في الكشاف: لا دليل أقوى من هذا على فضل «أصحاب الكساء»، وهم: «علي وفاطمة والحسنان» لأنها لما نزلت دعاهم فاحتضن «الحسين» وأخذ بيد «الحسن» ومشت «فاطمة» خلفه و«علي» خلفهما، فعلم أنهم المراد من الآية، وأن أولاد «فاطمة» وذريتهم يُسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة «...»^(٢).

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٣).

نقل القرطبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «رضى محمد،

(١) سورة آل عمران - الآية ٦١.

(٢) ولقد أجمع المفسرون بأن المراد بـ «أبنائنا»: الحسن والحسين عليهما السلام، فمن تفاسير الشيعة الإمامية: تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص / ٦٦٠، وتفسير فرات الكوفي: ص / ٨٦-٨٧، وتبيان الطوسي: ج / ٢، ص / ٤٨٥، وغيرها، ومن تفاسير السنة: الطبري في جامع البيان: ج / ٣، ص / ٤٠٧-٤١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ج / ٢، ص / ٦٦٧، ح / ٣٦١٦-٣٦١٨، والجصاص في أحكام القرآن: ج / ٢، ص / ١٨، وقال: فنقل رواية السير ونقله الأثر لم يختلفوا فيه: «أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة...» والسمعاني في تفسيره: ج / ١، ص / ٣٢٧، والبغوي في التفسير: ج / ١، ص / ٣١٠، والقرطبي في التفسير: ج / ٤، ص / ١٠٤، إضافة لما نقلناه من كتاب الصواعق وغيرها في الكثير من تفاسير العامة والخاصة! فتأمل.

(٣) سورة الضحى - الآية ٥.

أَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ «أَهْلِ بَيْتِهِ» النَّارَ»، وقاله: السّدي، وأخرج الحاكم وصحّحه، أنّه صلى الله عليه وآله قال: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم لله بالتّوحيد وليّ بالبلاغ أن لا يعذبهم»^(١).

وأخرج المُلّا: «سألْتُ ربي أن لا يدخل النَّارَ أحدٌ من أهل بيتي فأعطاني ذلك».

وأخرج أحمد في المناقب، أنّه قال: «يا معشر بني هاشم، والذي بعثني بالحق لو أخذتُ بحلقة باب الجنة ما بدأتُ إلا بكم»^(٢) «...».

الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٣).

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾^(٤).

قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين: إنّ هذه الآية نزلت في «المهدي» [عجل الله فرجه الشريف].

(١) رواه في المستدرک: ج / ٢، ص / ١٦٣. وقال عقبه: قال عمر بن سعيد الأبيح [أحد رواة الحديث]: ومات سعيد بن أبي عروبة [أحد رواة هذا الحديث] يوم الخميس، وكان حدّث بهذا الحديث يوم الجمعة، مات بعده بسبعة أيام في المسجد، فقال قوم: لا جزاك الله خيراً صاحب رفضٍ وبلاء، وقال قوم: جزاك الله خيراً صاحب سنة وجماعة أدّيت ما سمّعت قال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه». وأورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في «إتحاف المهرة»: ج / ٢، ص / ٢٦٤، ح / ١٦٨٣.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في «مناقب الصّحابة»: ج / ٢، ص / ٦٦٨، والآجري في «الشريعة»: ج / ٥، ص / ٢٢٨٠.

(٣) البيّنة / ٧.

(٤) الرّخرف / ٦١.

وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي، وحيثُذ، ففي الآية دلالة على البركة في نسل «فاطمة» و «علي» رضي الله عنهما، وإن الله ليخرج منهما كثيراً طيباً وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة.. وسرُّ ذلك، أنه أعادها وذريتها من الشيطان الرجيم، ودعا لـ «علي» بمثل ذلك، وشرح ذلك كله يُعلم سياق الأحاديث الدالة عليه «...»، [ثم راح يسردها].

الآية الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم، عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية لما نزلت، قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما»^(٢) «...».

وأخرج البزار والطبراني، عن «الحسن» رضي الله عنه من طرق بعضها

(١) الشورى / ٢٣ - ٢٥.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في «فضائل الصحابة»: ج / ٢ / ص / ٦٦٩، والطبراني في المعجم الكبير: ج / ٢ / ص / ٤٧، ح / ٢٦٤١، وج / ١١ / ص / ٣٥١، والزَّمخشرى في الكشف: ج / ٢ / ص / ٤٦٧، وابن أبي حاتم في التفسير: ج / ١٠ / ص / ٢٦٧، والنحاس في معاني القرآن: ج / ٦ / ص / ٣٠٩، والثعلبي في التفسير: ج / ٨ / ص / ٣١٠، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج / ٢ / ص / ١٨٩ - ١٩٦، ح / ٨٢٢ - ٨٢٨، والنسفي في التفسير: ج / ٤ / ص / ١٠١، والقرطبي في التفسير: ج / ١٦ / ص / ٢١ - ٢٢، والسيوطي في تفسير الدر المنثور: ج / ٦ / ص / ٧، وغيرها ومن تفاسير الشيعة الإمامية على وجه الاختصار: تفسير فرات الكوفي: ص / ٣٨٩ - ٣٩١، ح / ٥١٦ - ٥٢٠، الطبرسي في تفسير جوامع الجامع: ج / ٣ / ص / ٢٨٤، والنعمان المغربي في دعائم الإسلام: ج / ١ / ص / ٧٠، وغيرها العشرات...

حسان، أنه خطب خطبة من جملتها: «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد» ثم تلا: «واتبعتُ ملة آبائي إبراهيم»^(١)، ثم قال: «أنا ابن البشير، أنا ابن النذير» ثم قال: «وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجلّ مودتهم وموالاتهم»، فقال فيما أنزل على محمد: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وفي رواية: «الذين افترض الله مودتهم على كلّ مسلم، وأنزل فيهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ومن يقترف حسنة نزل له فيها حسناً» واقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت^(٢) انتهى كلام ابن حجر الهيثمي^(٣).

الآية الرابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾^(٤).

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾، قال: «الحسن والحسين عليهما السلام»^(٥).

الآية الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٦).

(١) يوسف / ٣٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک: ج / ٣، ص / ١٨٨ وصحّحه، والطبراني في المعجم الأوسط: ج / ٢، ص / ٣٣٦، قال الهيثمي في المجمع: ج / ٩، ص / ١٤٦، «رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار»....، وأبو يعلى باختصار، والبخاري بنحوه «...»، ورواه أحمد باختصار كثير، وإسناد أحمد وبعض طرق البخاري والطبراني في الكبير حسان.

أقول: وقد أورده الشيخ الألباني مختصراً في «السلسلة الصحيحة»: ج / ٥، ص / ٦٦٠، ح / ٢٤٩٦.

(٣) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزنادقة: ج / ٢، ص / ٤٢١ - ٤٨٨.

(٤) سورة التين / ١.

(٥) راجع تفسير فرات الكوفي: ص / ٥٧٨، ح / ٧٤٤.

(٦) الرحمن / ٢٣.

وروى عليه السلام في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: «الحسن والحسين عليهما السلام»^(١).

الآية السادسة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢).
عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾
«كلمات في محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم» عليهم السلام فني «هكذا والله أنزلت على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»^(٣).
قوله عليه السلام: هكذا نزلت، أي بهذا المعنى.

الآية السابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾^(٤)، قال ابن شهر آشوب: «اتباع أحسن من اتباع الحسن والحسين عليهما السلام»^(٥).

الآية الثامنة عشرة: قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٦).

قال الشيخ الجليل الحافظ مشير الدين أبي عبد الله محمّد بن علي بن

(١) تفسير القمي: ج / ٢، ص / ٣٤٤، تفسير فرات الكوفي: ص / ٤٥٩ - ٤٦١، ح / ٥٩٩ - ٦٠٢، ورواه العامة منهم: الثعلبي في تفسيره: ج / ٩، ص / ١٨٢، والحسكاني في شواهد التنزيل: ج / ٢، ص / ٢٨٤ - ٢٨٩، ح / ٩١٨ - ٩٢٣، والسيوطي في الدر المنثور: ج / ٦، ص / ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) طه / ١١٥.

(٣) بصائر الدرجات: ج / ٢، ص / ٩١، باب / ٧، ح / ٤، والكاظمي: ج / ١، ص / ٤١٦، باب / فيه نكت ووقف من التنزيل في الولاية، ح / ٢٣.

(٤) الطّور / ٢١.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٤١، باب / إمامة السبطين عليهما السلام.

(٦) الطّور / ٢١.

شهر اشوب السروي المازندراني، نزيل «حلب الشهباء»: وقال تعالى: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فقد ألحق الله بهما ذريتهما، أي: ذرية الحسن والحسين، برسول الله ﷺ، وشهد بذلك كتابه فوجب لهم الطاعة بحق الإمامة مثل ما وجب للنبي ﷺ لحق النبوة^(١).

الآية التاسعة عشرة: قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾^(٢).

قال: «هم أهل بيت رسول الله ﷺ: علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وأولادهم إلى يوم القيامة، هم صفوة الله وخيرته من خلقه»^(٣).

الآية العشرون: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٤).

قال أبو محمد سعيد بن جبیر الأسدي الوالبي الكوفي رضوان الله تعالى عليه: نزلت هذه الآية والله خاصة في أمير المؤمنين ﷺ، قال: كان أكثر دعائه يقول: «ربنا هب لنا من أزواجنا» يعني: فاطمة ﷺ، «وذرياتنا» الحسن والحسين ﷺ، «قرة أعين»، قال أمير المؤمنين ﷺ: والله ما سألت ربي ولداً نضير الوجه ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربي: ولداً مطيعين لله، خائفين وجلين منه، حتى إذا نظرتُ إليه وهو مطيع

(١) المناقب: ج / ٣، ص / ١٤١، باب / إمامة السبطين ﷺ.

(٢) النمل / ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٢٧٩، باب / ١٢، ضمن ح / ٤٨.

(٤) الفرقان / ٧٤.

لله قَرَّتْ به عيني، قال: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، قال: نفتدي بمن قبلنا من المتقين فيقتدي المتقون بنا من بعدنا، وقال الله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، يعني: علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة عليها السلام ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(١) عليها السلام.

الآية الحادية والعشرون: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^(٢).

قال ابن شهر آشوب: «الكفلين الحسن والحسين عليهما السلام والنور علي عليه السلام»^(٣).

الآية الثانية والعشرون: في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾^(٤)، قال: «بوالديه» إنما عن الحسن والحسين عليهما السلام والتعبير

(١) الفرقان / ٧٥ - ٧٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٥٢، باب / إمامة السَّبِطين عليهما السلام.

(٣) الحديد / ٢٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٥٢، باب / إمامة السَّبِطين عليهما السلام وروى فرات الكوفي في تفسيره هذا المعنى عن ابن عباس: ص / ٤٦٨، ح / ٦١٢، وروى الحاكم الحسكاني من علماء العامة في كتابه شواهد التنزيل هذا المعنى أيضاً عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والإمام الباقر عليهما السلام: ج / ٢، ص / ٣٠٨ - ٣٠٩، ح / ٩٤٣ - ٩٤٥.

وروى الشيخ علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: ج / ٢، ص / ٣٥٢ - ٣٥٣، والشيخ الكليني في الكافي: ج / ١، ص / ٤٣٠، باب / نكت وترف من التنزيل في الولاية، ح / ٨٦ وفيه: عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال: «الحسن والحسين عليهما السلام» ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾

قال: إمام تأتمون به..»

(٥) العنكبوت / ٨.

(٦) تفسير القمي: ج / ٢، ص / ٢٩٧، سورة الأحقاف.

بالوالدين، لأن الإمام عليه السلام كالوالد للرعية في الشفقة عليهم ووجوب طاعتهم.
وعن محمد بن علي عليه السلام أنه قال: «أذنب رجل ذنباً في حياة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فطلب، فتغيب حتى وجد الحسن والحسين عليهما السلام في طريق خال،
فأخذهما فاحتملهما على عاتقيه وأتى بهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله
إني مستجير بالله وبهما، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى رده إلى فمه، ثم
قال للرجل: اذهب فأنت طليق، وقال للحسن والحسين عليهما السلام: قد
شفعتكما فيه، أي فتیان».

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا
اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾^(١) و^(٢).

الآية الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^(٣).

عن ابن قولويه القمي بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ومن أراد أن
يتمسك بعروة الله الوثقى التي قال الله تعالى في كتابه، فليوال علي بن أبي
طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فإن الله تبارك وتعالى يحبهما من فوق
عرشه»^(٤).

الآية الرابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٥).

أخرج الحاكم عن أبي حفص الصائغ عن جعفر بن محمد عليه السلام في

(١) النساء / ٦٤.

(٢) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار: ج / ٢، ص / ١١٦ - ١١٧، ح / ١٠٦١.

(٣) لقمان / ٢٢.

(٤) كامل الزيارات: ص / ١١٤، باب / ١٤، ح / ١٢١.

(٥) التكاثر / ٨.

قوله تعالى: ﴿لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قال: «نحن النعيم»^(١).

الآية الخامسة والعشرون: قوله تعالى في سورة الشمس:

أخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، قال: هو النبي ﷺ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها﴾، قال: هو علي، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، قال: الحسن والحسين، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، قال: بنو أمية^(٢) و^(٣).

الآية السادسة والعشرون: قوله في سورة محمد ﷺ:

أخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: ولي علي وحمزة وجعفر، وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وولي محمد ﷺ، ينصرهم بالغلبة على عددهم، ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: أبا سفيان بن حرب وأصحابه، ﴿لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ يقول لا ولي لهم يمنعهم من العذاب^(٤) و^(٥).

(١) شواهد التنزيل: ج / ٢، ص / ٣٦٨.

(٢) الشمس / ١ - ٤.

(٣) شواهد التنزيل: ج / ٢، ص / ٣٤٤.

(٤) محمد / ١١.

(٥) شواهد التنزيل: ج / ٢، ص / ١٧٤.

السبب الأكبر في أحاديث

جده المصطفى عليه السلام



إذا كانت الأمة الإسلامية
اليوم تعاني من التقهقر
والتشردم والضياع والاختلاف

فلأنها أضاعت حبل الأمان الذي أمرت بالتمسك به!

وهذا هو السبب الأكبر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ابن علي والزهراء
صلوات الله عليهما هو حبل الأمان الذي انقطع عنه المسلمون، وأصبحوا
بعد ذلك في التيه والظلام والتخبط العشوائي، يقودهم الفساق والجهلة
والرّاكضين وراء السلطة والدنيا الزائلة والشّهوات الحيوانية!

ولقد أوردنا جملة أحاديث عن الحبيب المصطفى عليه السلام في حق سببه
الأكبر عليه السلام في عنوان سابق، وها هي مجموعة أخرى تحت هذا العنوان
إتماماً للفائدة:

الحديث الأوّل: عن حبر الأمة عبد الله بن عباس، قال: قال رسول
الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من
الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»^(١).
هذا هو القرار الإلهي الذي أمر النبي بتبليغه للناس، والقاضي بأنّ

(١) رواه الحاكم في المستدرک على الصّحیحین: ج / ٢، ص / ١٦٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

النَّجْمُ تَضْمَنُ اسْتِقْرَارَ الْحَيَاةِ، حَيْثُ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ الْحَيَاةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النَّجْمُ اخْتَلَّ الْمِيزَانُ فِي الْأَرْضِ، وَأَلَّتِ الْأَرْضُ إِلَى الذَّهَابِ وَالخَرَابِ، وَكَمَا أَنَّ النَّجْمُ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً مِنَ الْغَرَقِ وَالْهَلَاكِ، فَإِنَّ «أَهْلَ الْبَيْتِ» ﷺ أَمَانٌ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْغَرَقِ فِي مَتَاهَاتِ الضَّلَالِ وَالْإِخْتِلَافِ.

وَقَدْ ثَبِتَ ذَلِكَ فِعْلاً بَعْدَ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ، فَإِنَّ الْأُمَّةَ تَرَكَّتْ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَذَهَبُوا خَلْفَ شَيَاطِينِ الْأَنْسِ وَجَعَلُوهُمْ أُمَّةً لَهُمْ، فَقَادُوهُمْ إِلَى الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَالغَوَايَةِ وَالْعَمَى، وَحَتَّى عَصَرْنَا الْحَاضِرَ يَتَخَبَطُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَتَاهَاتِ، وَهُمْ تَحْتَ ذُلِّ الْإِسْتِعْمَارِ الْكَافِرِ يَقُودُونَهُمْ حَيْثَمَا يَرِيدُونَ وَمَصَالِحَهُمْ وَغَايَاتَهُمْ وَالْمُسْلِمُونَ فِي أَرْدَلِ الْعَيْشِ.

الحديث الثاني: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه، قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّجْمُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَاهَا مَا يُوْعَدُونَ، وَأَنَا أَمَانٌ لِأَصْحَابِي مَا كُنْتُ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَاهُمْ مَا يُوْعَدُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتِي أَتَاهُمْ مَا يُوْعَدُونَ»^(١).

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین: ج / ٢، ص / ٤٨٦، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

أقول: وقد روى هذا الحديث بألفاظ متقاربة بزيادات متفاوتة عن جمع من الصحابة، منهم: علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وسلمة بن الأكوع، وغيرهم.

ورواه أحمد بن حنبل في: «فضائل الصحابة» ج / ٢، ص / ٦٧١، والطبراني في «المعجم الكبير»: ج / ٧، ص / ٢٢، وعزاه ابن حجر في «المطالب العلية»، ج / ١٦، ص / ٢١٧، لمُسَدَّد، ومجموع هذه الروايات تقوي بعضها بعضاً، قال المناوي في «الفيض القدير»: ج / ٦، ص / ٢٨٦-٢٨٧، رواه أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع رمز لحسنه، ورواه عنه أيضاً الطبراني، ومُسَدَّد، وابن أبي شيبه بأسانيد ضعيفة، لكن تعدد طرقه ربما يصيره حسناً.

وإذا كان الحديث السالف قد بين أن النجوم أمان لأهل الأرض، فإنه هنا يقدم بياناً جديداً يُعلم عبره أن النجوم أمان لأهل الأرض ولأهل السماء أيضاً، وهذا هو القانون والنظام الإلهي الذي به أقام الله تعالى السموات والأرض، فإذا ذهبت نجوم السماء حلّ بها وبأهلها الخراب والدمار، والنبي ﷺ مثله كمثل النجوم في أنه صمام الأمان، إنه الضمانة لأصحابه من الضياع والهلاك ونزول البلاء والفرقة والانحراف عن الجادة، فإذا ذهب النبي إلى دار الحق أتاهم ما يوعدون من فتنٍ وقتالٍ وحروب، ثم ختم بـ: «آل بيته» صلوات الله عليهم، حيث جعلهم الله تعالى صمامَ أمانٍ لأمة نبيه ﷺ، هذا الصمام يحفظهم من الفرقة والضياع بعد النبي ﷺ، فإذا ذهب «أهل بيته» صلوات الله عليهم، أتى الناس ما هو مخبأ لهم في مكنون علمه سبحانه.

و «أهل البيت» ﷺ هم الحلقة الوسط، وواسطة العقد الذي متى ما انفرط كان الدّل والهوان في هذه الأمة الإسلامية، وفي ذلك قال الإمام المناوي عند تفسير حديث: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي»: شبههم بنجوم السماء وهي التي يقع بها الاهتداء، وهي: الطوالع والغوارب والسيارات والثابتات، فكذاك بهم الاقتداء، وبهم الأمان من الهلاك «...»^(١).

الحديث الثالث: عن زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين «...» أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم^(٢).

(١) محمد بن عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير في شرح الجامع الصغير: ج / ٦، ص / ٣٨٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه: ج / ٥، ص / ٦٩٩، وقال: «هذا حديث غريب إنما نعرفه في هذا الوجه، و «صبيح مولى أم سلمة» ليس بمعروف» أقول: بل هو ثقة عند أهل السنة، ذكره ابن حبان في «الثقات» ج / ٤، ص / ٣٨٢.

الحديث الرَّابِع: وعن أبي هريرة، قال: نظر النبي ﷺ، إلى الحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»^(١).

فإن من يسالم «أهل البيت» صلوات الله عليهم، يسالم النبي، ومن يسالم النبي يقز ويربح، أما من يحاربهم فإنما يعلن الحرب على النبي، ومن عادى النبي وأعلن عليه الحرب، فقد أعلن الحرب على الله تعالى، فالمسالمة لـ «أهل البيت» ﷺ مسالمة لله ولرسوله، والمضيق لحقوقهم المفرط في جانبهم مفرط في حق الله تعالى، قد أعلن النبي ﷺ عليه الحرب.

فقوله ﷺ: «أنا حربٌ..» معناه: أنا عدوٌّ مبغض ومحارب لمن أبغضكم وحاربكم، و«سَلْمٌ» بكسر السين وفتحها، أي: مُسَالِمٌ ومصالح ومحب لمن سالمكم وصالحكم وأحبكم وأكرمكم.

فالذين حاربوا «أهل البيت»، وقتلوهم، وسفكوا دمائهم، وأسروا ذراريهم الأكرمين، وانتهكوا محارمهم الطاهرات، ولعنوهم، وسبّوهم على المنابر وفي المناسبات، هم أعداء لرسول الله ﷺ، محاربون ومبغضون له، وسيحكم الله تعالى فيهم بحكمه العادل في الآخرة، كما حكم فيهم في الدنيا كما هو معروف ومشهور.

(١) رواه أحمد في السند: ج / ٢، ص / ٤٤٢، والطبراني في المعجم الكبير: ج / ٣، ص / ٤٠، وابن حبان في صحيحه: ج / ١٥، ص / ٤٢٣، والحاكم في المستدرک: ج / ٢، ص / ١٦١، وحسنه، قال الهيثمي في المجمع: ج / ٩، ص / ١٦٩: «فيه تليد بن سليمان وفيه خلاف، وبقيّة رجاله رجال الصّحيح»، أقول: وحديث زيد بن أرقم شاهد له، فالحديث بطريقه حسن أو أعلى.

لقد أجمع علماء أهل السنة على فضل أهل البيت ﷺ وذمّ محاربيهم، كما قال العلامة الملا عليّ القاري^(١).

الحديث الخامس: عن علي بن جعفر بن محمد بن علي، أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن جدّه علي بن أبي طالب [صلوات الله عليهم أجمعين]، أن رسول الله ﷺ، أخذ بيد حسن وحسين فقال: «من أحبّ هذين وأباهما وأمهما كانا معي في درجتي يوم القيامة»^(٢).

إنّه التّوجيه المستمرّ الذي يحمل على تثبيت هذه المعلومة في عقلية الأُمَّة المسلمة، فبعد سيدنا محمد ﷺ، لا أنبياء، ولكن الباري جلّ وعلا اختار «آل بيت محمد» [صلوات الله عليهم] ليكونوا الحامين والمدافعين عن هذا الدّين، «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان الخيرة»^(٣) فالأمر له سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد، والعقل الحصيف لا يحيد عن هذا المنهج السّويّ الذي يضمن كرامة النّبي العظيم ﷺ، الذي بُعث رحمة للعالمين، ومكانته الرّفيعة التي اختصه الله تعالى بها، فحيثُ حلّت ذريته الطّاهرة، حلّ أريج الرّحمات وآثار الخيرات والبركات تبعاً له صلوات الله وسلامه عليه.

(١) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح: ج / ٩، ص / ٣٩٧٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه: ج / ٥، ص / ٦٤٢-٦٤٣، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، والطبراني في المعجم الكبير: ج / ٣، ص / ٥٠، وأحمد في سننه: ج / ٢، ص / ٤٩.

(٣) سورة القصص - الآية ٦٨.

الحديث السادس: قال حبر الأمة عبد الله بن عباس: إن رسول الله ﷺ، كان جالساً ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ فقال: «اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي، وأكرم الناس عليّ، فأحبب من يحبهم، وأبغض من يبغضهم، ووال من والاهم، وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس منك»^(١).

وعن العلامة المجلسي في رواية، أن رسول الله ﷺ قال: «... ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر»^(٢).

نستتج مما مرّ: أن أهل البيت ﷺ، وفيهم السبب الأكبر، هم أكرم الناس على رسول الله ﷺ، وهم مطهرون من الرجس، والمعصومون من الذنوب، والمؤيدون بروح القدس، فهل بعد كلام رسول الله ﷺ ودعاؤه لعترته وأهل بيته كلام؟ إن من ينصب العدا والبغض والمناوأة لعتره رسول الله ﷺ، سينال الخزي والعار في الدنيا ويفتضح أمره، والعذاب والنكال يوم الجزاء في الآخرة وحسبه جهنم وساءت مصيراً، وعلى العكس من ذلك، فإن مصير كل من احترم العتره الطاهرة ﷺ وأحبهم ووالاهم، فهو من المرحومين والمحترمين في الدنيا والمغفور لهم في الآخرة ونصيبه منهم، أن يعيش إلى جوارهم في جنان الخلد، ويوفقه الله في أهله وذريته وعشيرته وماله، توفيقاً ما بعده توفيق، ويجعل له نوراً يمشي

(١) بشارة المصطفى: ص / ٢٧٤، ح / ٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج / ٢٥، ص / ١٧، باب / ١، ضمن حديث / ٣٠.

في الأرض، فأني شرف هذا وأي عزة هذه؟

وانظر إلى أعدائهم أخزاهم الله تعالى فأين قصورهم وأين قبورهم؟
الحديث السابع: روى الإربلي، عن النبي ﷺ قال: «سألت الفردوس من ربها فقالت: أي ربي زيني، فإن أصحابي وأهلي أتقياء أبرار؟ فأوحى الله عز وجل إليها: ألم أزينك بالحسن والحسين؟»^(١).

الحديث الثامن: روى ابن حمزة الطوسي، عن النبي ﷺ قال: «الحسن ضلع من أضلاعي»^(٢).

الحديث التاسع: روى الإربلي، عن نعيم، عن أبي هريرة قال: ما رأيت الحسن ﷺ قط إلا فاضت عيناى دموعاً، وذلك أنه أتى يوماً يشتد حتى قعد في حجر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» يقولها: ثلاث مرّات^(٣).

الحديث العاشر: وعن زهير بن الأقرم أبي كثير الزبيدي الكوفي، قال: بينما الحسن بن علي ﷺ يخطب بعدما قتل علي ﷺ إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته يقول: «من أحبني فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب» ولولا عزمة رسول اله ﷺ ما حدثتكم^(٤).

(١) كشف الغمة: ج / ٢، ص / ١٤٨، باب / ما قاله النبي ﷺ في حقه.

(٢) الثاقب في المناقب: ص / ٣١٦، فصل / ٧، باب / ٥، حديث / ٢٦٤.

(٣) كشف الغمة: ج / ٢، ص / ١٨٨، زيادة ومائدة، ومن مصادر السنة: ابن عساكر الدمشقي، تاريخ مدينة دمشق: ج / ١٢، ص / ١٩٢.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف: ج / ٧، ص / ٥١٢، باب / ما جاء في الحسن والحسين،

ح / ١٤، ومسنّد أحمد بن حنبل: ج / ٥، ص / ٣٦٦.

الحديث الحادي عشر: روى العلامة المجلسي، أن رسول الله ﷺ أبصر الحسن بن علي عليه السلام مقبلاً فقال: «اللهم سلمه وسلم منه»^(١).

الحديث الثاني عشر: روى أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، عن عباس بن الوليد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أبغض الحسن والحسين عليه السلام، جاء يوم القيامة وليس على وجهه لحم، ولم تنله شفاعتي»^(٢).

الحديث الثالث عشر: روي أنه دعي النبي ﷺ، إلى صلاة والحسن متعلق به، فوضعه النبي ﷺ مقابل جنبه وصلى، فلما سجد أطال السجود.

يقول الراوي، فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسن على كتف رسول الله ﷺ فلما سلم ﷺ قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، كأنما يوحى إليك؟ فقال ﷺ: «لم يوح إلي ولكن ابني كان على كتفي فكرهت أن أعجله حتى نزل»^(٣).

الحديث الرابع عشر: عن علي عليه السلام قال: «رأينا رسول الله ﷺ قد أدخل رجله في اللحاف أو في الشعار، فاستسقى الحسن عليه السلام فوثب النبي ﷺ إلى منيحة لنا فمض من ضرعها فجعله في قدح ثم وضعه في يد الحسن عليه السلام»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج / ٤٤، ص / ٢٥، باب / ١٨، ح / ٨.

(٢) كامل الزيارات: ص / ٦١، باب / ١٤، ح / ٧، ط / دار الجوادين، بيروت.

(٣) سنن النسائي: ج / ٢، ص / ٢٢٩.

(٤) الحديث مروى بطرق مختلفة وألفاظ متقاربة، راجع: مناقب آل أبي طالب: ج /

٢، ص / ١٥٦، باب / السبطين عليه السلام، وبشارة المصطفى: ص / ٢٩٠، ح / ١٦، وأصل

عاصم بن حميد، من الأصول الستة عشر: ص / ٤١ وغيرها.

ولربّ سائل يسأل: لِمَ كلّ هذه المحبة من رسول الله ﷺ للحسن ع؟ والجواب هو مما لم يبخل عنه التّاريخ علينا، حيث قال حبر الأمة عبد الله بن عباس ع: «إن رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن ع فلما رآه بكى ثم قال: «إِلَيَّ إِلَيَّ يَا بُنَيَّ» فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، وساق الحديث إلى أن قال: قال النبي ﷺ: «أما الحسن فإنه ابني، وولدي ومني، وقرّة عيني، وضيء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني..»^(١).

وأكمل الشّيخ محمّد مهدي المازندراني الحائري هذا الحديث: «... وإني لما نظرت إليه ذكرت ما يجري عليه من الدّل بعدي فلا يزال الأمر به حتّى يقتل بالسّم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسّبع الشّداد لموته، ويبكيه كلّ شيء» حتّى الطّير في السّماء، والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تغمّ عينه يوم تغمى العيون، ومن حزّن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في البقيع ثبتت قدماءه على الصّراط يوم تزل فيه الأقدام»^(٢).

هذا كان قسم من القضية، لكن هناك قسم ثانٍ منها وهو ما جزاء من أحبّ السّبب الأكبر والسّبب الأصغر ع؟ ها هو سلمان العترة المحمّدية رضوان الله عليه يفصح لنا عن الجواب بقوله: قال رسول الله ﷺ للحسن والحسين ع: «من أحبّهما أحبّته، ومن أحبّته أحبّه الله، ومن أحبّه الله

(١) الشّيخ عبد الله البحراني، عوالم العلوم: في أحوال الإمام الحسن عليه السلام.

(٢) معالي السّبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السلام.

أدخله جنات النّعيم، ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب مقيم»^(١).

وإذا توغلنا في مضامين هذه الروايات الصّادرة من فم الحبيب المصطفى ﷺ، ومن حديثه حديث الوحي النّازل من السّماء، والذي لا ينطق عن الهوى، نجد أنّ الصّادق الأمين ﷺ، كان يهدف أولاً وأخيراً إلى لفت أنظار المسلمين وتوجيههم نحو عترته الطّاهرة صلوات الله وسلامه عليهم، لأنهم محور دائرة الرّسالة المحمّدية ومركز إشعاعها، والأمناء من بعده على الوحي، ومضامين الرّسالة، والقائمين على تحقيق أهدافها، وإنهم البيت الطّاهرة الذي سيكون امتداداً لهذه الرّسالة الإلهية بعد الرّسول المصطفى ﷺ، لهذا نراه ﷺ ينتهز المناسبات وغيرها ليوصي المسلمين بأهل بيته ويؤكد عليهم سلام الله عليهم ويهيئ الأجواء المناسبة لهم حتّى يكونوا أقدر على التّفاعل مع المرحلة التي سيغيب فيها عنهم صلوات الله عليه، حتّى لا يحدث غيابه هزة في أوضاعهم الدّاخلية، ولا يترك غيابه فراغاً كبيراً، فأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم، هم الأقدر والأنجح والأثمن على الرّسالة وعلى إدارة دفّة المسلمين من غيرهم.



(١) راجع: ابن عساكر الدّمشقي، تاريخ مدينة دمشق: ص / ٤٠، ترجمة الإمام

الفصل الثاني

- السَّبَطُ الأَكْبَرُ: في مدرسة النبوة
- السَّبَطُ الأَكْبَرُ: أخلاقه وسجاياه
- السَّبَطُ الأَكْبَرُ: في زهده وعبادته
- السَّبَطُ الأَكْبَرُ: نزوجاته وأبناءه
- السَّبَطُ الأَكْبَرُ: ومظلوميته مع طلقاء آل أبي سفيان
- السَّبَطُ الأَكْبَرُ: وإيذاء أبناء الطلقاء له



في مدرسة النبوة



عاش السَّبْط الأكبر
والإمام الممتحن الحسن بن
علي عليه السلام مع جدّه الحبيب

المصطفى صلى الله عليه وآله، سبع سنوات ومائة وخمسة وثلاثون يوماً، كانت الحجر الأساس في بناء شخصيته، كما إنّها كانت أروع هذه السّني التي قضاها في مدرسة الوحي، والاستماع إلى الوحي، والتّحسّس به عن قرب في تلك المدارج الطّاهرة لبيت النبوة والاتّصاق به عن قرب..

كان الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله يتغزّل بسبّطه الأكبر أمام المسلمين، وكان ذلك الصّبي المشرق يبادل جدّه الحبيب حبّاً بحب وحناناً بحنان، لأنّ تلك السّني التي قضاها في كنف ذلك البيت الملقّب بأريج النّبوة والإمامة والوحي وعبير الجنان، كانت جلّها مع جدّه الخاتم صلوات الله عليه، حيث كان الجدّ يضمّهما وأخيه الحسين عليه السلام بين حنايا أضلعه، ويشمّهما، بل ويرتشف من مباسمهما، ثمّ يغدق عليهما من رحمته الواسعة، بل يرضعهما من لبان النّبوة، حتّى نبت لحمهما من مرآشفه الطّاهرة، بل كان حجره مجلسهما، وصدره المبارك وسادتهما، فلا يتامان إلا في أحضانه الدّافئة، وهو لا يرتاح إلا وهما إلى جانبه متوسدان، حيث لا يشعر بالأمان والحنان والعطف والدّفء إلا معه.

فكيف ستكون نتيجة هذا الحثّ وهذا التوجيه والتوجّه والعطف بعد ذلك؟

وكيف سيتخرج هذا الطفل المبارك من هذه المدرسة العظيمة التي لا توجد مثلها مدرسة على وجه البسيطة؟

ولعل من أروع الصّور التي بقيت مدونة في سجل التاريخ على حجم الصّلة الوثيقة بين الجدّ المصطفى ﷺ والسبط المجتبي ﷺ ما ذكره بعض الرّواة، وهي عبارة عن مجموعة من دروس تربوية متكاملة على درجة عالية من الأهمية تتهلل منها الأجيال، كلّ معاني السّمو والسّموخ والأخلاق، عن البهيّ قال: تذاكرنا من أشبه الناس بالنبي ﷺ من أهله، فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال: أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه الحسن بن علي ﷺ، رأيتُه وهو ساجد فيركب رقبته، أو «قال ظهره» فما ينزله حتّى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيتُه يجيء وهو راع فيفرج له بين رجله حتّى يخرج من الجانب الآخر^(١).

وروى الفريقان: أن رسول الله ﷺ كان يضع الحسن ﷺ على عاتقه وهو يقول: «اللّهم إنّي أحبّه فأحبّه» وفي رواية «فأحب من يحبه»^(٢).

وروي أنّه كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي ﷺ على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: «ونعم الرّاكب هو»^(٣).

(١) الشّيخ عبد الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف: ص / ٢٩٧.

(٢) سند أبي داود الطيالسي: ص / ٩٩، ومناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٨٨.

(٣) سنن الترمذي: ج / ٥، ص / ٢٢٧، ح / ٢٨٧٢.

وعن جابر الأنصاري قال: دخلت على النبي ﷺ والحسن والحسين ﷺ على ظهره وهو يجثو لهما ويقول^(١): «نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»^(٢).

إذن: كيف سيتخرج من مدرسة النبوة من كان دأبه وديننه وحجره وظهره ورقبته رسول الإنسانية والرّحمة العالمية محمّد المصطفى ﷺ؟ وإذا تأمل المتأمل، أنّ طفلاً يلعب مع شخصية عظيمة كرسول الرّحمة والإنسانية ﷺ وماذا سيكون شأنه ومستقبله وفكره ومنطقه؟

وقال أمير المؤمنين ع في حديث: «تعلمان ويعلم أهل المدينة أنّ الحسن كان يسعى إلى النبي ﷺ ويركب على رقبته ويدلي الحسن رجله على صدر النبي ﷺ حتى يرى بريق خالخاله من أقصى المسجد والنبي ﷺ يخطب ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبي ﷺ من خطبته والحسن على رقبته»^(٣).

وهكذا كان السبب الأكبر يعلو رقبة الحبيب المصطفى ﷺ في خطبه المنبرية في المسجد، فتخرج من على يديه خطيباً شحشحاً لا يدانيه أحد إلا الذي أولده، وهو أمام البلغاء والفصحاء أمير المؤمنين علي ع، قال أبو هريرة: سمع أذناي هاتان، وبصر عيناي هاتان، رسول الله ﷺ وهو

(١) قال أبو محمّد بن خلاد الرّاهرمزي وهو من علماء العامة المحدثين الأدياء، تعقيباً على هذا الحديث: «هذا مزاح من النبي ﷺ منقبة تفرد بها الحسن والحسين رضوان الله عليهما».

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٢٨٥، باب / ١٢، ضمن حديث /

(٣) علل الشرائع: ج / ١، ص / ١٨٨-١٨٩، باب / ١٤٩، ح / ٢.

أخذ بيديه جميعاً بكتفي الحسن عليه السلام وقدماه على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: «ترق عين بقة»^(١)، وقال: فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال له: «افتح فاك» ثم قبله ثم قال: «اللهم أحبه فسأني أحبه»^(٢)، وهكذا كان يدرج كل يوم في هذه المدرسة العظيمة يتعلم من قم النبي صلى الله عليه وآله ويمص من لسانه كلما عطش الماء الزلال.

أما عن الجانب العلمي في علاقة السبط الأكبر عليه السلام بجده صلى الله عليه وآله، فلقد كان عليه السلام وعلى صغر سنه، يأتي إلى مجلسه صلى الله عليه وآله فيصغي بسمعه إلى حديث جده صلى الله عليه وآله وهو يث رسالة الله في الناس، وبعد أن يسمع الحسن عليه السلام إلى ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ينطلق مسرعاً إلى أمه الزهراء عليها السلام فيخبرها بلسان فصيح صادق كل ما دار في حديث الرسول صلى الله عليه وآله مع الناس، فيأتي الإمام علي عليه السلام فتخبره فاطمة عليها السلام بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله في المجلس فيسأل الإمام علي عليه السلام عن الذي أخبرها بذلك، فتقول: ابنك الحسن عليه السلام!

فتخفي علي عليه السلام يوماً في الدار ليستمع إلى ما يقوله الحسن عليه السلام من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل الحسن عليه السلام وقد جاء من مجلس الرسول صلى الله عليه وآله فأراد أن يلقي لوالدته الزهراء عليها السلام فأرتج عليه الأمر، فعجبت أمه من ذلك، فقال الحسن عليه السلام: لا تعجبي يا أمّاه فإنّ كبيراً أسمعني واستماعه قد أوقفني

(١) وفي بعض المصادر: وهو يقول: «حزقة حزقة إرق عين بقة» والحزقة المقارب الخطى، أو القصير الذي يقرب خطاه، ويراد من هذه العبارة المداعبة كما قاله ابن الإنباري، والبقة: كناية عن صغر العين، وقيل: بقة اسم حصن أريد منها: إصعد عين بقة أي أعلاها، وقيل غير ذلك.

(٢) بحار الأنوار: ج / ٤٢، ص / ٢٨٦، باب / ١٢، ضمن حديث / ٥٢، ومن مصادر السنة قريب منه: ابن أبي شيبة في المصنف: ج / ٧، ص / ٥١٤، باب / ما جاء في الحسن والحسين، ح / ١٩.

فخرج عليّ عليه السلام إليه فضمه وقبله^(١).

لقد كان السبّط الأكبر عليه السلام منذ صغره يتلقى علوم الوحي من جدّه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله ولهذا أصبح صلوات الله عليه عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن، وذلك بالعلم اللدني الذي منحه الباري عزّ وجلّ له، وكذلك بالعلم الاكتسابي من رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أما الحسن فأنحله الهيبة والعلم»^(٢).

وقد تركت التربية النبوية التي نهل من ينبوعها الإمام الحسن عليه السلام آثاراً على سلوكياته، وهناك شواهد عديدة تكشف تجسيدات التربية النبوية في حياة الإمام السبّط عليه السلام، غير أنني سأختار منها ما يرتبط بطفولة السبّط عليه السلام والتي كان فيها ملازماً لجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله يتعلم منه السمو الأخلاقي الرفيع ومنها هذه القصة الرائعة التي تدلنا على رفيع المستوى العلمي والأخلاقي اللذين ورثهما الحسن والحسين عليهما السلام من جدّهما الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله: روى العلامة المجلسي رضوان الله عليه، أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء، فأرادا أن يعلماه الوضوء، ولكن بطريقة أخلاقية عالية جداً بحيث لا يُشعرا الشيخ بالإهانة، فابتكرا طريقة رائعة وهي أنّهما تنازعا في الوضوء أمام ذلك الشيخ، وأخذا يقولان كلّ واحد منهما للآخر: أنت لا تحسن الوضوء، فقالا: أيها الشيخ كن حكماً بيننا يتوضأ كلّ واحد منا، فتوضأ، ثمّ قالا: أينما يحسن؟ قال

(١) الشيخ عبّاس القمي: الأنوار البهية: ص/ ٨٨، فصل/ في مناقب الإمام الحسن عليه السلام.

(٢) أبو العبّاس عبد الله الحميري القمي، قرب الإسناد: ص/ ١١٣، ح/ ٣.

الشيخ: كلاهما تحسان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل - هو يشير إلى نفسه - هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما^(١).

نعم إنهم فطموا العلم منذ صغرهم، ومن يكن مدارج الوحي مدرسته العلمية فماذا يطمح بعد ذلك؟ إنها الجامعة الكبرى التي ليس لها مثل في العالم!

وهذا القصة الثانية التي توضح الأثر العلمي لرسول الله ﷺ في شخصية ولده الحسن عليه السلام، حيث يروي العلامة محمد باقر المجلسي قدس سره هذه الرواية عن حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه أحد حواربي رسول الله ﷺ فيقول: بينما كان رسول الله ﷺ وجماعة من أصحابه، إذ أقبل إليه الحسن فأخذ النبي ﷺ في مدحه، فلما قطع رسول الله ﷺ كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجتر هراوة له، فلما نظر رسول الله ﷺ قال: «قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وإنه يسألكم من أمور، وإن لكلامه جفوة»، فجاء الأعرابي فلم يتسلم وقال: أيكم محمد؟ قلنا: ما تريد؟ قال رسول الله ﷺ: «مهلاً».

فقال: يا محمد، لقد كنت أبغضك ولم أرك، والآن فقد ازددت لك بغضاً.

فتبسم رسول الله ﷺ وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة، فأومى إلينا رسول الله ﷺ أن اسكتوا.

فقال الأعرابي: يا محمد إنك تزعم أنك نبي، وأنتك قد كذبت علي

(١) راجع بحار الأنوار: ج / ٤٢، ص / ٣٣٢.

الأنبياء، وما معك من برهانك شيء.

فقال له عليه السلام: «وما يدريك؟».

قال: فخبّرني ببرهانك.

قال عليه السلام: «إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد

برهاني».

قال: أويتكلم العضو؟ قال عليه السلام: «نعم، يا حسن قم!»

فازدري الأعرابي نفسه، وقال: ما يأتي، ويقيم صبيّاً ليكلمني.

قال عليه السلام: «إنك ستجده عالماً بما تريد».

فابتدرة الحسن عليه السلام: «مهلاً يا أعرابي»

ما غيباً سألت وابن غبي بل فقيهاً إذن وأنت الجهول

فإن تك قد جهلت فإنّ عندي شفاء الجهل ما سأل السؤؤل

ونجراً لا تقسّمه الدوالي تراثاً كان أورثه الرسول

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك، وخادعت نفسك، غير أنّك لا

تبرح حتى تؤمن إن شاء الله.

فتبسّم الأعرابي وقال له: هيه

فقال له الحسن عليه السلام: «نعم، اجتمعتم في نادي قومك وتذاكرتم ما جرى

بينكم على جهلٍ وخرقٍ منكم، فزعمتم أنّ محمداً صنبور - أي لا خلف له -

والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنّك قاتله، وكان في

قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمّه تريد

قتله، فعسر عليك مسلكك وعمي عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفاً

من أن يشتهر، وأنتك إنما جئت بخير يراد بك، أنبتك عن سفرك، خرجت في ليلة ضحايا، إذ عصفت ريح شديدة، اشتد منها ظلماتها، وأظلمت سماؤها، أعصر سحابها، فبقيت محرغماً كالأشقر، إن تقدم نُحر، وإن تأخر عُقر، لا تسمع لواطئ حساً، ولا لنافع نارٍ جرساً، تراكمت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها، فلا تهتدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع محجة، وتهبط لجة، في ديمومة قفر، بعيدة القعر، مُجحفة بالسفر، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً، الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرت عينك، وظهر دينك، وذهب أُنينك.

قال الأعرابي متعجباً: من أين قلت يا غلام هذا؟! كأنك كشفت عن سويداء قلبي، ولقد كنت كأنك شاهدتني، وما خفي عليك شيء من أمري، وكأنه علم الغيب!!!

ثم قال الأعرابي للحسن عليه السلام: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

وأسلم الأعرابي وحسن إسلامه، وعلمه رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فقال: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأعرفهم ذلك؟ فأذن له ﷺ، فانصرف إلى قومه، ثم رجع ومع جماعة من قومه فدخلوا الإسلام، وكان الناس إذا نظروا إلى الحسن عليه السلام، قالوا: لقد أعطي ما لم يُعط أحد من العالمين^(١).

(١) بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٢٢٢، والثاقب في المناقب: ص / ٢١٦-٢١٩، فصل / ٧ من الباب / ٥، ح / ٢.

هكذا كان السبب الأكبر ﷺ، يتحدث عن لسان جدّه الحبيب المصطفى ﷺ، فلا غرو ولا عجب ممن ارتشف من معارف النبوة، وارتضع من لبان الرسالة، فصار يقارع بذلك عقول الرجال على صغر سنّه، بعد أن يفصح بأبلغ بيان دلائله، ويكشف بأوضح بصائر صحيحه، لا سيّما وأنّه عاش ظلال الوحي ومعدن التنزيل، فلا شك في كونه يسير على خطى السلوك المحمّدي، ولقد قال جدّه المصطفى ﷺ فيه: «الحسن ضلع من أضلاعي»^(١).

وعن محمّد بن مسلم قال: سمعتُ أبا جعفر وأبا عبد الله ﷺ يقولان: بينا الحسن ﷺ في مجلس أمير المؤمنين ﷺ، إذ أقبل قوم فقالوا: يا أبا محمّد أردنا أمير المؤمنين، قال: «وما حاجتكم؟» قالوا: أردنا أن نسأله عن مسألة، قال: «وما هي تخبرونا بها؟» فقالوا: امرأة جامعها زوجها فلما قام عنها قامت بحموتها فوقعت على جارية بكر فساحتها فألقت النطفة فيها فحملت فما تقول في هذا؟ فقال الحسن ﷺ: «معضلة وأبو الحسن لها، وأقول: فإن أصبت فمن الله ثم من أمير المؤمنين ﷺ وإن أخطأت فمن نفسي، فأرجو أن لا أخطئ إن شاء الله: يعمد إلى المرأة فيؤخذ منها مهر الجارية البكر في أوّل وهلة لأنّ الولد لا يخرج منها حتّى تَشُق فتذهب عذرتها، ثم تُرجم المرأة لأنّها محصنة، ثم ينتظر بالجارية حتّى تضع ما في بطنها ويرد الولد إلى أبيه صاحب النطفة، ثم تجلد الجارية الحدّ»، قال: فانصرف القوم من عند الحسن ﷺ فلقوا أمير المؤمنين ﷺ فقال: ما قلتم

(١) ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب: ص / ٢١٦، فصل / ٧، باب / ٥، ح /

لأبي محمد؟ وما قال لكم؟ فأخبروه، فقال: «لو إني المسؤول ما كان عندي فيها أكثر مما قال ابني»^(١).

نعم، هكذا أجوبة لا تخرج إلا من بيوت النبوة ومعادن الرسالة ومهابط الوحي والتنزيل، وأنهم أبواب لمدينة العلم الإلهي، فلا يمكن لأحدٍ إلا أن يطرّقها ليغترف منها معين العلم الصافي.

ومن تلك العلوم التي لا يعرف محتواها إلا الراسخون فيها، أن شامياً^(٢) سأل الحسن بن علي عليه السلام فقال: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟

فقال الحسن بن علي عليه السلام: «بين الحق والباطل أربع أصابع فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً»، قال الشامي: صدقت، قال عليه السلام: «وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومدّ البصر، فمن قال لك غير هذا فكذب»، قال: صدقت يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: «وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها»، قال الشامي: صدقت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله ﷺ حقاً، وأن علياً أولى

(١) الكافي: ج / ٧، ص / ٢٠٣، باب آخر / من الحد في المستحق، ح / ١.

(٢) أرسله معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين عليه السلام، متخضياً لكي يسأله عن مسائل أرسلها ابن الأضر، وهو ملك الروم لمعاوية وقال له: «إن كنت أنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمد فأجبني عما أسألك فإنك إذا فعلت ذلك اتبعتك وأبعث إليك بالجائزة فلم يكن عنده جواب» وعندما لم يكن لمعاوية الجواب بعثه فطلب منه أمير المؤمنين أن يسأل أسئلته أحد الحسنين، فاختر الحسن عليه السلام، ولقد أخذ مضمون جواب الإمام الحسن عليه السلام، بعض علماء السنة ونسبه إلى عمر بن الخطاب، كما فعل ذلك الطبري في تاريخه وغيره من المعاصرين الكثير.

بالأمر من معاوية، ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية، فبعثها معاوية إلى ابن الأصفر، فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية لم تكلمني بغير كلامك وتجيبي بغير جوابك، أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلا من معدن النبوة وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك^(١)!

إن مدرسة بهذا المستوى العلمي الرفيع، لا بد لها أن تخرج هكذا شخصيات علمية بمثل السبط الأكبر الإمام الحسن عليه السلام، عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن، وذلك بالعلم اللدني الذي منحه الباري عز وجل، وكذلك بالعلم الاكتسابي من رسول الله ﷺ، وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

ومن مصاديق العلم اللدني هذه الروايات التي نقلها إلينا الرواة، فعن قطب الدين الراوندي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسن بن علي عليه السلام، كان عنده رجلان، فقال لأحدهما: إنك حدثت البارحة فلاناً بحديث كذا وكذا، فقال الرجل: إنه ليعلم ما كان، وعجب من ذلك، فقال عليه السلام: «إنا لنعلم ما يجري بالليل والنهار، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى علم رسوله ﷺ الحلال والحرام والتزليل والتأويل، فعلم رسول الله ﷺ علياً علمه كله»^(٢).

والدليل على ذلك كله أن المخالفين الذين عاصروه صلوات الله عليه من أبناء الصحابة الأوائل اعترفوا بعلمه ودرايته وسبقه في كل المجالات!

(١) الشيخ الصدوق، الخصال: ص/ ٤٤٠-٤٤٢، باب/ العشرة، حديث/ ٣٣.

(٢) الخرائج والجرائح: ج/ ٢، ص/ ٥٧٣-٥٧٤، ح/ ٣.

فقد روى زعيم الطائفة السيد حسين البروجردي قدس سره بالسند المعنعن عن عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر في الحسن والحسين عليهما السلام حيث قالوا: «إنهما غُذِيََا بالعلم غذاء»^(١).

وأدّل دليل على ذلك أن الإمام ليعلم كل لغات أهل الأرض وما خفي من كل لغة على أهلها، حتى لغات كل المخلوقات من غير الإنس.

فعن السيد ابن طاووس قدس سره، قال الإمام الحسن عليه السلام: «إن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات، وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيري والحسين أخي»^(٢).

وأهل البيت عليهم السلام عندهم علم الكتاب، وكل الكتب السماوية النازلة على جميع الأنبياء والمرسلين، ومنها كتاب الله الحكيم الذي قرن بهم فهم أعدائه الذين لن يفترقوا إلى يوم القيامة.

قال السبب الأكبر عليه السلام: «نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أمته، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله

(١) جامع أحاديث الشيعة: ج / ٨، ص / ٤٥٤، باب / ٣٦، ح / ٣٧.

(٢) العروسي الحويزاوي، تفسير نور الثقلين: ج / ٤، ص / ١٧٦-١٧٧، سورة الروم،

عز وجل ورسوله ﷺ مقرونة»^(١).

ومن منطلق الجامعة العلمية الكبرى للرسول الأعظم ﷺ، التي ارتشف من معينها السبب الأكبر ﷺ، انطلق بعلمه الإلهية والنبوية لينشرها في الأرض، وكان صلوات الله وسلامه عليه يحث على كتابة العلم وتدوين الأحاديث ونشر الأحكام، مع أن أصحاب السقيفة منعوا من تدوين الحديث بعد رسول الله ﷺ، وأن الأول أحرقت الأحاديث، والثاني كان يعاقب ويضرب من يسمع أنه تحدث بحديث عن النبي المصطفى ﷺ، وهذا نابع من جهلهم المركب حتى يكتب الله جل وعلا الذي كانوا يدعون الناس إليه! ولكن علياً ﷺ وولده الحسن ﷺ كتبوا ودونوا، ولولا تدوينهم للعلم لضاع العلم ولا ندرس الدين، فهي منقبة لعلي وأولاد علي صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين.

قال القاضي ابن عياض: «كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرها كثيرون منهم وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف»^(٢).

وعن ابن حمزة الطوسي، أن رسول الله ﷺ نظر إلى ولده الحسن ﷺ، وهو لا يرفع بصره عنه، وقال: «آته سيكون بعدي هادياً مهدياً، هذا هدية من رب العالمين لي، ينبئ عني ويعرف الناس آثاره، ويحيي سنتي، ويتولى أموري في فعله، وينظر الله تعالى إليه ويرحمه، رحم

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي: ص / ١٢١، المجلس / ٥، ح / ١.

(٢) النووي، شرح مسلم: ج / ١٨، ص / ١٢٩ - ١٣٠.

الله من عرف له ذلك، وبرّني فيه، وأكرمني فيه»^(١).

وكان صلوات الله وسلامه عليه يهتم بالناشئة والأطفال كما كان جدّه يهتم به، فإذا رأهم عطف عليهم وشجعهم، وأنه ﷺ دعا بنيه وبني أخيه، فقال: «إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»^(٢).

(١) الثّاقب في المناقب: ص / ٣١٦. فصل / ٧ من الباب / ٥، حديث / ٣.

(٢) منية المرید: ص / ٣٤٠، باب / أهمية العلم والكتابة.

كان السَّبَط الأكبر ﷺ،
عظيماً في أخلاقه، حَسَناً في
سجاياه، أليس من يُذَكِّر النَّاس



أخلاقه وسجاياه ﷺ

بأخلاق جدّه الحبيب المصطفى ﷺ؟

كيف تكون أخلاق من تربي في مدرسة النبوة ومدارج الوحي؟

كان ﷺ يعامل أعداءه بالرّفق واللين ويقابل إساءتهم بالإحسان مما
يؤدي إلى هداية الكثير منهم، فكان في شمائله آية في الإنسانيّة والمثل
العليا ومنتهى الفضيلة، ما رآه إلا هابه، ولا خالطه إنسان إلا أحبّه!
فكان ﷺ نسخة طبق الأصل كجدّه الحبيب المصطفى ﷺ، وكيف لا
وقد قال عنه جدّه ﷺ: «أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي»^(١).

ولقد أطراه كلّ من رآه أو عرفه أو سمع به، حيث قال المؤرخ الشهيد
أبو الحسن المدائني: كان الحسن ﷺ، سيداً سخياً حلّياً، وكان رسول
الله ﷺ يحبّه^(٢) وروى محمّد بن إسحاق فقال: ما بلغ أحد من الشرف
بعد رسول الله ﷺ، ما بلغ الحسن بن علي ﷺ، كان يبسط له على باب

(١) علي التّمازي الشّاهرودي، مستدرك سفينة البحار: ج / ٥، ص / ٣٤٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ٢٧.

داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فيمرّ الناس^(١).

وروى ابن شهر آشوب عن ابن عائشة: أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه! والحسن ﷺ لا يرد.

فلما فرغ، أقبل الحسن ﷺ عليه، فسلم عليه وضحك وقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعبتنا أعتبتنا، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كبيراً» فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ.

وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم^(٢)، وروى القمي: أن جارية حيت الإمام الحسن ﷺ بطاقة ربحان، فقال لها: «أنت حرّة لوجه الله»، فقيل له في ذلك، فقال ﷺ: «أدبنا الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِنَحْيِهِ فَبِئْسَ مَا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٣)، وكان أحسن منها إعتاقها»^(٤)، وروى أن غلاماً للإمام الحسن ﷺ جنى جناية

(١) الشيخ حسين سليمان، الإمام الحسن القائد والأسوة: ص / ٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ١٩، فصل / في مكارم أخلاقه ﷺ.

(٣) النساء / ٨٦.

(٤) الأنوار البهية: ص / ٨٨، فصل / في مناقب الإمام الحسن ﷺ.

توجب العقاب، فأمر به أن يضرب، فقال: «والكاظمين الغيظ» قال: «خلّوا عنه»، قال: يا مولاي: «والعافين عن الناس»، قال: «قد عفوت عنك»، قال: يا مولاي: «والله يحب المحسنين»، قال: «أنت حرّ لوجه الله تعالى ولك ضعف ما كنت أعطيك»^(١).

وروى ابن شهر آشوب، أن الإمام الحسن عليه السلام مرّ على فقراء، وقد وضعوا كُسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلم يا ابن بنت رسول الله إلى الغداء، قال: فنزل عليه السلام وقال: «إن الله لا يحب المتكبرين».

وجعل عليه السلام يأكل معهم، حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم^(٢).

وروى العلامة المجلسي، أن مروان بن الحكم بن أبي العاص، شتم الحسن بن علي عليه السلام فلما فرغ قال له الحسن: «إني والله لا أمحو عنك شيئاً ولكن موعدك الله، فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشد نقمة مني»^(٣).

أقول: مروان هذا: لعنه رسول الله وهو في صلب أبيه الحكم، وطرده وأباه عن المدينة، كان من أعدى الخلق لله وللرسول عليه السلام ولأهل البيت عليهم السلام، حارب أمير المؤمنين عليه السلام بتهمة دم عثمان مع أن الحكم وباعتراف كبار محدثي العامة هو السبب الأول في قتله، ولعن وسب أمير

(١) الفرج بعد الشدة: ج / ١، ص / ٨٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٨٧، باب / إمامة أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج / ٤٢، ص / ٢٥٢، باب / ١٦، ضمن حديث / ٢٩.

المؤمنين عليه السلام على منبر المدينة، وتجراً على التَّنْقِصِص من شأن الصّديقة فاطمة عليها السلام وأذى الإمام الحسن عليه السلام في حياته وبعد استشهاده، وضادّ الإمام الحسين عليه السلام وكان يصرح بكرههما، وبعدهما فعل من الظلم والعداء لآل الرسول صلى الله عليه وآله والإسلام، تسلم الملك بعد وفاة معاوية الثّاني ابن يزيد، وكان ملكه متقطعاً ولم يطل به الأمر أكثر من تسعة أشهر وهلك سنة ٦٥ هـ.

وجاء بعض الأعراب إلى الإمام الحسن عليه السلام ليسأله، فقال عليه السلام: «أعطوه ما في الخزانة»، فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي، ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي، فأنشأ الحسن عليه السلام قائلاً:

نحن أناس نوالنا خـضـلٌ

يرتـع فيه الرّجاء والأملُ

تجسود قبل السّؤال أنفسنا

خوفاً على ماء وجسه من يسـلُ

لو علم البحر فضل نائلنا

لغاصّ من بعد فيضه خـجـلٌ^(١)

وروي أنّه سأل الحسن بن علي عليه السلام رجل فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال: «إئت بحمّال يحمله لك» فأتى بحمّال فأعطاه طيلسانه، وقال: «يكون كراء الحمّال من قبلي»^(٢).

(١) ابن شهر آشوب، المناقب: ج / ٤، ص / ١٦، فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام.

(٢) شرح إحقاق الحق: ج / ١١، ص / ١٢٩، عن الرّسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري النّيشابوري الشّافعي «ت / ٤٦٥ هـ»، ص / ١٢٥، ط / مصر.

ومن منطلق هذه الأخلاق، وهذا الكرم العالي، أن أمير المؤمنين ﷺ قال في حق ولده الحسن ﷺ: إنه يُكرم بحيث يستغني السائل، فلا يبقى له حاجة حتى يأتيه من باب آخر، وذلك في قصة أن حاتم جعل عشرة أبواب لبيته ليدخل عليه عدة مرّات فيعطيه، هكذا كان السبّط الأكبر في تعامله الأخلاقي والكرمي إلى حيث الجود ما بلغ، ففي الرواية التي رواها علي بن زيد بن جدعان: إن الحسن بن علي ﷺ قاسم الله تعالى ما له ثلاث مرّات، حتى أنّه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خُفّاً ويمسك خُفّاً^(١).

ومن جوده ﷺ أن أعرابياً جاءه برقعة لحاجة قد كتب عليها:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم يكفيك رؤية منظري من مخبري
إلا بقايا ماء وجهه صُتته أفلا أبيع وقد وجدتك مشتري

فأعطاه الإمام ﷺ ما لا جزيلاً وأجابه:

عاجلتنا في الأمر فأتاك وابل برنا ولو أمهلتنا لم نقصر
فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ما صُتته وكأنا لم نشتري^(٢)

ويروي المؤرخون عن سخائه، أن رجلاً سأل من الإمام الحسن ﷺ شيئاً، فأمر له بأربعمائة درهم، فكتب له بأربعمائة دينار، فقيل له في ذلك، فأخذه وقال: «هذا سخاؤه» وكتب عليه بأربعة آلاف درهم^(٣).

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٨٠، باب / إمامة أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، العدد القوية: ص / ٢٩، اليوم / ١٥، حديث / ١٨، الشيرازي في مناقب أهل البيت عليه السلام: ص / ٢٤٠، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ج / ١٣، ص / ٢٤٣، والمزني في تهذيب الكمال: ج / ٦، ص / ٢٢٢، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ١٠ وغيرها.

(٢) العاملي، الانتصار: ج / ٨، ص / ١٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٨٢، باب / إمامته عليه السلام.

وفي الرواية: إن الإمام الحسن عليه السلام، وهب لرجل ديته^(١).
ومنها: إن الإمام السبط عليه السلام، سمع رجلاً إلى جنبه في المسجد الحرام، يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف إلى بيته وبعث إليه بعشرة آلاف درهم!

ومنها: إن الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليه، خرجوا حجاجاً ففاتهم أنقالتهم فجاجوا وعطشوا، فرأوا في بعض الشعوب خبأً رثاً وعجوزاً، فاستسقوها، فقالت: اطلبوا هذه الشويهة، ففعلوا واستطعموها فقالت: ليس إلا هي فليقم أحدكم فليذبحها حتى أصنع لكم طعاماً فذبحها أحدهم، ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا وقلوا عندها فلما نهضوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا انصرفنا وعدنا فالمني بنا فإننا صانعون بك خيراً ثم رحلوا، ثم مضت الأيام فأضرت بها الحال، فرحلت حتى اجتازت بالمدينة فبصر بها الحسن عليه السلام فأمر لها بألف شاة وأعطها ألف دينار، وبعث معها رسولاً إلى الحسين عليه السلام فأعطها مثل ذلك، ثم بعثها إلى عبد الله بن جعفر فأعطها مثل ذلك^(٢).

لكن الإربلي قال: إنها أتت عبد الله بن جعفر فقال ابدي بي سيدي الحسن والحسين عليهما السلام فأتت الحسن عليه السلام فأمر لها بمائة بعير، وأعطها الحسين عليه السلام ألف شاة، فعادت إلى عبد الله فسألها فأخبرته فقالت: كفاني سيدي أمر الإبل والشاة، وأمر لها بمائة ألف درهم^(٣).

(١) مستدرک سفینة البحار: ج / ٤، ص / ٥١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٣٤١-٣٤٢، باب / ١٦، ح / ١٥.

(٣) كشف الغمة: ج / ٢، ص / ١٨٢-١٨٣، فصل / في كرمه وجوده وصلاته.

وقد روى هذه القصة بتفاصيل مختلفة مؤرخ مدينة دمشق ابن عساكر
الدمشقي في ترجمة عبد الله بن جعفر في حرف العين من كتابه تاريخ مدينة
دمشق في قصة الأجواد العشرة في الجزيرة العربية والعراق.

كلّ هذا الكرم مع من لا يعرفهم عليه السلام، فكيف يعدّو أهل البيت عليهم السلام،
كان يتعامل السبّط الأكبر صلوات الله عليه؟

حيث روي أنّه خرج الإمام الحسن عليه السلام ليركب بغلته، وكان مروان بن
الحكم مشغولاً بها، فأرسل بن أبي عتيق، وهو [عبد الله بن محمد بن عبد
الرحمن بن أبي بكر] عنده، فقال له الحسن عليه السلام متبسماً: «ألك حاجة؟»
قال: نعم، ركوب البغلة، فنزل الحسن عليه السلام ودفعها إليه ^(١).

وروي أبو نجيع المكي الثقفني، قال: رأيت الحسن بن علي عليهما السلام يأكل
وبين يديه كلب، كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا ابن رسول
الله ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟ قال: «دعه إنّي لأستحي من الله
تعالى أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا أكل ثم لا أطعمه» ^(٢).

وروي أيضاً أن السبّط الأكبر عليه السلام، أعطى شاعراً، فقال له رجل من
جلسائه: سبحان الله أتعطي شاعراً يعصي الرحمن ويقول البهتان؟
فقال عليه السلام: «يا عبد الله إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإن
من ابتغاء الخير اتقاء الشر» ^(٣).

وروي: إن رجلاً جاء إلى السبّط الأكبر عليه السلام وسأله حاجة فقال له: «يا

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٨٣، باب / إمامته عليه السلام.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: ج / ٨، ص / ٥١٦، باب / ٤٦، حديث / ١٥٦٦.

(٣) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ١٠.

هذا، حقّ سؤالك يعظم لديّ، ومعرفتي بما يجب لك يكبر لدي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله عزّ وجلّ قليل، وما في ملكي وفاء لشركك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتفال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت».

فقال: يا ابن رسول الله، أقبل القليل، وأشكر العطيّة، وأعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها فقال: «هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم»، فأحضر خمسين ألفاً، قال: «فما فعل الخمسمائة دينار؟» قال: هي عندي، قال: «أحضرها» فأحضرها فدفع الدرهم والدنانير إلى الرّجل، فقال: «هات من يحملها لك»، فاتاه بحمّالين فدفع الحسن عليه السلام إليه رداءه لكراء الحمالين، فقال مواليه: والله ما بقي عندنا درهم، فقال: «لكني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم»^(١).

وروي أنّ الحسن بن علي عليه السلام، كان له دين على إنسان، فطالب غريمه فقال: أحسن إليّ يا بن رسول الله، فقال عليه السلام: «وهبتُ لك النّصف» فقبل له النّصف كثير، فقال عليه السلام: «وأين ذهب قوله تعالى؟: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من تمام الإحسان أن يحط الشّطر»^(٣).

وروي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ أناساً بالمدينة قالوا: ليس

(١) كشف الغمة: ج/ ١، ص/ ٥٥٨ - ٥٥٩. في كرمه و جوده وصلاته.

(٢) البقرة/ ١٩٥.

(٣) السرخسي، المبسوط: ج/ ١٤، ص/ ٩١.

للحسن ﷺ مال، فبعث الحسن ﷺ إلى رجل بالمدينة فاستقرض منه ألف درهم، فأرسل بها على المصدق^(١)

وروي عن الإمام الصادق ﷺ في حديث: «مات الحسن ﷺ وعليه دين»^(٢).

لقد روى المؤرخون صوراً كثيرة من ألوان بره وكرمه ومعروفه التي كان يغدق بها على السائلين والفقراء والمحرومين لإنقاذهم مما كانوا يعانون من آلام الحاجة والبؤس ابتغاء وجه الله وثوابه لا للجاه والدنيا وتدعيم ملك وسلطان ولا لمكافأة على المديح والثناء كما كان يصنع معاوية وغيره من الأمويين والعباسيين، ومن يتلذذون بالمديح والإطراء والجاه والسلطان، وأخبار كرمه كثيرة، وما أوردناه هو مقدار يسير من أحاديث الرواة عن كرمه ومعروفه، وإن كان الكثير مما يرويه الرواة يخضع للنقد والحساب، إلا أن القليل المتفق عليه بينهم يكفي لأن يجعله في القمة بين أجواد العرب الذين لا يرون للمال وزناً، ولا يحسبون له حساباً^(٣)، ولهذا اشتهر عند المسلمين بأنه ﷺ هو «كريم أهل البيت ﷺ».

(١) وسائل الشيعة: ج / ٥، ص / ٩، باب / ٣، ح / ١.

(٢) المحاسن: ج / ٢، ص / ٣١٩، باب / فضل السفر، ح / ٤٦.

(٣) الشيخ حسين سليمان، الإمام الحسن عليه السلام القائد والأسوة، ص / ٢٩.

في زهده وعبادته عليه السلام



كان الإمام الحسن عليه السلام
أعبد الناس في زمانه وأزهدهم
وأفضلهم، وكان إذا حجَّ حجَّ

ماشياً، وربما مشى حافياً، ولا يمرّ في شيء من أحواله إلا ذكر الله سبحانه،
وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً، وكان إذا بلغ المسجد رفع
رأسه وقال: «إلهي ضيفك بيابك، يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن
قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»^(١).

فعلاقة السَّبَط الأكبر عليه السلام مع الله تعالى هي علاقة الإمام المعصوم
العارف بخالقه المنعم عليه، ولهذا فإنه عليه السلام، وفي كل حياته الشريفة كان
يعيش في قمة العبودية لله تعالى، وينظر إليه بعين الإمامة العارفة.

وقد روي أنّ السَّبَط الأكبر عليه السلام، كان إذا توضأ ارتعدت فرائضه
واصفراً لونه فقيل له في ذلك؟ فقال: «حق على كل من وقف بين يدي رب
العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله».

وروي أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم
حتى تطلع الشمس، وإن رُحِزَ [أي: وإن أريد تنحيته] من ذلك باستنطاق

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ١٤، في مكارم أخلاقه عليه السلام.

ما يهم^(١).

وروى المجلسي قدس سره، عن الإمام الصادق عليه السلام: إن الحسن بن علي عليه السلام حجَّ خمسة وعشرين حجة ماشياً، وقاسم الله تعالى ماله مرتين^(٢).

وفي رواية: إنه عليه السلام قاسم ربه ثلاث مرات، حتى نعلاً بنعل، وثوباً ثوباً، وديناراً ديناراً، وحجَّ عشرين حجة ماشياً على قدميه^(٣)، خضوعاً وخشوعاً لله تعالى^(٤)، وتساوق معه المحامل والرّحال^(٥)، وكان صلوات الله وسلامه عليه يعمل بسنة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث يقول: «من مشى حافياً في طاعة الله لم يسأله الله عزّ وجلّ يوم القيامة عما افترض عليه»^(٦)، وروى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، كان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره، شهق شهقة يُغشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله تعالى الجنة وتعوّذ به من النار وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا

(١) بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٣٣٩، باب / ١٦، ضمن حديث / ١٣، والزّمخشري في الفائق في غريب الحديث: ج / ٢، ص / ٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الطّوسي، تهذيب الأحكام: ج / ٥، ص / ١١-١٢، باب / ١، ح / ٢٩.

(٤) انظر: البيهقي، السنن الكبرى، ج / ٤، ص / ٢٢٢ وغيره من كتب السنة.

(٥) الكليني في الكافي: ج / ٤، ص / ٤٥٦، باب / الحج ماشياً، ح / ١.

(٦) الطّبراني، المعجم الأوسط: ج / ٦، ص / ٢٠١.

قال: لبيك اللهم لبيك، ولم يُر في شيء من أحواله إلا ذكراً لله سبحانه^(١)، ومن خوفه العملي من الله سبحانه وتعالى، ما رواه ابن شهر آشوب المازندراني الحلبي قال: دخلت على الحسن عليه السلام، امرأة جميلة وهو في صلاته فأوجز في صلاته ثم قال لها: «ألك حاجة؟» قالت: نعم، قال: «وما هي؟» قالت: قم فأصب مني فاني رَفَدْتُ ولا بعل لي!، قال: «إليك عني لا تحرقيني ونفسيك بالنار!»

فجعلت تراوده عن نفسه وهو يبكي ويقول: «ويحك إليك عني» واشتدَّ بكاؤه، فلما رأت ذلك بكت لبكائه!

فدخل الحسين عليه السلام، ورآهما يبكيان فجلس يبكي وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويبكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات، فخرجت الأعرابية، وقام القوم ورحلوا!^(٢)

(١) الأمالي: ص / ٢٤٤، المجلس / ٢٢، ح / ١٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٨٠ - ١٨١، باب / إمامته عليه السلام.

زوجاته وأبناءه



لم يكن أحداً يكرم المرأة
بعد الرسول الأعظم ﷺ، إلا
العترة النبوية، ومنهم السَّبَط

الأكبر الإمام الحسن عليه السلام، وقد روي عن الحبيب المصطفى عليه السلام أنه قال:
«ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»^(١).

ومن منطلق هذا الإكرام، عاش الإمام الحسن السَّبَط عليه السلام كغيره من
رجال آل أبي طالب وأترابه من قريش، حياةً ملؤها السكينة والوقار
والهدوء، مع أن حياته السياسية كانت مليئة بالكثير من الهزات، لكنها لم
تؤثر على حياته الأسرية، لما كان يتمتع به عليه السلام من عظيم الأخلاق والكرم
والسجايا الحميدة.

ولقد تحدث المؤرخون عن الشؤون الداخلية لأسرته عليه السلام، وأكثروا
من الأكاذيب إلى حد المبالغة، وألصقوا بسيد شباب أهل الجنة عليه السلام ما لا
يقبله العقل، ولا يرتضيه الوجدان والسلوك الأخلاقي الذي كان يتميز به
ويحمله بين جوانحه، وهذه التهم والمبالغات صدرت من أسرة ظلَّت
تحمل الحقد والضغينة على آل البيت النبوي الطاهر كإبراً عن كابر، وهم

(١) السيد محسن الأمين الحسيني العاملي، أعيان الشيعة: ج / ٥، ص / ٢٠٦.

«بنو أمية» الذين حفل تأريخهم الأسود بما يندى له جبين الإنسانية من سوء الفعال، والعهر والفجور!

ولا أدري كيف يستطيع الباحث الملتزم أن يتجنب ما صنعتة أيادي العبث الأموية والمروانية من تعدٍ وتجنُّ على الدِّين وعلى حرَمات سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله المظلومين المعصومين وأصحابه الغر الميامين من ضحوا وقدموا كل شيء من أجل الدفاع على تلك الحرَمات، بل وبذلوا كرامتهم ودمائهم رخيصة في قبال الصَّرح الشَّامخ للبيت النبوي الطَّاهر، وعلى الخصوص سادات العترة وسيدي شباب أهل الجنة وريحانتي الرِّسول المصطفى محمد ﷺ، وفلذة أكباد علي الوصي ﷺ والزَّهراء البتول سيدة النَّساء ﷺ، ومن جنَايات التَّاريخ الأسود لبني أمية اللثيمي النَّسب والحَسب، ومن جنَاياتهم الرَّعناء التي وجَّهوها للسُّبِّ الأَكْبَر والإمام الخليفة الثاني بالحق الأشهر من الشَّمس في رابعة النَّهار، السُّبِّ الأَكْبَر الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، هي: كثرة زواجه وطلاقه من النَّساء، حتَّى عدَّوا له «٣٠٠» ثلاثمائة امرأة بين عقد دائم وعقد منقطع، وكانَّ سيد شباب أهل الجنة ﷺ، رجل نزق شبق، كان همَّه الوحيد نكاح النَّساء، وليس هموم المسلمين، وكيف لا: وهو وارث الإمامة والخلافة عن جدِّه الحبيب المصطفى ﷺ، الَّذي كان يؤكِّد دائماً على رؤوس الأشهاد فضله وفضل أخيه الإمام الحسين ﷺ وإمامتهم من بعده على المسلمين.

ولا يخفى على الحاذق اللبيب إنَّ الإمام الحسن ﷺ ورث الجمال الباهر والوجه الأنور الزَّاهر عن أسرته بني هاشم، الَّذين كانوا يمتلكون جميعهم صفات الجلال والجمال، ولاسيَّما وارث النَّبوة والإمامة سيد شباب

أهل الجنة الإمام بن الإمام أخو الإمام عمّ الإمام، الحسن السبط الأكبر عليه السلام.
 لقد كان سلام الله عليه، جميلاً وسيماً رشيداً، كلّ من كان يراه ينبهر
 بجماله وجلاله فكيف بالنساء!

وقد روى محمّد بن إسحاق بن يسار المطليبي بالولاء المدني «ت/ ١٥١ هـ» وهو من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومن أشهر وأقدم
 المؤرخين العرب والمسلمين، قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول
 الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن بن علي عليه السلام، كان يُسبط له على باب داره، فإذا
 خرج وجلس انقطع الطريق، فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم
 قام ودخل بيته فيمرّ الناس.

قال الراوي: ولقد رأيت في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى، فما من
 خلق الله أحد إلا نزل ومشى، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص قد نزل
 ومشى إلى جنبه^(١).

يقول الراوي، وهو إبراهيم بن الرّافعي عن أبيه علي عن جدّه الحسن بن
 علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله المدني: رأيت الحسن
 والحسين عليهما السلام يمشيان إلى الحج، فلم يمرّ برجل راكب إلا نزل يمشي،
 فثقل ذلك على بعضهم، فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي
 ولا نستحسن أن نركب وهذان السيّدان عليهما السلام يمشيان، فقال سعد
 للحسن عليه السلام: يا أبا محمّد، إنّ المشي قد ثقل على جماعة ممّن معك،
 والناس إذا رأوكما تمشيان لم تطب أنفسهم أن يركبوا فلو ركبتما؟ فقال

(١) الفضل بن الحسن الطّبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج / ١، ص / ٤١٢ -

٤١٣، الفصل / ٣، طرق من خصائصه ومناقبه عليه السلام.

الحسن ﷺ: « لا نركب، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا، ولكننا نتكّب عن الطريق » فأخذنا جانباً من الناس^(١)!

بأبي هو وأمي ابن الزهراء البتول ﷺ، قضى حياته بالمجاهدات الروحانية والسيرة النبوية، وهو سيد شباب أهل الجنة، فكيف كان يتسنى له مع كل تلك العبادات والمجاهدات أن يتواصل مع جمهرة كبيرة من النساء، وعلى حدّ قول الأعداء اللائي كن يتتبعين من الإمام ﷺ المضاجعة ولو لليلة واحدة؟

لقد فعلت خزائن أموال المسلمين التي بيد معاوية مفعولها لترويج الدعايات الباطلة ضد ريحانة المصطفى ﷺ، وقد ملأت صفحات التاريخ ما سودته أقلام الكتّاب الماجورين لحياسة القصص الغريبة والعجبية عن الليالي الحمراء لفلذة كبد الزهراء ﷺ، وكأنه سلام الله عليه لم يكن له هم سوى أن يعانق واحدة ويتنقل لأخرى همه الوحيد إشباع غريزته الجنسية!

فإنّ اللعناء أرادوا أن يسقطوا الإمام ﷺ من الجانب الأخلاقي والاجتماعي اللذين كانا يمتلكه صلوات الله وسلامه عليه.

بل هو ﷺ: مثال الفضل والفضيلة وسعة الصدر والأخلاق مع العدو والصديق، صاحب الفصاحة والبلاغة، فهو تالي تلو أبيه المرتضى ﷺ في فصاحته وبلاغته منذ نعومة أظفاره، قريباً في مدرسة جدّه وأبيه صلوات الله وسلامه عليهما، والتاريخ زاخر بمكارم أخلاقه وصفاته المصطفوية المرتضوية الفاطمية العالية التي تسع جميع العالمين من الأولين والآخرين!

ولكننا لو أردنا استقصاء ما دبجته يراعات الواقدي والمدائني وأبو طالب المكي والشبلنجي الذي حذا حذوهم وغيرهم بقصد أو بغير قصد، في زواجه بثلاثمائة امرأة، ومن كن؟ ومن أين جئن؟ ومتى تزوجهن بدائم ومنقطع، وما هي عشائرن؟ فكل هذا لم يفصح لنا إلا عن أسماء بقدر أصابع اليدين، وما تبقى فهو من نسج الخيال، ولا يخفى إن الزواج في العصر الإسلامي الأوّل كان متعارفاً عليه أن يتزوج المسلم بأربعة غير المنقطعات في السفر والغزوات، وأما أن يتزوج المسلم مهما بلغ شأواً من المعرفة وكثرة الأموال بـ «٧٠» امرأة حتى تصل إلى «٢٥٠» أو «٣٠٠» امرأة فهي مبالغة كبيرة جداً جداً، ومعلومة أنها من دسائس التاريخ الذي كتب بأيدي المؤرخين العبشين المأجورين، لاسيما إن الذي صدر بحق هذا الافتراء العجيب هو سيد شباب أهل الجنة من الخلق، وهو الوارث الشرعي للبيت النبوي وللخلافة، والذي قام بترويج هذه الدعايات الباطلة ضده، إنما أراد أن يسقط الإمام الشرعي والخليفة بالحق من طريقه كي يتسنى له الإنفراد بالسلطة، وأن يحول الحكم الإسلامي إلى ملك عضوض، ذلك هو معاوية!

وأما نساء أبي محمد بن علي عليه السلام فهن على التوالي إن صح التاريخ بذكرهن:

- ١- أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري، واسمه عقبة بن عمرو، وقيل: عقبة بن ثعلبة الخزرجي.
- ٢- أم رباب بنت امرؤ القيس بن عدي بن تميم.
- ٣- أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التيمي.
- ٤- أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب.

٥- هند بنت سهيل بن عمرو.

٦- خولة بنت منظور بن ريان الفزارية، وأُمها مليكة بنت خارجة بن

سنان.

٧- زينب بنت سبيع بن عبد الله، أخو جرير بن عبد الله البجلي.

٨- امرأة من بنات عمرو بن إبراهيم المنقري.

٩- حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

١٠- جعدة بنت قيس الكندي، التي قتلت الإمام عليه السلام.

وهناك من ذكر:

امرأة من عشيرة ثقيف، وأخرى أم ولد معروفة بـ: صافية، وامرأة من بني كلب، وامرأة من بني شيبان، وأم ولد يقال: إن اسمها نفيلة، وامرأة من بني علقمة بن زرارة.

ومن أغرب الأقوال ما ذكره العلامة المجلسي قدس سره في بحاره عن بعضهم: أنه لما توفي الحسن عليه السلام، خرجت جمهرة من النساء حافيات حاسرات وهن يقلن: نحن زوجات الحسن، ويكفين وينادين بالويل والثبور^(١).

حتى ولو كان بعض هؤلاء النسوة زوجات لليلة واحدة.

وأظن أن العلامة المجلسي قدس سره، لم يكن متقصداً من ذكر هذه الرواية، إلا لأنه أراد أن يعرض للقراء ما كتب في التاريخ، ولو أنه لم يعلق على ذلك، مع أنه العالم الخبير المحقق، انظر إلى جناة الأقلام الأموية ماذا

(١) بحار الأنوار: ج/٤٤، ص/١١٥.

فعلت بالتأريخ الإسلامي وبالبيت النبوي الطاهر المطهر من الرّجس والخبث.

ومن تلك القصص المحبوبة والملففة على سيدنا وإمامنا السّبط الأكبر عليه السلام، أنّه خطب يوماً من أحدهم، فقال له الرّجل: «إني مزوجك وأعلم أنّك مَلِيقٌ طَلِيقٌ، ولكنك خير الناس نسباً وأرفعهم جدّاً وأباً».

فإن صحت هذه الرواية: ففيها قدح ومدح، فصاحبها نسب الفقر للإمام أولاً وقال أنّه: فقير ومطلق، ولكنه من أرفع البيوتات في الناس.

مع أنّ الإمام عليه السلام كان ثرياً إلى حدّ أنّه قسم أمواله ثلاث مرّات في سبيل الله.

وقد ذكر أبو طالب المالكي المكي «ت/٨٠هـ» في كتابه: إنّ الحسن تزوج مائتين وخمسين امرأة، وقيل: ثلاثمائة، وقد كان علي يضرّج من ذلك ويكره حياءً من أهليهن إذا طلقهن، وكان يقول: «إنّ حسناً مطلقاً فلا تنكحوه»، فقال له رجل من همدان: والله يا أمير المؤمنين لننكحته ما شاء فمن أحبّ أمسك ومن كره فارق، فسّر بذلك أمير المؤمنين وأنشأ يقول:

«لو كنت بواباً على باب جنّةٍ لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام»

ومضى في قوت القلوب يقول: وهذا أحد ما كان الحسن يشبه فيه جدّه رسول الله، وهو يشبهه في الخلق، وقد قال له جدّه: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال: «حسن مني وحسين من علي» وأضاف المكي إلى ذلك: إنّ الحسن كان ربما عقد على أربع وطلق أربعاً^(١)...

(١) قوت القلوب: ص / ٧٩٤.

وعلى ما يبدو أن الذين ألصقوا بالحسن الزكي ﷺ كثرة الزواج والطلاق أولئك الذين مرّت أسمائهم، كي يحطوا من منزلة الإمام وقدره، وأنه لا يصلح للخلافة وإدارة أمة الإسلام، بل هو رجل مزواج نكاح! وعن هؤلاء المرتزقة من الكتّاب أخذ المؤرخون من السنة والشيعية والمستشرقين، يتناقلون ويتداولون كلّ هذه الافتراءات حتّى وصلت إلينا في هذا العصر، ولعل هناك من أهل الاختصاص من علماء النفس المعاصرين الملتزمين من يأتي بمراجعة تأريخ هذا الإمام المظلوم ودراسته من جانب علم النفس الاجتماعي والأخلاقي والديني والتربوي، وأمّا القول بالنسبة إلى عليّ بن عبد الله البصري المعروف بالمدائني، والمعاصر للعباسيين فهو من المتهمين بالكذب في الحديث.

جاء في ميزان الاعتدال للذهبي: إن مسلماً في صحيحه قد امتنع عن الرواية عنه، وإن ابن عبيد قد ضعفه، وقال له الأصمعي: والله لتترك الإسلام وراء ظهرك، وكان من خاصة أبي إسحاق الموصلي، وقد تبعه لثرائه، ويروي عن عوانة بن الحكم المتوفي سنة «١٥٨ هـ»، والمعروف بولائه لعثمان وبيني أمية. ونصّ ابن حجر في لسان الميزان: إن عوانة كان يضع الأخبار لبني أمية. وقال: إنه كان مولى لعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب الأموي.

وجاء في معجم الأدباء: أنه كان مولى لسمرة بن حبيب الأموي، هذا بالإضافة إلى أن أكثر رواياته من المراسيل، التي لم يروها غير المدائني من موضوعاته لمصلحة أعداء العلويين.

إن الأخبار المرسلة التي ذكرها هؤلاء، إذا لم تكن مدعومة بشواهد وقرائن من الخارج أو الداخل للاستدلال بها، فهي على الأرجح من صنع

الحاقدين على أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
 وأمّا روايات أبو طالب المكي في كتابه «قوت القلوب»، فهي أقرب
 إلى الأساطير من غيرها، لأنّها لم ترد على لسان أحد من الرّواة، وأبو
 طالب المكي كان مصاباً بعقله، كما نصّ على ذلك معاصروه.
 وحينما وفد على بغداد وجد البغداديون في حديثه هذياناً منها: «ليس
 على المخلوق أضر من الخالق».

ويبيح استماع الغناء، ولما عاتبه عبد الصّمد بن علي أنشد:
 فيا ليل كم فيك من مُتعةٍ ويا صبح ليتك لم تقربِ
 ومن شذوذه كما ذكر ابن كثير الدّمشقي: أنّه أوصى أحد أصحابه إن
 غفر الله له أن ينثر على جنازته لوزاً وسكراً، وجعل العلامة على ذلك أن
 يقبض على يد صديقه ساعة الاحتضار، فقبض على يده في تلك السّاعة،
 ونفّذ صديقه ما أوصاه به^(١)، ومن تلك الدّعائيات والأضاليل الأموية
 والعبّاسية الباطلة ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ الإمام الحسن، كان
 ملقاً ومطلقاً ولكنه لم يكن قلقاً، لأنّه كان أوسع النّاس صدراً وسماحة في
 الخلق، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الحسن مطلق فلا تزوجه»^(٢).

يا لله ولهذه الأكاذيب والمفتريات المفتعلة عن قصد ضد السّبط
 الأكبر عليه السلام الذي عاش بعد استشهاد أبيه إمام المتقين عليه السلام مظلوماً أشد
 الظلم، ومات مظلوماً شهيداً مسموماً مضروباً نعشه الطّاهر بسهام الحقْد
 والغدر والضّغينة. وروى ابن شهر آشوب المازندراني الحلبي قدس سرّه:

(١) البداية والنهاية.

(٢) بحار الأنوار: ج/٤٤، ص/١٢٣.

إنَّ الحسن بن علي ﷺ تزوّج «جعدة بنت الأشعث بن قيس» على سنة النبي ﷺ، وأرسل إليها ألف دينار^(١).

وروى الميرزا حسين النوري الطبرسي، وقيل: كان تحت الحسن بن علي ﷺ امرأتان تميمية وجعفية، فطلقهما جميعاً، ومتعهما العشرة آلاف، وكلّ واحدة منهما بكذا وكذا من العسل والسّمْن^(٢).

قال الإمام المجدد الشيرازي أعلى الله درجاته معلقاً على هذه الرواية: «وربّما هذا الإنفاق - مضافاً إلى إته نوع إكرام لها - كان لأجل أن تصرفها في وجوه البرّ، في فقراء عشيرتها وفي سبيل نشر الدّين وما أشبه»^(٣).

إنَّ بعض من انطلت عليهم تلك الأكاذيب من الشيعة، تقبّلوا هذه المرويات، ظناً منهم إنّها إحدى فضائل الإمام الحسن ﷺ، ودليل على ثقة واحترام النّاس به، ومن أظهر مصاديق هذا الكلام، إنّ هذه المرويات انطلت على أعلام الشيعة سابقاً منهم العلامة الشّيخ محمّد باقر المجلسي قدس سرّه وغيره، فنقلوا مرويات أولئك المأجورين من مؤرّخي الحقبين الأموية والعبّاسية ممن ذكرناهم آنفاً.

قال العلامة الشّيخ راضي آل ياسين قدس سرّه، في معرض كلامه عن الحياة الزوجية للسبط الأكبر ﷺ: «ولا نعهد أنّه اختص من الزّوجات - على التّعاقب - بأكثر من ثمان أو عشر.. على اختلاف الروايتين.. بما فيهن أمّهات أولاده، ونسب النّاس إليه زوجات كثيرات، صعّدوا في أعدادهن ما شأوا.. وخفي عليهم أنّ زواجه الكثير الذي أشاروا إليه بهذه الأعداد،

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٨٢، باب إمامة أبي محمّد الحسن بن علي ﷺ.

(٢) مستدرک وسائل الشيعة: ج / ١٥، ص / ٩٢، باب / ٢٦ من أبواب المهور، حديث / ٦.

(٣) من حياة الإمام الحسن ﷺ: ص / ١٠٧، تحت عنوان: إكرام المرأة.

وأشار إليه آخرون بالغمز والانتقاد، لا يعني الزواج الذي يختص به الرجل لمشاركته حياته، وإنما كانت حوادث استدعتها ظروف شرعية محضة من شأنها أن يكثر فيها الزواج والطلاق معاً، وذلك هو دليل سمتها الخاصة، ولا غضاضة في كثرة زواج تقتضيه المناسبات الشرعية، بل هو - بالنظر إلى ظروف هذه المناسبات - دليل قوة الإمام في عقيدة الناس - كما أشير إليه - ولكن المتسرعين إلى النقد، جهلوا الحقيقة وجهلوا أنهم جاهلون، ولو فطنوا إلى جواب الإمام الحسن عليه السلام لعبد الله بن عامر بن كريز، وقد بنى بزوجه، لكانوا غيرهم إذ يتتقدون^(١).

إن الذين نقلوا تلك الأخبار المزيفة والباطلة بحق السبط الأكبر عليه السلام، دون علمهم بأصل تلك القصص، أو التعليق عليها، وأخذها مأخذ المسلمات المشهورات، وعلى الخصوص ممن كان لهم القدح المعلى في التزوير وحكاية القصص الخيالية المقصودة ودهسها بين سطور موسوعاتهم الفقهية والأصولية والتأريخية، نحو خلفية المسلمين وأمامهم بالحق السبط الأكبر الحسن المجتبي عليه السلام.

إن حياة أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام الشخصية مدونة في المجاميع والموسوعات، ولم يغفل منها شيء، لا من غلمانهم ولا من جواريتهم ونسائهم، فكيف غفل عن إدراج أسماء ثلاثمائة امرأة وأولادهن، فاختار منهن عشرة أسماء وترك الباقيين ولم يعرفوا أو يعرف أبنائهن؟

هذه الأسئلة مطروحة على كل عاقل لبيب و متمحص أريب أديب يقرأ التاريخ بتجرد، ويعرف مقامات بيت النبوة والإمامة، ومقامات من نَصَبَ

لهم العداوة والبغضاء، وحاربوا العترة بشتى الوسائل من أجل إعمار دنياهم الزائلة الفانية.

أبناءؤه الصّليبين:

وأما أبناءؤه صلوات الله وسلامه عليه، فقد اختلف العلماء والمؤرخون والتّسابون في أبنائه الصّليبين، وكما اختلف المؤرخون في تعداد زوجاته ﷺ، اختلفوا في تعداد أولاده الذكور والإناث، فبين مكثراً ومُقلّ زحرت بها كتب التّاريخ والأنساب وغيرها.

قال الواقدي: كان للحسن بن علي ﷺ، خمسة عشر ولداً وثمان بنات، وقال ابن الجوزي: ستة عشر ولداً وأربع بنات، ولكنهما اختلفا في أسماء الأولاد والبنات، واتفق محمّد بن سعد مع ابن الجوزي، واتحدّ ابن هشام مع الواقدي، وقال ابن شهر آشوب: وقالوا: إنّ للحسن ﷺ خمسة عشر ولداً وستة بنات.

وجاء في الفصول المهمة: إنّ الحسن ﷺ كان له أحد عشر ولداً وبناتاً واحدة يقال لها: فاطمة وهي أمّ الإمام محمّد الباقر ﷺ.

وقال الشّيخ المفيد في رسالته: إنّ أبناء الحسن ﷺ خمسة عشر، ثمانية منهم ذكور وسبعة إناث.

وقال الموضح النّسابة: إنّ للحسن ﷺ خمسة عشر ولداً وستة بنات، وعدّ أبو نصر البخاري أولاده، ثلاثة عشر ولداً وستة بنات^(١).

(١) ميرزا محمّد تقي سبهر، ناسخ التّواريخ: ج / ٢، ص / ٢٧٠ ترجمناه عن الطّبعة الفارسية بتصريف.

وكما قلنا: إن هذا الاضطراب في حياة إمامنا وسيدنا أبو محمّد الحسن عليه السلام ناتج عن اضطراب عصره السّياسي، أوجده الأعداء الألداء من بني أمية، ومن بعدهم بني العباس الذين أرادوا أن يعطوا الشّريعة لحكمهم الفاسد، طاردوا بني الحسن تحت كل حجر ومدبر وسائر آل أبي طالب فكم من طامورة وسجن واسطوانات ضمّت السّادة الأشراف، وكم من طامورة ردمت على من فيها من العلويين، ناهيك عمّن فصل رؤوسهم حميد بن قحطبة بين الطّلعين في أحد الطّوامير بخراسان وبأمر الحاكم العبّاسي هارون الرّشيد اللعنة وسوء العذاب.

وأما أسماء أبنائه الصّليّين صلوات الله عليه فهم على التّوالي:

- ١- أبو الحسن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الابن الأرشد.
- ٢- الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بالحسن المثنى، الشّهيد الحي.
- ٣- الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بالحسين الأثرم.
- ٤- طلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بطلحة الجواد.
- ٥- عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المكنى بأبي بكر، شهيد كربلاء.
- ٦- القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب، شهيد كربلاء.
- ٧- عبد الرّحمن بن الحسن بن أبي طالب، توفي في طريق الحج في حياة والده.

٨- عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب، حضر مع عمّه الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء.

وأسر مع من أسر من أهل البيت عليهم السلام فكان معهم في الكوفة والشام ثم المدينة، وأما بناته عليهن السلام فهنّ على التّوالي:

١ - أمّ الحسن وهي شقيقة زيد لأمّه وأبيه، وتزوّجت من عبد الله بن الزبير، وبعد مقتله عادت مع أخيها زيد إلى المدينة.

٢ - أمّ عبد الله، واسمها «فاطمة» تزوجها الإمام زين العابدين عليه السلام، وهي أمّ أولاده: الحسن والحسين والإمام الباقر وعبد الله الباهر.

٣ - أمّ سلمة، تزوجها عمر بن الإمام زين العابدين عليه السلام.

٤ - رقية، تزوجت من المنذر بن الزبير بن العوام.

وأما أحفاد الإمام الحسن عليه السلام من أبنائه الذكور فهم منحصرون بزيد بن الحسن والحسن المثنى، وأما الآخرون فيبين منقطع ومنقرض ومن دون نسل^(١).

من اشترك منهم عليهم السلام في واقعة الطف:

لقد هاجر من أبناء الإمام الحسن عليه السلام ثلثة وقفت إلى جانب عمّه الإمام الحسين عليه السلام وهم:

١ - الحسن بن الحسن، المعروف بالحسن المثنى عليه السلام، وهو الشّهِيد الحي، الذي جُرح يوم العاشر من المحرم ثمّ وضع بين الشّهداء، ولكن ظلّ به رمق، ولما أرادوا فصل الرّؤوس عن الأجساد الطّاهرة، خرج أخواله من بني فزارة فاستوهبوه من أمير الجيش وأخذوه معهم إلى الكوفة وعالجوه، وبعد أن استبرئت جراحاته أرسلوه إلى المدينة المنورة.

(١) مترجم عن ناسخ التّواريخ: المجلد / ٢، من حياة الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٧٨.

وكان الحسن المثنى ثاني أولاد الإمام الحسن السبط عليه السلام.

يقول المؤرخ الإيراني لسان الملك الميرزا محمد تقى مسبهر: إنَّ الحسن المثنى كان ملازماً لركاب عمّه الحسين عليه السلام، وفي يوم عاشوراء أصيب بجراحات كثيرة، ووضع مع بقية الشهداء، ولما أرادوا فصل الرؤوس عن الأبدان الطاهرة ووصلوا إليه رأوا به رمقاً فخرج أسماء بن خارجة بن عتيبة بن الحصين بن حذيفة بن بدر الفزاري وفداه، ولما علم عبيد الله بن زياد قال: دعوا ابن أخت أبي حسان له، لأنَّ أمَّ الحسن المثنى «خولة بنت منظور» من قبيلة فزارة، فأخذ أبو حسان الحسن المثنى إلى الكوفة وعالجه ولما برىء من علاجه أرسله إلى المدينة^(١).

والحسن المثنى تزوج من ابنة عمّه الإمام الحسين عليه السلام، وهي السيدة فاطمة وأنجبت منه ثلاثة أولاد وبنتين، وأما الأولاد فهم:

- عبد الله المحض، - وإبراهيم المكنى بأبي إسماعيل، - والحسن المثلث المكنى بأبي طلحة، وهؤلاء الثلاثة لهم ذراري وأعقاب إلى يومنا هذا ذكرهم علماء النسب بإسهاب^(٢).

يقول المؤرخ لسان الملك: لما علم الإمام الحسين عليه السلام أن ابن أخيه الحسن المثنى يريد الزواج أرسل بطلبه وقال له: إنَّ ابنتي فاطمة وسكينة، أي واحدة منهن ترغب بها ففضل، فاستحى من عمّه ولم يتكلم، فاختار له عمّه ابنته فاطمة وقال له: هي شبيهة أمي فاطمة سأزوجك إياها.

وقال أبو نصر البخاري: قالوا: إنَّ فاطمة زوجت للحسن وأنجبت منه

(١) ناسخ التواريخ: ج / ٢، ص / ٢٧٥ - ٢٧٦، عربناه عن الفارسية.

(٢) المصدر السابق: ج / ٢، ص / ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٥ و ٣٢٥.

ثلاثة بنين وهم: عبد الله وإبراهيم وسَمِي أبيه وجدّه الحسن، وعلى العموم فالحسن المثنى أحبّ زوجته فاطمة كثيراً، فاطمة كانت تحبّه وترعاه، وتوفي الحسن المثنى في المدينة في الخامسة والثلاثين من العمر ودفن في البقيع وكان أخوه الأكبر زيد حياً، ونصبت زوجته فاطمة على قبره خيمة وظلت إلى سنة كاملة تنعاه، وبعد سنة عادت إلى بيتها فسمعت نداءً يقول: «هل وجدوا ما فقدوا؟» وجاء نداءً آخر وقال: «بل يسوا فانقلبوا» وتمثلت فاطمة بشعر لبيد وقالت:

على الحول ثم اسم السّلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وكانت فاطمة تشبّه بالحدور العين لجمالها، وكان يريد أن يتزوج عليها ابنة المسور بن مخرمة، فقال له المسور: «والله يا بن رسول الله لو خطبت بشسع نعلك لزوجتك، ولكن رسول الله قال: إنّما فاطمة بضعة مني يرضيني ما أرضاها ويسخطني ما أسخطها، وأنا أعلم أنّها لو كانت حية فتزوجت على ابنتها أسخطها ذلك!»

وكان الحسن المثنى يتولى صدقات أمير المؤمنين ﷺ، فذهب عمرو بن علي إلى الحجاج الثّقفي كي يستولي على هذه الصّدقات وقال: إنّ الابن أولى بتركة أبيه من الحفيد، فأرسل الحجاج إلى الحسن المثنى وطلب منه إدخال عمّه معه وقال له: «ادخل عمرو بن علي معك في صدقة أبيه فإنّه عمّك وبقية أهلك!» فقال له الحسن: لا أغير شرط عليّ ولا أدخل فيها من يدخل، فقال له الحجاج: «إذا أدخله أنا معك».

فلم يجبه الحسن، وسافر إلى الشّام بدون علم الحجاج وذهب إلى عبد الملك وطلب لقاءه، فرآه يحيى بن أمّ الحكم وسلم عليه وسأله عن

سبب لقاءه بعبد الملك وعلم منه الخبر وذهب بمعيته إلى لقاء عبد الملك، وحضروا مجلسه وألقوا عليه التّحية، ورحبّ عبد الملك بالحسن المثني ورأى عليه آثار الشّيوخوخة فقال له: «يا أبا محمّد لقد أسرع إليك الشّيب؟» فقال له يحيى: وما يمنعه لأبي محمّد شيبه أمانيّ أهل العراق تفد عليه الرّكب يمنونه الخلافة، فأقبل إليه الحسن بن الحسن فقال له: بسئس والله الوفد وفدك ليس كما قلت: ولكننا أهل البيت يسرع إلينا الشّيب.

فقال له عبد الملك: دعك من هذا الكلام وقل لي: لأي شيء قطعت هذا الطّريق البعيد؟ فحكى له الحسن قصته مع الحجاج، فأجابه عبد الملك: بأنّ هذه الدّولة ليست للحجاج وكتب للحسن كتاباً أرسله إلى الحجاج وقال له: لا تدخل في أمر الحسن، وذيل الرّسالة بهذه الأبيات:

إنّا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السّامع للقائل
واضطرب القوم بأحلامهم تقضى بحكم فاصلٍ عادلٍ
لا نجعل الباطل حقاً ولا نثلط دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنجهل الدّهر مع الجاهل

ثمّ أكرم الحسن إكراماً كبيراً ورخصه بالذهاب، فلما خرج من عنده لقي يحيى بن الحكم وعاتبه على سوء محضره، وقال: ما هذا الذي وعدتني، فقال له يحيى: إبهأ عنك، والله لا يزال يهابك، ولولا هيئته إياك ما قضى لك حاجة، وما ألوتك رعداً، [أي: ما قصرت في معاونتك] (١).

٢- أبو بكر بن الحسن بن علي عليه السلام، قال أبو الفرج الأصفهاني: وأمه

(١) المصدر السابق: ج / ٢، ص / ٢٧٤ - ٢٧٥.

أم ولد ولا نعرف أمه.

ذكر المدائني في إسنادنا عنه، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد: أن عبد الله بن عقبة الغنوي قتله.

وفي حديث عمر بن شمر عن جابر عن أبي جعفر: أن عقبة الغنوي قتله، وإياه عن سليمان بن قتبه بقوله:

وعند غني قطرة من دمائنا وفي أسدٍ أخرى تُعدّ وتذكرُ

٣- القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أخو أبي بكر بن الحسن المقتول قبله لأبيه وأمه.

حدثني أحمد بن عيسى قال: حدثني الحسين بن نصر، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: خرج إلينا غلام كأن وجهه شقة قمر في يده السيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شمع أحدهما، ما أنس أنها اليسرى، فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله لأشدن عليه، فقلت له: سبحان الله وما تريد إلى ذلك، يكفيك قتله هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب، قال: والله لأشدن عليه، فما ولّى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف فوق الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه، قال: فو الله لتجلى الحسين كما يتجلى الصقر، ثم شدّ شدّة الليث إذا غضب، فضرب عمراً بالسيف فاتقاه بساعده فأطنها من لدن المرفق، ثم تنحى عنه، وحملت خيل عمر بن سعد فاستنقذوه من الحسين، ولما حملت الخيل استقبلته بصدورها وجالت فتوطأته فلم يرم حتى مات - لعنه الله وأخزاه - فلمّا تجلت الغبرة إذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجله وحسين يقول: بُعداً لقوم

قتلوك خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله ﷺ ثم قال: عزّ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا تنفعك إجابته، يوم كثر واتره، وقل ناصره، ثم احتمله على صدره، وكأني أنظر إلى رجلي الغلام تخطان في الأرض حتى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين فسألت عن الغلام فقالوا: هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

٤ - عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه بنت السليل بن عبد الله أخي جرير بن عبد الله البجلي، وقيل: أن أمّه أم ولد، وكان أبو جعفر محمّد بن علي - فيما روينا عنه - يذكر أن حرملة بن كاهل الأسدي قد قتله.

وذكر المدائني في إسناده عن جناب بن موسى عن حمزة بن بيض عن هانيء بن ثابت القايسي، أن رجلاً منهم قتله^(١).

وجاء ذكرهم في زيارة الناحية المقدسة حيث روى العلامة محمّد باقر المجلسي بسنده فقال: «...السّلام على أبي بكر بن الزّكي الحسن السّولي المرمي بالسّهم الرّمي، لعن الله قاتله عبد الله بن عقبة الغنوي، السّلام على عبد الله بن الحسن بن علي الزّكي، لعن الله قاتله وراميه حرملة بن كاهل الأسدي، السّلام على القاسم بن الحسن بن علي المضروب هامته، حين نادى الحسين عمّه، فجلى عمّه عليه كالصّقر وهو يفحص برجله التّراب والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك وكان خصمهم يوم القيامة جدّك وأبوك، ثمّ قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك وأنت قتيل جديل فلا ينفعك، هذا يوم كثر واتره، وقل ناصره، جعلني الله معكما يوم

(١) مقاتل الطّالبيين: ص / ٥٦ - ٥٨.

جمعكما وبوأني مأواكما، ولعن الله قاتلك عمر بن سعد بن فضيل الأسدي، وأصله جحيماً، وأعدّ له عذاباً أليماً...»^(١).

محطة في بعض الروايات:

هناك روايات متضاربة في عدد الأولاد لا يمكن للباحث إلا التوقف عندها والتزود منها، ولم أخطئ في إيرادها هنا حتى يتبين القارئ الحصيف الخيط الأبيض من الخيط الأسود وعليها ينبلج الفجر:

الأول: قول شيخ الطائفة المفيد أعلى الله مقامه^(٢) في ذكر أولاده، الأقوال في عدد أولاد الإمام الحسن عليه السلام وأسمائهم:

جاء في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عتبة الداودي ص/٦٨:

١- قال شيخ الشرف العبدلي: وولد أبو محمد الحسن ستة عشر ولداً فهم خمس بنات وأحد عشر ذكراً، وهم: «زيد والحسن والحسين وإسماعيل وعبد الله وحمزة ويعقوب وعبد الرحمن وأبو بكر وعمر وأمّ الحسين وأمّ الحسن وفاطمة وأمّ سلمة وأمّ عبد الله».

أقول: قوله «أبو بكر وعمر» افتراء، والصحيح هو: عبيد الله وعمرو، كما سنبين.

٢- وقال ابن عتبة الداودي في الصفحة «٦٨» من العمدة: قال الموضح النسابة: بأن أولاده سبعة عشر: أحد عشر ذكراً وست بنات وهم:

(١) بحار الأنوار، كتاب المزار، زيارة الشهداء: ج / ٩٨، ص / ٢٦٩.

(٢) الإرشاد: ج / ٢، ص / ١٩٩.

«زيد والحسن والحسين وطلحة وإسماعيل وعبد الله وحمزة ويعقوب وعبد الرحمن وعمر وأمّ الحسين وأمّ الحسن وفاطمة وأمّ سلمة وأمّ عبد الله ورقية»، وقد سبق أن قوله: «عمر» افتراء، والصحيح: عمرو.

٣- وعنه في نفس الصّفحة قال: قال أبو نصر البخاري: أولد الحسن بن علي ثلاثة عشر ذكراً وست بنات فيكونوا: تسعة عشر ولداً^(١).

٤- قال: الشيخ المفيد رضوان الله عليه: خمسة عشر ولداً.

٥- وقال ابن شهر آشوب المازندراني^(٢): وأولاده ثلاثة عشر ذكراً وابنة واحدة: عبد الله، وعمر، والقاسم، أمهم أم ولد، والحسين الأثرم، والحسن أمهما خولة بنت منظور الفزارية، وعقيل والحسن، أمهما أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية، وزيد، وعمر، من الثقفية، وعبد الرحمن من أم ولد، وطلحة، وأبو بكر، أمهما أم إسحاق بنت طلحة التميمي، وأحمد، وإسماعيل، والحسن الأصغر، ابنته أم الحسن فقط عند عبد الله، ويقال: وأمّ الحسين، وكانتا من أمّ بشير الخزاعية، وفاطمة من أمّ إسحاق بنت طلحة، وأمّ عبد الله، وأمّ سلمة، ورقية لأمهات أولاد، هذا وقد سبق أنه ليس في أسماء أولاد الإمام عليه السلام أبو بكر ولا عمر، بل هو: «عبيد الله وعمرو».

٦- وقال علي بن عيسى بن فتح الإربلي: كان له من الأولاد عدداً لم يكن لكلّهم عقب بل كان العقب لاثنين منهم، فقيل: كانوا خمسة عشر

(١) وهكذا ورد في كتاب سر السلسلة العلوية: ص / ٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٩٢، باب / إمامة أبي محمد الحسن بن

وهذه أسماؤهم: الحسن، وزيد، وعمرو، والحسين، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الله، وإسماعيل، ومحمد، ويعقوب، وجعفر، وطلحة، وحمزة، وأبو بكر، والقاسم.

وكان العقب منهم للحسن ولزيد ولم يكن لغيرهما منهم عقب.

وقيل: كان له أولاد أقل من ذلك.

وقيل: كان له بنت تسمى أم الحسن^(١).

٧- وقال ابن الخشاب: ولد له أحد عشر ولداً وبنت، أسماء بنيه: عبد الله، والقاسم، والحسن، وزيد، وعمرو، وعبد الله، وعبد الرحمن، وأحمد، وإسماعيل، والحسين، وعقيل، وأم الحسن فاطمة وهي أم محمد بن علي الباقر^(٢).

٨- وقال الحسين بن حمدان الخصبي: «أولاده: عبد الله، والقاسم، وزيد، وعمر، وعبيد الله، وعبد الرحمن، وأحمد، وإسماعيل، وعقيل، والحسين، وبشر، ومن البنات أم الحسن فقط»^(٣).

أقول: الصحيح هو عمرو، وليس عمر.

٩- وقال الطبرسي: له من الأولاد ستة عشر ولداً ذكراً وأنثى ومنهم أبو بكر^(٤)، أقول: ليس اسمه أبو بكر، بل عبيد الله.

(١) كشف الغمة: ج / ٢، ص / ١٩٨.

(٢) المصدر السابق: ج / ٢، ص / ١٩٩.

(٣) الهداية الكبرى: ص / ١٨٣.

(٤) إعلام الوري بأعلام الهدى: ج / ١، ص / ٤١٦.

١٠- وروى سبط ابن الجوزي فقال: قال الواقدي ومحمد بن هشام: كان له خمسة عشر ذكراً وثمان بنات، فمن الذكور: علي الأكبر، وعلي الأصغر، وجعفر وفاطمة وسكينة وأم الحسن وعبد الله والقاسم وزيد وعبد الرحمن وأحمد وإسماعيل والحسين وعقيل والحسن^(١).

بعض الأقوال في تحريف عمرو بعمر:

ذكر بعض المؤرخين أن اسم أحد أبناء الحسن «عمر» والصحيح هو: «عمرو» ووقع التصحيف فيه، كما وقع مثل ذلك للكثير في طول التساريخ وعرضه.

والدليل على أن اسمه «عمرو» وليس عمر بعض الأدلة، منها:

١- قول الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتابه الإرشاد^(٢)، وكذلك الإربلي في كشف الغمة^(٣)، نقلاً عن كمال الدين الشافعي.

٢- اسم ولده محمد المعروف بمحمد الهاشمي أبي عبد الله المدني، وهو من الرواة والمحدثين حيث ورد هكذا: روى محمد بن عمرو بن الإمام الحسن عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس والحوراء زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى عنه علماء العامة ووثقوه منهم: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم، ويظهر من بعض الروايات أن عمرو لم يستشهد مع

(١) تذكرة الخواص: ص / ٢٧٧، الباب / ٨. ذكر أولاده عليه السلام.

(٢) ج / ٢، ص / ١٩٩.

(٣) ج / ٢، ص / ١٩٨ في ذكر أولاده كما مر.

عمّه الإمام الحسين ﷺ حيث استصغروا سنه، فقد روى أبو مخنف لوط بن يحيى، والطبري وغيرهما أن يزيد عليه لعائن الله: دعا ذات يوم الإمام زين العابدين عندما كان في الأسر، ودعا عمرو بن الحسن بن علي وهو غلام صغير، فقال لعمرو بن الحسن: أتقاتل هذا الفتى؟ [يعني خالداً ابنه]، قال: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله؟!

فأخذه يزيد فضمه إليه، ثم قال:

شنشة أعرفها من أخزم هل تلد الحيّة إلا الحيّة

وقال البري، وهو من أعلام العامة: «وولد الحسن بن علي... وعمراً أمّه ثقفية، وابنه محمد بن عمرو»، وروى عن جابر بن عبد الله حديث: «ليس من البر أن تصوموا في السفر» أخرجه مسلم^(١).

قال الإمام المجدد السيد محمد الحسيني الشيرازي أعلى الله مقامه الشريف: «أقول: ما ورد من أسماء عمر وأبي بكر وما أشبه في أولاد المعصومين ﷺ، فإنه تحريف في التأريخ، فالاسم إما علي أو عمرو أو عمار أو ما أشبه فقالوا: إنه عمر، وربما كان بعض الناس يسميهم أو يكتنهم بمثل أبي بكر، أو إن الحكومة لأغراض سياسية كانت تناديهم بذلك، فزعم البعض بأنها أسماؤهم»^(٢).

(١) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليهم السلام: ص / ٢٣.

(٢) من حياة الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٦٣.

مظلوميته مع طلقاء آل أبي سفيان



روى الشيخ أبو منصور
أحمد بن علي بن أبي طالب
الطبرسي قال: روي عن

الشَّعبي وأبي مخنف ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا: «لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجاً ولا أعلى كلاماً ولا أشد مبالغة في قول من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان: عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي محيط، والمغيرة بن أبي شعبة وقد تواطئوا على أمر واحد»^(١).

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيا سنة أبيه، وخفقت النعال خلفه، أمر فأطيع، قال فصّدق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه وصغرنا بقدره وقدر أبيه أو قعدنا لذلك حتّى صدق لك فيه.

فقال لهم معاوية: إني أخاف أن يقلدكم قلايد يبقى عليكم عارها،

(١) وهل يوجد في التاريخ قذارة نجسة كهؤلاء الذين أصبحوا في دهاليز بئر القذارة والنجاسة التاريخية، عليهم لعائن الله والملائكة أجمعين.

حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط إلا كرهت جنابه، وهبت عتابه^(١) وإني إن بعثت إليه لأنصفه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا، ومرضه على صحتنا!، قال: لا، قال: فابعث إذاً إليه.

فقال عقبه: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم بأعظم مما في نفسه عليكم، وإِنَّه لأهل بيت خصم جدل.

فبعثوا إلى الحسن عليه السلام فلما أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية، قال: «ومن عنده»؟

قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمى كلاً منهم باسمه.

فقال الحسن عليه السلام: «ما لهم خرّ عليهم السقف من فوقهم، وآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون».

ثم قال: «يا جارية أبلغيني ثيابي».

ثم قال: «اللهم إني أدرك بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت وأنى شئت من حولك وقوتك يا أرحم الراحمين».

وقال للرسول: «هذا كلام الفرج».

(١) ومن لها غير أبو محمد الحسن الطهر الطاهر المطهر من الطهر الطاهر المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس الإمام الثاني وخليفة رسول الله ﷺ القرشي المدني ابن علي والزهراء وأخا الحسين شهيد كربلاء صلوات الله وسلامه عليهم.

فلما أتى معاوية رحب به وحيّاه وصافحه.

فقال الحسن عليه السلام: «إن الذي حييت به سلامة، والمصافحة أمن!»

فقال معاوية: أجل إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقرروك: إن عثمان قتل مظلوماً، وإن أباك قتله! فاسمع منهم ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك، فلا يمنعك مكاني من جوابهم.

فقال الحسن عليه السلام: «سبحان الله البيت بيتك والأذن فيه إليك، والله لئن أحببتهم إلى ما أرادوا إتي لا استحيي لك من الفحش، وإن كانوا غلبوك على ما تريد، إني لا استحيي لك من الضعف، فبأيهما تقر، ومن أيهما تعتذر، وأما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم، لجئت بعدتهم من بني هاشم، مع إني مع وحدتي هم أوحش مني مع جمعهم، فإن الله عز وجل لولّني اليوم وفيما بعد اليوم، فمرهم فليقولوا فاسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

فتكلم القوم وأكثروا من سب الإمام الحسن عليه السلام وأبيهِ علي أمير المؤمنين عليه السلام واتهموه بقتل عثمان وعمر وأبي بكر.

١ - فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال: ما سمعت كالיום أن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان، وكان ابن أختهم، والفاضل في الإسلام منزلة!، والخاص برسول الله إثرة!، فبئس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداءً، وطلباً للفتنة، وحسداً ونفاسة، وطلب ما ليسوا بأهلين لذلك، مع سوابقه ومنزلته من الله ومن رسوله ومن الإسلام!، فيا ذلّاه أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب قتلة عثمان، أحياء يمشون على مناكب الأرض وعثمان بدمه مخرج، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني أمية ببدر.

٢- ثم تكلم عمرو بن العاص: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أي ابن أبي تراب بعثنا إليك لنقرررك إن أباك سمَّ أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق، وقتل عثمان ذي النورين مظلوماً، وادعى ما ليس له حق، ووقع فيه، وذكر الفتنة، وعيَّره بشأنها، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فتركبون فيه ما لا يحل لكم، ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، وكيف وقد سُلِبته، وتُركتَ أحمرق في قريش، وذلك لسوء عمل أبيك، وأتَمَّا دعوناك لنسبكَ وأباك! ثم إنك لا تستطيع أن تعيب علينا، ولا أن تكذبنا به، فإن كنت ترى أننا كذبناك في شيء، وتقولنا عليك بالباطل، وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم! وإلا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله، فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به، وأما أنت فإنك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله، ولا عيب عند الناس!

٣- ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فكان أول ما ابتدأ به أن قال: يا حسن إن أباك كان شر قريش لقريش، أقطعه لأرحامها وأسفكه لدمائها، وإنك لمن قتلة عثمان، وإن في الحق أن نقتلك به، وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل، وإننا قاتلوك به، وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره، وأما رجائك الخلافة فلست فيها، لا في قدحة زندك، ولا في زحمة ميزانك!

٤- ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال: يا معشر بني هاشم كنتم أول من دبَّ بعيب عثمان وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصاً على الملك، وقطيعاً للرحم، واستهلاك الأمة، وسفك دمائها، حرصاً على الملك، وطلباً للدنيا الخبيثة، وحباً لها، وكان عثمان

خالكم، فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم، فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه، ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم!

٥- ثم تكلم المغيرة بن شعبة: فكان كلامه وقوله كله وقوعاً في علي عليه السلام، ثم قال: يا حسن إن عثمان قتل مظلوماً فلأن لم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء، ولا اعتذار مذنب، غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلة عثمان، وإيوائه لهم، وذبه عنهم، أنه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لأمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية، وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله!، فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم كره أن يبيع أبا بكر حتى أتى به قوداً، ثم دس عليه فسقاه سماً فقتله، ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبتة، فعمد في قتله، ثم طعن على عثمان حتى قتله، كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأبي منزلة له من الله يا حسن؟ وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل، فمعاوية ولي المقتول بغير حق، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة، ثم سكت.. الخبر.

فتكلم أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما فقال: «الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وأخركم بأخرنا، وصلى الله على جدي محمد النبي وآله وسلم».

ثم قال: «اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية: إنه لعمر الله، يا أزرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني، ولا سبني غيرك

وما هؤلاء سبوني، ولكن شتمتني وسببتني فحشاً منك، وسوء رأي، وبغياً، وعدواناً، وحسداً علينا، وعداوة لمحمد ﷺ قديماً وحديثاً، وإنه والله لو كنتُ أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله ﷺ وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به!».

«فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المتعاونون عليّ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا بباطل إن نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلا دون ما فيك! : أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما، وأنت تراهما جميعاً في ضلالة تعبد اللات والعزى، وبائع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث»!؟

ثمّ قال ﷺ: «أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ ما أقول حقاً، إنّه لفيكم مع رسول الله ﷺ يوم بدر ومع راية النبي ﷺ والمؤمنين، ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله ﷺ فرضاً واجباً، ولفيكم يوم أحد ومع راية النبي ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين، ولفيكم يوم الأحزاب ومع راية النبي ﷺ ومعك يا معاوية راية المشركين، كلّ ذلك يفلج الله حجته، ويحق دعوته، ويصدق أحدوثته، وينصر رايته، وكلّ ذلك رسول الله ﷺ وله يرى عنه راضياً في المواطن كلّها، ساخطاً عليك»!

ثمّ أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ حاصر بني قريظة وبني النضير ثمّ بعث عمر بن الخطاب ومع راية المهاجرين، وسعد بن

معاذ ومعه راية الأنصار، فأما سعد بن معاذ فجرح وحمل جريحاً، وأمّا عمر فرجع هارباً وهو يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فتعرض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمم شديد الرمد، فدعاه رسول الله ﷺ فتفل في عينه فبرأ من رمده، وأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنه وطوله، وأنت يومئذ بمكة عدو الله ورسوله، فهل يستوي بين رجل نصح الله ورسوله، ورجل عادى الله ورسوله ﷺ، ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكن اللسان خائف فهو يتكلم بما ليس في القلب!

أنشدكم بالله أن تعلمون أن رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة في غزاة تبوك ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلم فيه المنافقون، فقال: لا تخلفني يا رسول الله فإنني لم أتخلف عنك في غزوة قط، فقال رسول الله ﷺ: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس من تولاني فقد تولى الله، ومن تولى علياً فقد تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني.

ثم قال: أنشدكم بالله أن تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتي وعترتي،

ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وأنهما لن يزالا فيكم حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة، ثم دعا وهو على المنبر عليّاً فاجتذبه بيده وقال: اللهم وال من والاهُ وعادِ من عاداهُ، اللهم من عادى عليّاً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في أسفل دركٍ من النار!

وأشددكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه كما يذود أحدكم الغربية من وسط إبله.

أشددكم بالله أتعلمون أنه دخل رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه فبكى رسول الله ﷺ فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: يبكيني أني أعلم أن لك في قلوب رجال من أمتي ضعائن، لا يبدونها حتى أتولي عنك! أشددكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة واجتمع عليه أهل بيته قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي، اللهم وال من والاهم وانصرهم على من عاداهم، وقال: إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من دخل فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.

وأشددكم بالله أتعلمون أن أصحاب رسول الله ﷺ قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله ﷺ وحياته ﷺ.

أشددكم بالله أتعلمون أن عليّاً أول من حرّم الشهوات كلّها على نفسه من أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(١)، وكان

عنده علم المنيا، وعلم القضايا، وفصل الكتاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان رهط لا نعلمهم يتممون عشرة، نبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان رسول الله ﷺ فأشهد لكم وأشهد عليكم: أنكم لعناء الله على لسان نبيه ﷺ كلكم.

وأنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ بعث إليك لتكتب لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد فانصرف إليه الرسول فقال: هو يأكل، فأعاد الرسول إليك ثلاث مرّات كلّ ذلك ينصرف الرسول إليه ويقول: هو يأكل، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تشبع بطنه»^(١) فهي والله في نهمتك، وأكلك إلى يوم القيامة، ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر يقوده أخوك^(٢)، وهذا: يوم الأحزاب، فلعن رسول الله ﷺ القائد والراكب والسائق فكان: أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق وأخوك هذا القاعد القائد^(٣)، ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:

أولهن: حين خرج من مكة إلى المدينة وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو سفيان فسبّه، وأوعده، وهم أن يبطش به، ثم صرفه الله عز وجل عنه.

والثانية: يوم العير حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله ﷺ.

(١) حديث: «اللهم لا تشبع بطنه» من الأحاديث المشهورة: رواها مسلم في صحيحه: ج / ٨، ص / ٢٧.

(٢) قيل: هو يزيد بن أبي سفيان.

(٣) تاريخ الطبري: ج / ١١، ص / ٣٥٧.

والثالثة: يوم أحد يوم قال رسول الله ﷺ: الله مولانا ولا مولى لكم، وقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فلعن الله وملائكته ورسوله والمؤمنون أجمعون.

والرابعة: يوم حنين يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وهوازن، وجاء عيينة بغطفان واليهود فردهم الله عز وجل بغيظهم لم ينالوا خيراً، هذا قول الله عز وجل أنزل في سورتين في كليهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفاراً، وأنت يا معاوية يومئذ مشرك على رأي أبيك بمكة، وعلي يومئذ مع رسول الله ﷺ وعلى رأيه ودينه.

والخامسة: قول الله عز وجل: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّةً﴾^(١)، وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله ﷺ، فلعن الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة.

والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصين بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله ﷺ القادة والأتباع والساقاة إلى يوم القيامة، فقيل: يا رسول الله أما في الأتباع مؤمن؟ قال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع، وأما القادة فليس فيهم مؤمن، ولا مجيب ولا ناج.

والسابعة: يوم الثنية يوم شدّ على رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً سبعة منهم من بني أمية وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسول الله ﷺ من حل الثنية غير النبي وسائقه وقائده.

ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي هل علينا من عين؟ فقال: لا،

فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتیان بني أمية فوالذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنة ولا نار.

وأشددكم بالله أتعلمون أنّ أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يا بن أخي اخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى إذا توسط القبور اجتره فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلوننا عليه صار بأيدينا وأنتم رميم، فقال الحسين بن علي عليه السلام: قبح الله شيتك وقبح وجهك، ثم نتريده وتركه فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده وردّه إلى المدينة لهلك، فهذا لك يا معاوية، فهل تستطيع أن ترد علينا شيئاً؟!

ومن لعنتك يا معاوية أنّ أباك أبا سفيان كان يهيم أن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروى في قريش وغيرهم، تنهاه عن الإسلام وتصدّه، ومنها أنّ عمر بن الخطاب وآل الشام فحنت به، وولّك عثمان فتربّصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله ورسوله: إنك قاتلت عليّاً عليه السلام وقد عرفته وعرفت سوابقه، وفضله وعلمه على أمرٍ هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولأذيتته، بل أوطأت الناس عشرة، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شر مثوى، وعليّ إلى خير منقلب والله لك بالمرصاد.

فهذا لك يا معاوية خاصة، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك فقد كرهتُ به التطويل.

وأما أنت يا عمرو بن عثمان: فلم تكن للجواب حقيقةً بحمقك، أن تتبع هذه الأمور فإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي فإني

أريد أن أنزلَ عنك، فقالت لها النخلة: ما شعرتُ بوقوعك فكيف يشق عليّ نزولك؟! وإني والله ما شعرتُ أنّك تجسر أن تعادي لي فيشق عليّ ذلك، وإني لمجيئك في الذي قلت: إنّ سبّك عليّاً أبغض في حسبه أو تباعده من رسول الله ﷺ، أو بسوء بلاءٍ في الإسلام، أو بجور في حكم، أو رغبة في الدنيا؟! فإن قلت واحدة منها فقد كذبت، وأمّا قولك: إنّ لكم فينا تسعة عشر دماً يقتلى مشركي بني أمية ببدر، فإنّ الله ورسوله قتلهم، ولعمري لتقتلن من بني هاشم تسعة عشر وثلاثة بعد تسعة عشر، ثم يقتل من بني أمية تسعة عشر وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أمية لا يحصي عددهم إلا الله، وأنّ رسول الله ﷺ قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً: أخذوا مال الله بينهم دولاً وعباده خولاً، وكتابه دغلاً، فإذا بلغوا ثلاثمائة وعشراً حقّت اللعنة عليهم ولهم، فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرّة، فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذّكر والكلام فقال رسول الله ﷺ: اخفضوا أصواتكم فإنّ الوزغ ليسمع، وذلك حين رآهم رسول الله ﷺ: ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأمة - يعني في المنام - فساءه ذلك وشقّ عليه، فأنزل الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾^(١)، يعني: بني أمية، وأنزل أيضاً: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٢)، فأشهد لكم، وأشهد عليكم، ما سلطانكم بعد قتل عليّ إلا ألف شهر التي أجلها الله عزّ وجلّ في كتابه وأمّا أنت يا عمرو بن العاص

(١) سورة الإسراء - الآية ٦٠.

(٢) سورة القدر - الآية ٣.

الشَّانِيءُ اللَّعِينُ الْأَبْتَرُ: فَإِنَّمَا أَنْتَ كَلْبٌ أَوَّلُ أَمْرِكَ، إِنَّ أَمَّكَ لَبَغِيَّةٌ وَإِنَّكَ وُلِدْتَ عَلَى فِرَاشٍ مَشْتَرِكٍ، فَتَحَاكَمْتَ فِيكَ رِجَالُ قَرِيشٍ مِنْهُمْ: أَبُو سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَعَثْمَانُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَاثِلٍ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّكَ ابْنُهُ، فَغَلِبَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ بَيْنِ قَرِيشٍ الْأَمَّهُمْ حَسَبًا، وَأَخْبَثَهُمْ مَنْصَبًا، وَأَعْظَمَهُمْ بَغِيَّةً، ثُمَّ قَمَتَ خَطِيبًا وَقَلْتَ: أَنَا شَانِيءٌ مُحَمَّدٌ، وَقَالَ الْعَاصِمُ بْنُ وَاثِلٍ: إِنَّ مُحَمَّدًا رَجُلٌ أَبْتَرٌ لَا وَلَدَ لَهُ، فَلَوْ قَدِمَتْ أَنْتَ لَمَاتَ انْقِطَعُ ذِكْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١)، وَكَانَتْ أَمَّكَ تَمَشِي إِلَى عَبْدِ قَيْسٍ تَطْلُبُ الْبَغِيَّةَ، تَأْتِيهِمْ فِي دَوْرِهِمْ وَرِحَالِهِمْ وَبَطُونِ أَوْدِيَّتِهِمْ، ثُمَّ كُنْتَ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ يَشْهَدُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ عَدُوِّهِمْ أَشَدَّهُمْ لَهُ عِدَاوَةً، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ تَكْذِيبًا، ثُمَّ كُنْتَ فِي أَصْحَابِ السَّفِينَةِ: الَّذِينَ أَتَوْا النَّجَاشِيَّ وَالْمُهَاجِرَ الْخَارِجَ إِلَى الْحَبْشَةِ فِي الْإِشَاطَةِ بِدَمِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَسَائِرِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَحَاقَ الْمَكْرَ السَّيِّئُ بِكَ، وَجَعَلَ جَدَّكَ الْأَسْفَلَ وَأَبْطَلَ أَمْنِيَّتَكَ، وَخَيَّبَ سَعِيكَ، وَأَكْذَبَ أَحَدُوثَكَ، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٢)، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي عَثْمَانَ: فَأَنْتَ يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ وَالذِّينِ أَلْهَبْتَ عَلَيْهِ نَارًا، ثُمَّ هَرَبْتَ إِلَى فِلَسْطِينَ تَتَرَبَّصُ بِهِ الدَّوَائِرُ، فَلَمَّا أَتَتْكَ خَبْرَ قَتْلِهِ حَبَسْتَ نَفْسَكَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَبَعَثَهُ دِينَكَ يَا خَبِيثَ بَدْنِيَا غَيْرِكَ، وَلَسْنَا نَلُومُكَ عَلَى بَغْضَانَا، وَلَمْ نَعَاتِبْكَ عَلَى حُبِنَا، وَأَنْتَ عَدُوٌّ لِبَنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَقَدْ هَجَوْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ بَيْتًا مِنْ شَعْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) الكوثر / ٣.

(٢) التوبة / ٤٠.

الله ﷻ: اللهم إني لا أحسن الشَّعر، ولا ينبغي لي أن أقوله فالعن عمرو بن العاص بكل بيت ألف لعنة، ثم أنت يا عمرو المؤثر دنياك على دينك أهديت إلى النجاشي الهدايا ورحلت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية، كل ذلك ترجع مغلوباً، حسيراً تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه، فلما أخطأك ما رجوت وأملت، أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد.

وأما أنت يا وليد بن عقبة: فوالله ما ألومك أن تبغض علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبه وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن وسماك فاسقاً وهو قول الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢)، وما أنت وذكر قريش وإنما أنت ابن علق من أهل صفورية اسمه: ذكوان، وأما زعمك إنا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا لعلي بن أبي طالب فكيف تقوله أنت؟ ولو سألت أمك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط، اكتسبت بذلك عند نفسها سناء ورفعة، مع ما أعد الله لك ولأبيك ولأمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة وما الله بظلام للعبيد!، ثم أنت يا وليد، والله أكبر في الميلاد ممن تدعي له، فكيف تسب علياً ولو اشتغلت بنفسك لتثبت نسبك إلى أبيك لا إلى من تدعي له، ولقد قالت لذلك أمك: يا بني أبوك والله ألام

(١) السجدة / ١٧.

(٢) الحجرات / ٦.

وأخبت من عقبه!!! وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان: فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك، ولا عاقل فأعاتبك، وما عندك خير يرجى، وما كنت ولو سبيت علياً لأعير به عليك، لأنك عندي لست بكفو لعبد علي بن أبي طالب عليه السلام فأرد عليك، وأعاتبك، ولكن الله عز وجل لك ولأبيك وأمك وأخيك لبالمرصاد، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلِي نَاراً حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^(١)، وأما وعيدك إياي أن تقتلني فهلا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليتك، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتى ألصق بك ولداً ليس لك، ويلاً لك لو شغلت نفسك بطلب ثأرك منه كنت جديراً، ولذلك حرياً إذ تسومني القتل وتوعدني به، ولا ألومك أن تسب علياً وقد قتل أخاك مبارزة، واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب عليه السلام في قتل جدك حتى أصلاهما الله على أيديهما نار جهنم، وأذاقهما العذاب الأليم، ونفي عمل بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله لئن رجوتها فإن لي فيها لملتماً، وما أنت بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك، لأن أخاك آثر تمرداً على الله، وأشد طلباً لإهراقه دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وأما قولك: إن علياً كان شر قريش لقريش فوالله ما حقر مرحوماً ولا قتل مظلوماً، وأما أنت يا مغيرة بن شعبة: فإنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيّه مكذب، وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة

الأتقياء، فأخر رجمك، ودُفِعَ الحقُّ بالأباطيل، والصّدقُ بالأغاليط، وذلك لما أعدَّ اللهُ لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدّنيا، ولعذاب الآخرة أخصى، وأنت الذي ضربت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ حتّى أدميتها وألقت ما في بطنها، استدلالاً منك لرسول الله ﷺ ومخالفةً منك لأمره، وانتهاكاً لحرمة، وقد قال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة أنت سيدة نساء أهل الجنة، والله مصيرك إلى النّار، وجاعل وبال ما نطقتَ به عليك، فبأي الثلاثة سببتَ عليّاً؟: أنقصاً من نسبه، أم بعداً من رسول الله ﷺ أم سوء بلاء في الإسلام أم جوراً في حكم أم رغبة في الدّنيا، إن قلتَ بها فقد كذبت وكذبتك الناس، أترعم أن عليّاً قتل عثمان مظلوماً؟ فعلي والله أنقى وأنقى من لائمة في ذلك، ولعمري إن كان علي قتل عثمان مظلوماً فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حياً ولا تعصبتَ له ميتاً، وما زالت الطائف دارك تتبع البغايا وتحبي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام، حتّى كان في أمس! وأما اعتراضك في بني هاشم وبني أمية فهو ادعاؤك إلى معاوية، وأما قولك في شأن الإمارة وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمئة سنة وموسى وهارون عليهما السلام نبيان مرسلان يلقيان ما يلقيان من الأذى، وهو ملك الله يعطيه البرّ والفاجر وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١)، وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢).

(١) الأنبياء / ١١١.

(٢) الإسراء / ١٦.

ثم قام الحسن عليه السلام فنفض ثيابه وهو يقول: «الخبثات للخبثين والخبثون للخبثات» هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١)، هم علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته.

ثم خرج وهو يقول لمعاوية: ذُق وبال ما كسبت يداك وما جنيت، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبال ما قد جنيتم.

فقال له الوليد بن عقبة: والله ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك، فقال معاوية: ألم أقل لكم أنكم لن تتصفوا من الرجل فهلا أطعتموني أول مرة فاتصرتم من الرجل إذ فضحكم، فوالله ما قام حتى أظلم علي البيت، وهممت أن أسطوبه فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم.

قال وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي عليه السلام فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت فسألهم: ما الذي بلغني عن الحسن وزعله؟، قالوا: قد كان كذلك، فقال لهم مروان: أفلا أحضرتموني ذلك؟ فوالله لأسبته ولأسبى أباه وأهل البيت سباً تتغنى به الإماء والعبيد.

فقال معاوية والقوم: لم يفتك شيء وهم يعلمون من مروان بذو لسان وفحش، فقال مروان: فأرسل إليه يا معاوية، فأرسل إلى الحسن بن علي عليه السلام، فلما جاءه الرسول قال له الحسن عليه السلام: ما يريد هذا الطاغية مني؟ والله إن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه ما يبقي عليه عاره وشناره إلى يوم

القيامة، فأقبل الحسن عليه السلام، فلما أن جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التي تركهم فيها، غير أن مروان قد حضر معهم في هذا الوقت، فمشى الحسن عليه السلام حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص، ثم قال الحسن لمعاوية: «لم أرسلت إليّ؟» قال: لست أنا أرسلت إليك ولكن مروان الذي أرسل إليك فقال الحسن عليه السلام: «وما الذي أردت؟».

فقال: والله لأسبّك وأباك وأهل بيتك سبّاً تتغنى به الإماء والعبيد.

فقال الحسن عليه السلام: «أما أنت يا مروان فلست أن سببتك ولا سببتُ أباك، ولكن الله عزّ وجلّ لعنك ولعن أباك، وأهل بيتك وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، والله يا مروان ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوفك إلا طغياناً كبيراً، وصدق الله وصدق رسوله».

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(١)، وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله عزّ وجلّ.

فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه السلام، وقال: يا أبا محمّد ما كنت فحاشاً ولا طيئاشاً، فنفض الحسن عليه السلام ثوبه، وقام فخرج، فتفرق القوم عن المجلس بغیظ، وحزن، وسواد الوجوه^(٢).

(١) الإسراء / ٦٠.

(٢) الاحتجاج: ج / ١، ص / ٤٠١-٤١٦، احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على جماعة من المنكرين لفضله.

إيذاء أبناء الطلقاء له



وروى الشيخ أبو منصور

أحمد بن علي بن أبي طالب
الطبرسي قال: إن عمرو بن

العاص، قال لمعاوية: ابعث إلى الحسن بن علي عليه السلام فمره أن يصعد المنبر. ويخطب الناس، فلعله أن يُحصر فيكون ذلك مما نُعيّر به في كلِّ محفل، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر وقد جمع له الناس ورؤساء أهل الشَّام، فحمد الله الحسن صلوات الله عليه وأثنى عليه، ثم قال: «أيها النَّاس، من عرفني فأنا الَّذي يعرف، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عمِّ نبي الله أوَّل المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وجدِّي محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله نبي الرَّحمة، أنا ابن البشير، أنا ابن النَّذير، أنا ابن السَّراج المنير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بُعث إلى الجن والإنس أجمعين»، فقطع عليه معاوية فقال: يا أبا محمَّد خلنا من هذا وحدثنا في نعت الرُّطب! أراد بذلك تخجيله، فقال الحسن عليه السلام: «نعم التمر، الرِّيح تنفخه، والحرّ ينضجه، والليل يبرده ويطيِّبه».

ثمَّ أقبل الحسن عليه السلام: فرجع في كلامه الأوَّل فقال: «أنا ابن مستجاب الدَّعوة، أنا ابن الشَّفيع المطاع، أنا ابن أوَّل من ينفض عن رأسه التراب، أنا ابن من يقرع الجنة فيفتح له فيدخلها، أنا ابن من قاتل معه الملائكة، وأحل له

المغنم ونصر بالرّعب من مسيرة شهر» فأكثر في هذا النوع من هذا الكلام^(١) ولم يزل به حتّى أظلمت الدّنيا على معاوية، وعرف الحسن عليه السلام مسن لم يكن عرفه من أهل الشّام وغيرهم ثمّ نزل.

فقال له معاوية: أمّا أنّك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك، فقال الحسن عليه السلام: «أمّا الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بطاعة الله عزّ وجلّ، وليس الخليفة من سار بالجور وعطل السنن واتخذ الدّنيا أمّاً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولا، ولكنّ ذلك أمرٌ ملكٍ أصاب مُلكاً فتمتّع منه قليلاً، وكان قد انقطع عنه فاتخّم لذته وبقيت عليه تبعته، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٢)، ﴿مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾^(٣)، وأوحى بيده إلى معاوية ثمّ قام فانصرف، فقال معاوية لعمره: والله ما أردت إلا شيني حين أمرتني بما أمرتني، والله ما كان يرى أهل الشّام أنّ أحداً مثلي في حسب ولا غيره، حتّى قال الحسن ما قال، قال عمرو: وهذا شيء لا يستطاع دفته ولا تغييره لشهرته في النّاس واتّصّاحه، فسكت معاوية^(٤).

(١) وذكر ابن شعبة الحرّاني في كتابه تحف العقول: ص / ٢٢٢، خطبته عليه السلام حين قال له معاوية بعد الصّلح: اذكر فضلنا، إنّه قال: «أنا ابن المستجاب الدّعوة، أنا ابن من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن الشّفييع المطاع، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن من خضعت له قريش رغماً، أنا ابن من سعّد تابعه وشقي خالده، أنا ابن من جعلت الأرض له طهوراً ومسجداً، أنا ابن من كانت أخبار السّماء إليه تترى، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً».

(٢) الأنبياء / ١١١.

(٣) الشّعراء / ٢٠٥ - ٢٠٧.

(٤) الاحتجاج: ج / ١، ص / ٤١٨ - ٤٢٠.

لقد كان «ابن العاص» يزيد في الهوة والخلاف بين سيد بني هاشم عليه السلام وبين صنوه معاوية، وهو حتماً كان سيستفيد من ذلك، وكان دائماً يسعى في سعاياته للنيل من معاوية، وهو يعلم علم اليقين أن الحسن عليه السلام هو صاحب الحق، ولكنه لمرضٍ في نفسه وغرض كان يكمن في ذاته الخبيثة، لعله في وقت من الأوقات يستطيع أن ينقض على السلطة العليا، ولا يخفى من أن ما كان عند ابن هند هو من فضائل ابن العاص عليه، ذلك الثعلب الماكر الذي أنقذه يوم التحكيم، وأنقذه يوم كشف العورة في المعركة، والخبيث كما وصفه المؤرخون بأنه واحد من دهاة العرب!!!، وكلما كان ابن العاص يومئذٍ لمعاوية من النيل من ابن الزهراء البتول عليها السلام، كانت خططه تفشل في قوة حجة سيد شباب أهل الجنة.

وفي رواية الميرزا حسين التوري الطبرسي: قال عمرو: أبا محمد هل تنعت الخراً؟! قال عليه السلام: «نعم، تُبعدُ الممشى في الأرض الصّحصح»^(١)، حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تمسح باللقمة والرّمة [يريد العظم والرّوث] ولا تبلى في الماء الرّاكد»^(٢).

لقد كان هذا الخبيث من وراء سؤاله، يريد الاستهزاء وإضحاك الناس على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الإمام عليه السلام ألقمه حجراً إلى يوم الدين! لأنّ الإمام عليه السلام ينظر بنور الله عزّ وجلّ، لا كما ينظر هؤلاء السفلة الأراذل، لأنّ ما نطق به الإمام صلوات الله عليه، لا يصدر إلا من بيوت الأنبياء، وأين هذه الأجوبة المفحمة من أناس لقطاع تنازع عليهم الرجال، وكبروا في

(١) الصّحصح: المستوي المتساوي.

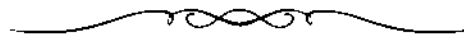
(٢) مستدرک الوسائل: ج / ١، ص / ٢٥١، باب / ٤، من أحكام الخلوّة، ح / ٨.

أحضان العواهر والساقطات، وتُعساً لهكذا أمة جعلت من هؤلاء الأراذل أئمة لها، وتبأ لها وترحاً.

ويستحضر في كلام لأحد العلماء الذين عاصروا زعيم الطائفة السيد أبو الحسن الأصفهاني رضوان الله عليه حينما سكن الكاظمين في أخريات عمره للنقاهة حيث كان يصلي في صحن جدّه الإمام الكاظم ﷺ، حيث جاء أحد العوام من العامة وسأل السيد بروح خبيثة: سيدنا ما طعم الخرأة؟ فقام الناس ليضربوه ولكن السيد قدّس سرّه منعهم وأجابه بصدر رحيب: يا ولدي، الخرأة تمرّ بثلاث مراحل: أولها تكون حلوة المذاق، وثانيها تصير حامضة، وثالثها تستحيل مرّة لكثرة تجمع البق عليها! فما كان من هذا الخبيث إلا أن بادره وقال: هل أكلت منها؟ فانزعج الناس، ولكن السيد أعلى الله مقامه لم ينزعج إطلاقاً وقال: يا بني: العقل يقول ولا يحتاج للإنسان أن يتذوق النجاسة، فإن أولها تكون حلوة لاجتماع الذباب عليها، وثانيها تصير حامضة لتكون الدود منها، وثالثها تستحيل مرّة لكثرة تجمع البق عليها! فانبهر الرّجل من هذا الكلام العقلاني المنطقي الذي لم يصدر إلا من أهله، وقال للسيد: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً وابن أمير المؤمنين بلا شك وإني أتوب إلى الله من فعلتي التي أرسلني بها جماعة للاستهزاء بمقامك الشريف فهل تأذن لي أن أكون من مقلّديك ومن الموالين لآل البيت الأطهار ﷺ؟ فقال له السيد: إن تُبّت تاب الله عنك فاستأنف العمل ولا تراجع لسابق عهدك.

سبحان الله ما أكثر العبر وأقل الاعتبار، وهؤلاء المبطلين لم يدعوا الإمام الحسن ﷺ وشأنه، حتّى وهو يتنازل من حقه الشرعي لهم، لم

يتركوه وشأنه، وكانوا يتحينون الفرص تلو الأخرى للنيل من مقامه السامي والاستهزاء به، فعن العلامة محمد باقر المجلسي قدس سره قال: إن معاوية سأل الحسن عليه السلام أن يصعد المنبر ويتسب، فصعد عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسأبين له نفسي، بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفاء، وأنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحياء، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن قليلات العيوب، نقيات الجيوب» وأذن المؤذن^(١)، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، فقال: «يا معاوية محمد أبي أم أبوك؟ فإن قلت: ليس بأبي، فقد كفرت، وإن قلت: نعم، فقد أقررت» ثم قال: «أصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً عليه السلام منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً عليه السلام منها وأصبحت العجم تعرف حق العرب بأن محمداً منها، يطلبون حقنا ولا يردون إلينا حقنا»^(٢).



(١) وكان آذان المؤذن بإشارة من معاوية لإسكات الإمام عليه السلام كما صنع ابنه يزيد بالإمام زين العابدين عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار: ج / ٤٣، ص / ٣٥٦، الباب / ١٦، الحديث / ٣٤.

الفصل الثالث

- عودُ على بدء

- من هو معاوية

- من هو جبر الأئمة

- رسائل الإمام وتعبئته للجيوش

- تخلف الناس واختلاف كلمتهم

- مظلوم التأمير وخيانة ذوي القربى

- وقفة مع العلامة المظفر قدس سره

- وقفة مع المجدد الشيرازي قدس سره



عود على بدء



قلنا: في المقال الرابع
والخامس من الفصل الأول في
إمامته عليه السلام ودلالة ذلك في

معاجزه الشريفة صلوات الله وسلامه عليه، بأن اليوم الأول من إمامته عليه السلام هو يوم الواحد والعشرون من شهر رمضان المبارك لسنة «٤٠» من الهجرة وهو يوم ارتحال والده سيد الوصيين وأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وأول الخلفاء الراشدين المعصومين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإن إحدى نصوص هذه الإمامة الكبرى والخلافة العظمى هو ذلك الحجر الذي وضع عليه ختمه المبارك يوم جاءت به حباة الوالية وعليه ختم أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد تضافرت النصوص من قبل الرسول الأعظم عليه السلام على إمامة أئمة الهدى عليهم السلام، وقد جاءت واضحة وجلية، ولم تدع مجالاً لأحدٍ في إنكارها، أو تحريفاً لمضامينها، كما فعل النصارى في تحريف النصوص الواردة في الأنجيل وتشويه مضامينها الأصلية، مع وضوحها كوضوح الشمس، ومن تلکم الأحاديث الواردة عن الحبيب المصطفى عليه السلام ما رواه شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره بإسناده، عن أبي جعفر محمد بن سفيان البرزوفري، عن أبي علي أحمد بن إدريس، وعبد الله بن جعفر الحميري، عن أبي الخير صالح بن أبي حماد الرازي، والحسن بن ظريف

جميعاً، عن بكر بن صالح، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي محمد بن علي لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أي الأوقات أحببت، فخلا به أبي في بعض الأوقات، فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام، وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟

فقال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهنأتها بولادة الحسين عليه السلام، ورأيت في يدها لوحاً أخضر، فظننت أنه زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض، شبه نور الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا ابنة رسول الله ما هذا اللوح؟

فقلت: هذا اللوح أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيه اسم أبي، واسم بعلي، واسم ابني، وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك.

قال جابر: فأعطتني أمك فاطمة عليها السلام فقرأته فاستنسخته.

قال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟، قال: نعم.

فمشى معه أبي حتى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج أبي صحيفة من رق.

قال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ أنا عليك.

فنظر جابر في نسخهته وقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً.

قال جابر: فأشهد بالله أنني هكذا رأيت في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي، وأشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، وإني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين، ومديل المظلومين، وديان الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، من رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فإيائي فاعبد وعليّ فتوكل، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك عليّاً على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده وسبطيك حسن وحسين، فجعلتُ حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن علمي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، وهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، وحجتي البالغة عنده، بعزته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين، وزين أولياء الماضين، وابنه شبيه جدّه المحمود محمد الباقر، باقر علمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الرّاد عليه كالرّاد عليّ، حق القول مني لأكرم منّ مثنى جعفر ولأسرته في أشياعه وأنصاره وأوليائه، تنتج بعده فتنة عمياء حندس لأنّ خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وأنّ أوليائي لا يشقون، ألا ومن جحدّ واحداً منهم فقد جحدّ نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افتري عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي، إنّ المكذب بالثامن مكذب بكلّ أوليائي، عليّ وليّ وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمتعته بالاضطلاع بها يقتله عفرت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصّالح إلى جنب شر

خلقي، حقّ القول مني لأقرن عينيه بمحمد ابنه وخليفته ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سري، وحجتي على خلقي، جعلت الجنة مشواه، وشفعته في سبعين من أهل بيته، كلهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه علي ولبي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي، أخرج منه الداعي إلى سيّلي، والخازن لعلمي الحسن، ثم أكمل ذلك بابنه «مُحَمَّدٌ» رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب، فيدّل أوليائي في زمانه، وتتهادى رؤوسهم ما تتهادى رؤوس التّرك والدّيلم، فيقتلون ويحرقون، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويغشو الويل والرّنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقاً، بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزّلازل، وأرفع الأصار والأغلال ﴿أُولَئِكَ عَلَيْنِهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١).

وروى ابن شهر آشوب المازندراني عن جماعة عن التلعكبري، عن محمد بن أحمد بن عبيد الله الهاشمي، عن عيسى بن أحمد، عن أبي الحسن علي بن محمد العسكري، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي صلوات الله عليه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يلقي الله عزّ وجلّ أمناً مطهراً لا يحزنه الفرع الأكبر فليتولك وليتولّ أبناءك الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمداً وعلياً والحسن ثم المهدي وهو خاتمهم، وليكوننّ في آخر الزّمان قومٌ يتولونك يا علي يشنأهم الناس ولو أحبّوهم كان خيراً لهم لو

(١) البقرة/ ١٥٧.

(٢) الغيبة: ص/ ١٠٣ - ١٠٤.

كانوا يعلمون، يؤثرونك وولدك على الآباء والأمهات والأخوة والأخوات وعلى عشائهم والقربات، صلوات الله عليهم أفضل الصلوات أولئك يحشرون تحت لواء الحمد، يتجاوز عن سيئاتهم، ويرفع درجاتهم جزاءً بما كانوا يعملون»^(١).

وذكر الموفق بن أحمد بن محمد الخوارزمي، أسمائهم المباركة، فنقل بسنده عن وائلة بن الأسقع، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخل جندل بن جنادة بن جبيرة اليهودي على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله؟

فقال ﷺ: «أما ما ليس لله، فليس لله شريك، وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود إنَّ عزيزاً ابن الله والله لا يعلم أنَّ له ولد بل يعلم أنَّه مخلوقه وعبده» فقال: أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله حقاً وصدقاً.

ثمَّ قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم؟

قال: «أوصيائي الاثني عشر»، قال جندل: هكذا وجدناهم في التوراة! وقال: يا رسول الله سمهم لي؟

فقال: «أولهم سيّد الأوصياء أبو الأئمة علي، ثمَّ ابنه الحسن والحسين، فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين، فإذا ولد علي بن الحسين - زين العابدين - يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه».

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ١، ص / ٢٠٦ - ٢٠٧.

فقال جندل: وجدنا في التّوراة وفي كتب الأنبياء عليهم السلام، إيليا وشبراً وشبيراً، فهذه أسماء علي والحسن والحسين، فمن بعد الحسين وما أسماؤهم؟ قال عليه السلام: «إذا انقضت مدة الحسين، فالإمام ابنه علي، ويلقب بزَيْن العابدين، فبعده ابنه محمّد، يلقب بالباقر، فبعده ابنه جعفر، يدعى بالصّادق، فبعده ابنه موسى، يدعى بالكاظم، فبعده ابنه علي، يدعى بالرّضا، فبعده ابنه محمّد، يدعى بالتّقي والزّكي، فبعده ابنه علي، يدعى بالتّقي والهادي، فبعده ابنه الحسن، يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمّد، يدعى بالمهدي والقائم والحجة، فيغيّب ثم يخرج فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) ثم قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

فقال جندل: الحمد لله الذي وفقني لمعرفةهم، ثم عاش إلى أن كانت ولادة علي بن الحسين فخرج إلى الطائف ومرض وشرب لبناً وقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف «بالكوزارة»^(٣).

وهناك عشرات الروايات التي صرّحت بالأئمة الأمراء أو الخلفاء بعد الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وكلّهم من قريش، فبعضهم صرح بأسمائهم وبعض لم يصرّح لمرض في نفسه، وأهم هذه الكتب هي الصّحاح المعتمد عليها

(١) البقرة / ٢ - ٣.

(٢) المجادلة / ٢٢.

(٣) فرائد السمطين في فضائل البتول والمرضى والحسينين.

عند أهل السنة والجماعة منها:

صحيح البخاري: ج/٩، ص/١٠١، وصحيح مسلم: ج/٦، باب/ الناس تبع لقريش، وابن حجر الهيثمي في الصواعق: ص/١٨٧، وأحمد بن حنبل، في المسند: ج/٥، ص/٩٢، والخطيب البغدادي، في تاريخ بغداد: ج/١٤، ص/٣٥٣، وابن كثير الدمشقي، في البداية والنهاية: ج/٦، ص/٢٤٨، والكثير من المصادر الأخرى، أعرضنا عنها لضيق المقام، ولأجل سطوع البراهين لمن يريد التأكيد على أحقية أن الخلفاء الراشدون بعد الحبيب المصطفى ﷺ هم عليّ وبنوه لا غيرهم من المدعين والكذابين، وتجب به الحجة على كل مخالف معاند، وشاك، ومتحير بذكر ما ندب إليه في التوراة وغيرها من ذكر الأئمة الاثني عشر ﷺ، ليعلم القارئ لهذا الكتاب أن الحق كلما شرح أضاءت سرجه، وزهرت مصابحه، وبهر نوره فمما ثبت في التوراة مما يدل على الأئمة الاثني عشر ﷺ ما ذكره في السفر الأول فيها، من قصة النبي إسماعيل ﷺ بعد انقضاء قصة سارة، وما خاطب الله تعالى به نبيّه إبراهيم ﷺ في أمرها وولدها، في ما ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني قدس سرّه، قوله عز وجل: «وقد أحببت دعائك في إسماعيل، وقد سمعتك ما باركته، وسأكثره جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً أجعلهم أئمة كشعب عظيم»^(١).

وعنه قدس سرّه قال: أقرأني عبد الحلیم بن الحسين السمری رحمه الله ما أملاه عليه رجل من اليهود «بأرجان»، وهي في إقليم فارس كما في «مرصد الاطلاع» يقال له: الحسين بن سليمان من علماء اليهود بها من

أسماء الأئمة عليهم السلام بالعبرانية وعدتهم، وقد أثبتهم على لفظه، وكان فيما قرأه أنه يبعث من ولد النبي إسماعيل عليه السلام في التوراة «إشمئيل» يسمى «مابد» يعني محمداً «مغسورا» يكون سيداً، ويكون من آله اثنا عشر رجلاً أئمة وسادة يُقتدى بهم، وأسماءهم:

تقوييت، فيذوا، ذبيراً، مغسورا، مسموعا، دوموه، ثبر، هذار، يثمو، بطور، نوقش، قيدموا.

وسئل هذا اليهودي عن هذه الأسماء في أي صورة هي؟ فذكر أنها في مثلي سليمان «يعني في قصة سليمان عليه السلام». وقرأ منها أيضاً قوله:

وليشمئيل شمعتيخا هنيي برختي أوتو وهيريتي أتو بمئيد مئيد شنيم عاسار نسيثيم يولد وتولغوي عادل. وقال في تفسير هذا الكلام:

أنه يخرج من صلب إسماعيل ولد مبارك عليه صلاتي وعليه رحمتي، يلد من آله اثنا عشر رجلاً يرتفعون ويبجلون، ويرتفع اسم هذا الرجل ويُجلّ ويعلو ذكره.

وقرئ هذا الكلام والتفسير على موسى بن عمران بن زكريا اليهودي فصححه، وقال فيه إسحاق بن إبراهيم بن يختويه بحسون اليهودي النسوي مثل ذلك^(١).

ويقول الباحث تامر مير مصطفى عند ذكر الأئمة عليهم السلام في سفر التكوين: وقد أشار إليها يوحنا الديلمي أبرز وأقرب تلامذة السيد

(١) المصدر السابق: ص / ١٠٩.

المسيح ﷺ: جاء في الإصحاح الثاني عشر من رؤياه عن أمور غيبية سوف تحدث في المستقبل يقول يوحنا: «وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسريلة بالشمس والقمر تحت رجليها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكب، وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد».

يقول الباحث تامر مير مصطفى: لم يتمكن علماء الكنيسة من إعطاء تفسير واضح المعاني لما ورد في هذه الرؤيا، فادعوا إن المقصود بالمرأة فيها الكنيسة المسيحية، ولكن دون أن يتمكنوا من حل رموزها بشكل يؤدي إلى الاطمئنان في النفس خصوصاً بعدما ابتعدت الكنيسة عن تعاليم السيد المسيح وعقيدة التوحيد لتقع في الشرك الصريح عن طريق إتباعها العقيدة الثلاثية وعبادة أتباعها للمخلوقات «كعبادتهم لعيسى وإضافتهم صفة الألوهية عليه» والمنحوتات كما يرى اليوم في كنائسهم، ثم أي كنيسة يقصدون؟ أهي الكنيسة الكاثوليكية، أم البروتستانتية، أم الأرثوذكسية، أم غيرها أيضاً من الكنائس المتناقضة فيما بينها بالنسبة لأساس العقيدة عندهم؟ أما إدعاء البعض منهم بأن مريم والدة عيسى ﷺ هي المرأة العظيمة المعنية في هذه المكاشفة والتي سيكون لها ولنسلها دور عظيم في تاريخ هداية البشر، فإنه ادعاء باطل وأدهى من سابقه لما يلي:

١- فمريم ﷺ لم يكن لها نسل معروف على مستوى الدعوة إلى الله سوى ابنها عيسى ﷺ الذي جاء في فترة قصيرة محددة لم تتعد السنين الثلاث في تاريخ الدعوة إلى الله.

٢- لم يعرف لمريم نسل غير عيسى، قام بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله ومقارعة الطواغيت.

٣- أمّا ادعاؤهم بأنّ الكواكب الاثني عشر- التي تشكل إكليلاً يُزيّن به رأس تلك المرأة العظيمة هم حواريو عيسى الاثنا عشر فهو إدعاء أيضاً مردود بحكم ما ورد بحقهم على لسان عيسى نفسه من تقرّيع وتشكيك في إخلاصهم لرسالته، فهو تارة يؤنبهم مخبراً إياهم بأنهم سيشكون به وبرسالته، وتارة أخرى يؤنبهم لأنهم سوف ينكرونه ويخذلونه في ساعة المحنة، ففي آخر ليلة من وجوده معهم حذرهم معاتباً: «... حيثنّذ قال لهم يسوع كلّكم تشكّون فيّ هذه الليلة»^(١).

فلو كان إيمانهم به وبرسالته قوياً بعد طول مدة من الإتياع فكيف يمكن لهم الشكّ به في تلك السّاعة العصيبة وهو محاصر من قبل أعدائه؟

كما أنّه على الرّغم من معاينتهم لكثير من المعجزات التي أجزاها الله على يديه نجدهم يترددون في إيمانهم به ويشكون في صدق حديثه معهم فيما حدا به أن يصرخ بهم متهماً إياهم بقلّة الإيمان، فقد روى متى في إنجيله: «وقال لهم «للحواريّين» يسوع انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصّدوقيين، ففكروا في أنفسهم قائلين: إنّنا لم نأخذ خبزاً، فعلم يسوع وقال لهم: لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان إنكم لم تأخذوا خبزاً، حتّى الآن لا تفهمون»^(٢).

فمن يكن كما كان يهوذا الأسخريوطي - أحد التلاميذ الاثني عشر-
«لصاً وكان أمين الصّندوق فيختلس ما يودع فيه»^(٣).

(١) إنجيل متى ١٢: ٤٦-٤٩.

(٢) إنجيل متى ١٦: ٦-٩.

(٣) إنجيل يوحنا: ١٢.

والمثال الثاني فهو الحواري الكبير بطرس «القدّيس بطرس» زعيم الحواريين الاثني عشر، فقد وصفه عيسى عليه السلام كبقية زملائه بقلّة الإيمان كما أسلفنا سابقاً، ونعته مرّة أخرى بأنّه شيطان حسب ما جاء في إنجيل مرقس: وقال «أي عيسى» القول علانية فأخذه بطرس إليه وابتدأ يتهره، فالتفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً: «اذهب عني يا شيطان، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»^(١).

ونقرأ أيضاً في أناجيل القوم عن خيانة الحواري بطرس لسيدّه وإنكاره إيّاه ثلاث مرّات في الليلة التي قبض فيها عليه.

فقد ذكر متى في إنجيله: حينئذ قال لهم: «للحواريين» يسوع كلّمكم تشكون فيّ هذه الليلة لأنّه مكتوب أنّي أضرب الرّاعي فتبدون خراف الرّعية... فأجاب بطرس وقال له: وإن شكّ فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً، قال له يسوع: الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تُنكرني ثلاث مرّات^(٢).

من كلّ ما تقدم يتبين لنا بوضوح أنّ الكواكب الاثني عشر التي تشكل الإكليل الذي يزين رأس المرأة العظيمة لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن ترمز إلى حواريّ المسيح الاثني عشر، وذلك لما رأيناه من شكهم في أمر المسيح وترددهم وتخاذلهم عنه بحسب ما ترويه أناجيلهم كما أنّ عصر المسيح وأمه وحواريّيه كان قبل رؤية هذه الرّؤيا^(٣).

(١) إنجيل مرقس ٨: ٢٢ - ٢٣.

(٢) إنجيل متى.

(٣) بشائر الأسفار بمحمّد وآله الأطهار: ص / ٢١٩ - ٢٢٩، بتصرف.

«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد واجعله أمة كبيرة».

لقد فسّر البعض أنّ المقصود من عبارة «اثني عشر رئيساً يلد» هم أولاد إسماعيل الاثنا عشر الذين ولدوا في حياته، واستندوا في ذلك إلى ما ورد في سفر التكوين «٢٥: ١٣-١٦» حيث تم ذكر أسماء أولاد إسماعيل الذين ولدوا في حياته، وهذه أسماء بني إسماعيل بحسب أسمائهم ومواليدهم:

بنايوت، بكر إسماعيل، وقيدار، وأدبئيل، ومبسام، ومشماع، ورمة، ومتا، وحدار، وتيما، ويطور، ونافيش، وقزمة.

هؤلاء بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب أحويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيماً لقبائلهم.

ومعلوم أنّه لم يكن لأبناء إسماعيل هؤلاء الذين ولدوا له في حياته دور هام في قيادة الحياة العامة للناس وتوجيهها إلى صراط الله المستقيم وأكثر ما يمكن القول عنهم أنّهم كانوا رؤساء لعوائلهم أو لعشائرتهم، ولذا فإنّ مباركة الله لإسماعيل بأن يجعل منه اثني عشر إماماً لها أهمية خاصة، حيث سيكون لتلك الشخصيات الاثني عشر من ذرية إسماعيل دور رئيس في تاريخ دعوة النّاس وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، بحيث يشكلون على التّرتيب امتداداً مباشراً وطبيعياً لبركة إسماعيل الأولى التي تحققت بظهور حفيد محمّد ﷺ حامل الرّسالة الإلهية الخاتمة للناس جميعاً^(١).

كلّ هذه الأدلة والقرائن ما ظهر لدينا منها وما خفيّ عنا التي لم تتوصل

(١) بشائر الأسفار: ص / ٦١-٦٢ بتصرف.

العقول البشرية عن كنه إدراكه ومعرفته، لدليل ساطع على أن الأئمة الخلفاء النقباء النجباء الأسباط الاثني عشر هم علي وأبناؤه المعصومون صلوات الله عليهم وإن السبط الأكبر الإمام الحسن بن علي هو ثاني الخلفاء الراشدين عليهم السلام وليس غيرهم من هؤلاء الحكام الظلمة الذين لا يرتبطون بالدين الإسلامي الحق لا من قريب ولا من بعيد سوى أنهم حكام سلطويين وليسوا خلفاء للنبي صلى الله عليه وآله على الإطلاق، فهم وصلوا إلى السلطة عن طريق القوة والسيف والملك، فحكوماتهم ظاهرها إسلامي، وباطنها كفر ونفاق وفسق وفجور، ووراثه كسروية، حيث الأول أورثها للثاني والثاني لما بعده، أما الخلافة فهي منصب إليه بتعيين رباني عن طريق النبوة والوحي الإلهي.

وحتى لا نقع في الالتباس نقول: ثمة فارق كبير بين القيادة المنتخبة من قبل السماء، والقيادة المنتخبة من قبل الناس.

فالقائد الرباني المتمثل بالأنبياء والأئمة يختلف عن القائد الذي ينتخبه الشعب لتقرير مصيره، وعلى المجتمع أن يميز بين هذين النوعين من القيادة، فالفارق كبير وبالذات على صعيد اختيار القادة الربانيين، ونقصد بهم الأوصياء عليهم السلام، وعندما يكتشف المجتمع الفارق لا بد أن يكون ولاءه للقيادة الربانية أشد، والتزامه بقراراته أقوى!..

إن وجود الإمام المعصوم في كل زمان يعصم المجتمع من الزلزل ويبعده عن الموت الحضاري، إن تجاهل الأمة وعدم فهمها للقائد ولخصائصه، فإنها تعطي للمتجبر فرصة ذهبية كي يتجبر ويتفرعن، وبالتالي فهي التي تكون سبباً في صناعة الطاغوت، كما حدث مع الإمام

المظلوم السَّبَط الأكبر الحسن بن علي^(١).

أقول إنّ الخليفة الأوّل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين استشهد في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة أربعين بعد الهجرة النبوية الشريفة مقارناً لطلوع الفجر عن «٦٣» سنة^(٢) وأوصى إلى ولده السَّبَط الأكبر الإمام الحسن ﷺ، فعن الشيخ الصدوق والشيخ الكليني والشيخ المفيد والشيخ الطوسي وغيرهم بطرق عديدة بسندهم إلى سليم بن قيس حيث قال: كنت حاضراً عندما أوصى أمير المؤمنين ﷺ والحسين ﷺ ومحمد بن الحنفية وسائر أولاده وأكابر أهل البيت وصناديد الشيعة كانوا حاضرين في ذلك الوقت أعطى ﷺ كتبه وسلاحه إلى الحسن ﷺ، ثم قال:

«يا بني أمرني رسول الله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ رسول الله ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين، ثم أقبل علي ابنه الحسين فقال: وأمرك أن تدفع وصيتك إلى أخيك الحسين ثم أقبل علي ابنه الحسين فقال: وأمرك أن تدفع وصيتك إلى علي بن الحسين، وأمر علي بن الحسين أن يدفع الوصية إلى ولده محمد بن علي فأقرئه عن رسول الله وعني السلام»^(٣).

ثمّ خرج عبد الله بن عباس إلى الناس فقال: إنّ أمير المؤمنين توفي وقد ترك لكم خلفاً فإن أحببتهم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد علي أحد.

(١) حسن الحائري: قبسات من نور الإمام محمد بن علي الجواد: ص / ١٧ بتصرف.

(٢) كما جاء في مناقب الخوارزمي: ص / ٢٨٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ص / ١٧٥ وغيرها.

(٣) ناسخ التواريخ: ج / ١، ص / ١٧٥.

فبكى الناس وقالوا: بل يخرج إلينا.

ثم خرج الحسن عليه السلام بثياب سود إلى المسجد، وكان الناس يفدون إلى المسجد جماعات جماعات، فارتقى عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وصلى عليه وقال: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعملٍ ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله يوجهه برايته فيكفيه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم والتي قبض فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء، إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاءه أراد أن يتاع بها خادماً لأهله، ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس من حوله».

ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه فقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(١)، فالحسنة مودتنا أهل البيت، ثم جلس.

إنّ من أهم الآثار التي خلفها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المجتمع هي:

١- إنّ حكومته أبرزت الواقع الإسلامي بجميع طاقاته في عالم السياسة والحكم، فقد كان الإمام يهدف في حكمه إلى إزالة الفوارق

الاجتماعية بين الناس، وتحقيق الفرص المتكافئة بينهم على اختلاف قومياتهم وأديانهم، ومعاملة جميع الطوائف بروح المساواة والعدالة فيما بينهم من دون أن تتمتع أي طائفة بامتياز خاص وقد أوجدت هذه السياسة للإمام رصيلاً شعبياً هائلاً، فقد ظلّ علي قائماً في قلوب الجماهير الشعبية بما تركه من صنوف العدل والمساواة وقد هام بحبه الأحرار، ونظروا إليه كأعظم مصلح اجتماعي في الأرض، وقدموه على جميع أعلام تلك العصور.

يقول أيمن بن خريم الأسدي مخاطباً بني هاشم وعلي رأسهم الإمام:
 أأجعلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواءُ
 وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماءُ^(١)

٢- إن مبادئ الإمام وآراءه النيرة ظلت تطارد الأميين وتلاحقهم في قصورهم فكانوا ينظرون إليها شبحاً مخيفاً يهدد سلطانهم، مما جعلهم يفرضون سببه على المنابر للحطّ من شأنه، وصرف الناس عن قيمه ومبادئه.

٣- إن حكومة الإمام التي رفعت شعار العدالة الاجتماعية الكبرى قد جرّت لأبنائه كثيراً من المشاكل والمصاعب، وألحقت بهم التّكليل والقتل من حكام عصرهم، وقد تنبأ الرسول الأعظم ﷺ بذلك، فقد روى ابن أبي الحديد المعتزلي بسنده إلى أبو جعفر الإسكافي، إن النبي ﷺ دخل على فاطمة فوجد عليّاً نائماً فذهبت لتوقظه، فقال ﷺ: «دعيه فربّ سهر له بعدي طويل، وربّ جفوة لأهل بيتي من أجله»، فبكت فاطمة، فقال لها:

(١) أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني: ج / ١، ص / ٢١.

«لا تبكي فإنه معي وفي موقف الكرامة عندي»^(١).

لقد أمعن الحكم الأموي والعباسي في ظلم أبناء الإمام لأنهم تبناوا حقوق المظلومين والمضطهدين، وتبناوا المبادئ العليا التي رفع شعارها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فناضلوا كأشد ما يكون النضال في سبيل تحقيقها على مسرح الحياة، وكان من أشد أبناء الإمام حماساً واندفاعاً في حماية مبادئ أبيه هو الإمام الحسين عليه السلام فقد انطلق إلى ساحات الجهاد عازماً على الموت آيساً من الحياة ليحمي مبادئ جدّه وأبيه ويرفع راية الإسلام عالية خفاقة وينكس أعلام الشرك والإلحاد، ويحطم قيود العبودية والذل.

٤- وأوجد الإمام أمير المؤمنين في أثناء حكمه القصير وعياً أصيلاً في مقارعة الظلم، ومناهضة الجور، فقد هبّ في وجه الحكم الأموي أعلام أصحابه كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبد الله بن عفيف الأزدي وأمثالهم من الذين تربوا بهدي الإمام، فدوخوا أولئك الظالمين بثورات متلاحقة أطاحت بزهوهم وجبروتهم، لقد كان حكم الإمام - حقاً - مدرسة للنضال والثورة، ومدرسة لبث الوعي الديني والإدراك الاجتماعي^(٢).

ولما بايعه الناس بعد أبيه المرتضى عليه السلام قام خطيباً، فعن سفيان عن هشام بن حسان الأزدي، قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر فقال: نحن حزب الله الغالبون، وعترة

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ٤، ص / ١٠٧.

(٢) الشيخ حسين سليمان: الإمام الحسن القائد والأسوة: ص / ١٠٧.

رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ في أمته، والتالي كتاب الله، فيه ﴿تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٢)، فالمعول علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذا كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٣)، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٤).

وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان بكم ف ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٥)، فتكونوا كأولياءه الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾^(٦)، فتلقون إلى الرماح وزرأ، وإلى السيوف جزراً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^{(٧)(٨)} هذه الخطبة الأولى للإمام السبب الأكبر بعد وفاة أبيه المرتضى في أهل الكوفة، وقد ألقى عليهم الحجة من كتاب

(١) يوسف / ١١١.

(٢) فصلت / ٤٢.

(٣) النساء / ٥٩.

(٤) النساء / ٨٣.

(٥) البقرة / ١٦٨، الأنعام / ١٤٢، يس / ٦٠، الزخرف / ٦٢.

(٦) الأنفال / ٤٨.

(٧) الأنعام / ١٥٨.

(٨) الشيخ المفيد، الأمالي: ص / ٣٤٨ - المجلس / ٤١، الحديث / ٤.

الله سبحانه وتعالى، وبين صلوات الله وسلامه عليه، أنه الوارث والخليفة الشرعي بعد أبيه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وإن طاعته هي طاعة الله عز وجل ولرسوله ﷺ بنص القرآن قال محمد بن جرير الطبري: أن أول شخص بايع الإمام الحسن عليه السلام هو قيس بن سعد بن عبادة، حيث قال: أبايعك على حكم الله وسنة رسول الله ﷺ والجهاد مع أعداء الله.

فقال الإمام الحسن عليه السلام: «نعم بايع على حكم الله وسنة رسوله».

ولما وصل خبربيعة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، عزم على تفريق أمر الإمام الحسن، ولكنه كان لا يأمن جانب زياد ابن أبيه، لأنه كان والياً من قبل أمير المؤمنين عليه السلام على فارس، وكان معاوية يخاف شره وهو في معقل متين ومحصن، فأرسل له رسالة: من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن «عبيد» أما بعد: فإنك عبد قد كفرت النعمة واستدعيت النقمة ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر وإن الشجرة لتصرف بعرقها وتتفرع من أصلها، وإنك لا أم لك بل لا أب لك، قد هلكت وأهلكت، وظننت أنك تخرج من قبضتي ولا ينالك سلطاني، هيهات ما كل ذي لب يصيب رأيه، ولا كل ذي رأي ينصح في مشورته، أمس عبداً واليوم أمير، خطة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية، وإذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة وأسرع الإجابة، فإنك إن تفعل فدمك حققت ونفسك تداركت، وإلا اختطفتك بأضعف ريش وثلثك بأهون سعي، وأقسم قسماً مبروراً أن لا أولي بك إلا في زمارة تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك في السوق وأبيعك عبداً وأردك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه، والسلام!

من هو معاوية



روى سبط ابن الجوزي،
إن الإمام الحسن بن علي عليه السلام
قال لمعاوية في حديث:

«...وكنت يوم بدر، وأحد، والخندق، والمشاهد كلها تقاثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
وقد علمتُ الفراش الذي ولدت عليه»^(١).

وروى سبط ابن الجوزي، قال الأصمعي والكلبي في المثالب: معنى
قول الحسن لمعاوية: «قد علمت الفراش الذي ولدت فيه»: إن معاوية كان
يقال أنه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي،
ومسافر بن أبي عمرو، وأبو سفيان، والعبّاس بن عبد المطلب، وهؤلاء
كانوا ندماء أبي سفيان، وكان كل منهم يتهم بهند.

فأمّا عمارة بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش.

وأما مسافر بن أبي عمرو، فقال الكلبي: عامة الناس على أنّ معاوية
منه، لأنّه كان أشد الناس حبّاً لهند، فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر
أن يظهر أنّه منه، هرب إلى ملك الحيرة فأقام عنده.

(١) تذكرة الخواص: ص / ٢٠٠ و ٢٠١، وشرح النهج: ج / ٢، ص / ١٠٢.

ثم إن أبا سفيان قدم الحيرة فلقية مسافر وهو مريض من عشقه لهند، وقد سقى بطنه، فسأله عن أهل مكة فأخبره.

وقيل: إن أبا سفيان تزوج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكة، فقال له أبو سفيان: إنني تزوجتُ هنداً بعدك، فازداد مرضه، وجعل يذوب، فوصف الكيّ، فأحضروا المكاوي والحجّام، فبينما الحجّام يكويه إذ حبق الحجّام، فقال مسافر: قد يحبق العير والمكواة في النار، فسارت مثلاً^(١).

ثم مات مسافر من عشقه لهند.

وقال الكلبي: كانت من المغليمات^(٢)، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته.

قال: وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابة بين يدي معاوية وهو خليفة، فقال يزيد لإسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة، أشار يزيد إلى أن أم إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب.

فقال له إسحاق: إن خيراً لك أن يدخل العباس كلهم الجنة، فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاوية.

فلما قام إسحاق، قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يُقال فيك؟! قال: قصدتُ شينَ إسحاق، قال: وهو كذلك أيضاً، قال: وكيف؟! قال: أما علمت أن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنني للعبّاس؟! فسقطَ في يدي يزيد!!!

(١) أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، مجمع الأمثال: ج / ٢، ص / ٤٨٠، رقم / ٢٨٥٠.

(٢) وهي جمع: المغليمة: وهي التي تغلبها شهوتها.

وقال الشعبي: وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا، فإنها لما جاءت تباعه وكان قد أهدر دمها، فقالت: على ما أبائعك؟! فقال: «على أن لا تزني»! فقالت: وهل تزني الحرّة؟! فعرفها رسول الله ﷺ، فنظر إلى عمر فتبسّم!!!^(١)

وقال ابن أبي الحديد: كانت تُذكر في مكة بفجور وعهر...

وأخرج الحافظ ابن عساكر الدمشقي، من طريق عبد الملك بن عمير قال: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية، فقال: من أنت؟ قال: وما عسيت أن تكون، هل أنت إلا نحلة؟! قال: لا تقل فقد شبهتني بها حامية اللسعة حلوة البصاق، والله ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب، وما أمية إلا تصغير أمة^(٢).

وروى ابن عبد ربّه: قال معاوية لجارية: ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية، قال: ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك معاوية وهي الأثنى من الكلاب^(٣).

وروى محمّد بن أحمد بن منصور الأبيهي أنّه قال: دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميماً، فقال له معاوية: إنك لدميم، والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك، وما لله من شريك، وإنّ أباك لأعور والصّحيح خير من الأعور، فكيف سُدتّ قومك؟

(١) تذكرة الخواص: ص / ١١٦.

(٢) محمّد بن مكرم ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ج / ٥، ص /

٣٦٥.

(٣) العقد الفريد: ج / ٢، ص / ٢١٤، في مجاوبة الأمراء والرّد عليهم.

فقال له: إنك معاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب،
وإنك لابن صخر، والسَّهْل خير من الصَّخْر، وإنك لابن حرب، والسَّلم
خير من الحرب، وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صُغرت، فكيف صرت
أمير المؤمنين؟! ثم خرج وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن حربٍ وسيفي صارمٌ ومعني لساني
وحولي من ذوي يزنٍ ليوثُ ضراغمة تهشُّ إلى الطَّعانِ
يعير بالدمامة من سفاهٍ وربات الجمال من الغواني^(١)

ومن خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «والله ما معاوية بأدهى مني،
ولكنه يغررُ ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلَّ
غدره فجرة، ولكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة».

ولابن أبي الحديد المعتزلي كلمة ضافية في شرح هذه الخطبة فيها
فوائد جمّة من جهات شتى، ومنها كلمة الجاحظ أبي عثمان حول معاوية،
وقول أبي جعفر النقيب: إن معاوية من أهل النار، لا لمخافته عليّاً ولا
بمحاربه إيّاه، ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ولا إيمانه حقاً، وكان من
رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه قط، وإنما أسلم لسانه، وكان
يُذكر من حديث معاوية ومن فلتات قوله، وما حفظ عنه من كلام يقتضي
فساد العقيدة شيئاً كثيراً^(٢)...

هذا غيض من فيض، ورشحة من يمّ تاريخ معاوية، ولو أردنا
استقصاءه لطال بنا المقام، ولكننا أحببنا أن نلفت انتباه القارئ العزيز عن

(١) المستطرف من كلِّ فنٍّ مستطرف: ج / ١، ص / ٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج / ٢، ص / ٥٧٢.

هؤلاء الذين حكموا المسلمين ومثلوا الدولة الإسلامية باسم الخلافة الراشدة وإمارة المؤمنين، والمسلمون آنذاك كان لا يليق بهم أن يحكمهم سيد الأوصياء وإمام الأتقياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو ولده الإمام المجتبي السبط الأكبر وسيد شباب أهل الجنة وريحانة المصطفى عليه السلام، بل يليق بالمسلمين وأحفاده خوارج القرن من أمثال ابن الزانية معاوية ونغله يزيد الفاسق الفاجر المعاهر للخمور والزاني بالمحارم.

نعود إلى صلب الموضوع، فلما وصلت رسالة معاوية إلى زياد بن أبيه، استاء منها وغضب غضباً شديداً، فدعا الناس إلى المسجد وصعد المنبر: فحمد الله ثم قال: [إن ابن آكلة الأكباد وقاتلة أسد الله ومظهر الخلاف، ومسرّ التفاق ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله، كتب إليّ يردد ويرق عن سحابة جفل لا ماء فيها، وعمّا قليل تصيرها الرياح قزعاً، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة، أفمن إشفاق عليّ تنذر وتعزّر، كلا، ولكن ذهب إلى غير مذهب، وقعقع لمن روى بين صواعق تهامة، كيف أرهبه وبينني وبينه ابن بنت رسول الله وابن عمّه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أذن فيه أو ندبني إليه لأريته الكواكب نهاراً، ولأسعطته ماء الخردل دونه، الكلام اليوم والجمع غداً والمشورة بعد ذلك إن شاء الله]^(١).

وبعد ما أنهى خطبته، نزل من المنبر وكتب جواباً لرسالة معاوية هذا نصها:

[أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه، فوجدتك

كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة، إنما يكفر النعم ويستدعي النقم من حادّ الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً، فأما سبّك لي فلولا حلمٌ ينهضني عنك وخوفي أن أدعى سفيهاً لأثرتُ لك مخازي لا يغسلها الماء، وأما تعييرك لي بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة، وأما زعمك أنك تحظفني بأضعف ريش وتناولني بأهون سعي، فهل رأيتَ بازياً يفزعه صغير القنابر؟ أم هل سمعتَ بذئب أكله خروف، فامض الآن لطيتك واجتهد جهدك، فلستُ أنزل إلا بحيث تكره ولا أجتهد إلا فيما يسوءك وستعلم أينما الخاضع لصاحبه الطالع إليه والسلام^(١).

ولما مضت من بيعة الإمام الحسن عليه السلام شهران، كان المسلمون في الكوفة يتصورون أن الإمام الحسن عليه السلام، يعدّ العدة على رأس جيش للسفر إلى الشام، ليقاتل معاوية، وفي هذه الأثناء وصلت إلى الإمام الحسن عليه السلام رسالة من البصرة كتبها عامله عبد الله بن عباس قال فيها: [أما بعد، فإنّ المسلمين ولوّك أمرهم بعد علي، فشمر للحرب وجاهد عدوك وقارب أصحابك، واشتره من الظنّين دينه بما لا يثلم لك دُنياه، ووال أهل البيوتات والشرف، تستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعة، فإنّ بعض ما يكره الناس ما لم ينفذ الحق وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعزّ الدين، خيرٌ من كثير ممّا يحبّه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذلّ المؤمنين وعزّ الفاجرين، واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنّه لا يصلح الكذب إلا في حربٍ أو إصلاح بين الناس، فإنّ

(١) المصدر السابق: ج / ١، ص / ١٨٢.

الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذا كنت محارباً ما لم تُبطل حقاً.

واعلم أنّ علياً أبك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنّه آسى بينهم في الفياء وسوى بينهم في العطاء، فنقل عليهم، واعلم أنّك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله، فلما وُحد الربُّ ومُحقَّ الشُّركُ وعزَّ الدينُ، أظهروا الإيمان وقرؤوا القرآن مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدوا الفرائض وهم كارهون، فلما رأوا أنّه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار، توسموا سيماء الصالحين لتظن المسلمون بهم خيراً، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم، وقالوا حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا همُ الأخسرين.

وقد منيتُ بأولئك وبأبنائهم وأشباههم والله ما زادهم طول العمر إلا غيًّا، ولا زادهم لأهل الدين إلا مقتاً، فجاهدهم ولا ترصّ دنية ولا تقبل خسفاً، فإنّ عليّاً لم يُجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب، وأنهم يعلمون أنّه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى أجله عليه ولا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك والسلام^(١).

من هو حبر الأمة



هو عبد الله بن العباس بن
عبد المطلب بن هاشم،
الملقب بـ «حبر الأمة»

واشتهر وعرف على الألسنة بـ «ابن عباس» أكثر من أخوته الخمسة:
الفضل وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن، وأمههم: لبابة بنت
الحارث زوجة العباس عم النبي ﷺ.

وهو ابن عم النبي ﷺ وابن عم علي بن أبي طالب ؑ.

ولد في مكة المكرمة سنة «١٢» من البعثة النبوية الشريفة، ولازم ابن عمه
أمير المؤمنين ؑ في الحل والترحال واشترك في حروبه، وتلمذ عليه في الفقه
والتفسير وهو القائل: [علم رسول الله ﷺ من علم الله تبارك وتعالى، وعلم
علي ؑ من علم النبي ﷺ، وعلمي من علم علي ؑ، وما علمي وعلم
أصحاب محمد ﷺ في علم علي ؑ إلا كقطرة في سبعة أبحر]، ويقال: أن
عبد الله بن عباس أكثر البكاء على علي ؑ حتى ذهب بصره، وكان عمر بن
الخطاب يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن ؑ^(١) ولما وصلت رسالة
عبد الله بن عباس إلى الإمام الحسن ؑ، ورأى إقبال الناس على قتال معاوية

(١) أحمد بن حنبل، مناقب أمير المؤمنين: ص / ١٥٥. ح / ١٢٢.

عزم على السفر إلى الشام، في نفس الوقت الذي علم فيه معاوية بقتل أمير المؤمنين بعث جاسوساً من قبيلة حمير إلى الكوفة وآخر من بني القين أرسله إلى البصرة حتى يبعثوا له بأخبار البلدين، ولا يخفى عليه شيء، واكتشف أمر الحميري وجيء به مكتوفاً إلى رقبته عند الإمام الحسن عليه السلام، فأمر الإمام عليه السلام أن تضرب عنقه، وفي البصرة اكتشف أمر الثاني وأمر ابن عباس بقتله!

رسائل الإمام وتعبته للجيش



فكتب أبو محمد الحسن
رسالة إلى معاوية جاء
فيها:

«أما بعد: فإنك دسست إليّ الرجال للاحتيال والاعتيال وأرصدت
العيون كأنك تحب اللقاء، بل لا أشكّ في ذلك فتوقعه إن شاء الله، وبلغني
سمتٌ بما لم يسمتُ به ذوو الحجى وإنما مثلك في ذلك، كما قال الشاعر:
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تزود لأخرى مثلها فكأنّ قد
فإنّا ومن قد مات منا لكا الذي يروح فيمسي في المييت ليغتدي»^(١)

ولما وصلت رسالة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية أجابه بهذه الرسالة:

أما بعد: فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما
حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس وإنّ عليّاً لكما قال أعشى
بني قيس بن ثعلبة:

فأنت الجواد وأنت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء تضرب منها النساء النحورا

(١) محمد بن محمد بن النعمان المفيد التلعكبري، الإرشاد: ج/ ٢، ص/ ٩ - ١٠،
وانظر الدرّ النظيم: ص/ ٥٠٨.

وما مزبد من خليج البحار يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده فيعطي الألوف ويعطي البدورا

وفي هذه الأثناء وصلت لمعاوية رسالة من ابن عباس جاء فيها:

أما بعد فإنك ودسك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات
قريش، بمثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية بن الصلت:
لعمرك إني والخزاعي طارقاً كنعجة غار حتفها تنحفُرُ
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت بها من آخر الليل تنحُرُ
شمتَ بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهرِ أصفرُ
ولما وصلت رسالته لمعاوية كتب إليه:

أما بعد: فإن الحسن بن علي قد كتب إليّ بنحو ما كتبت به وأنبني بما
لم يحق سوء ظن ورأى فيّ وإنك لم تصب مثلي، ومثلكم كما قال طارق
الخزاعي يجيب أمية عن هذا الشعر:
فوالله ما أدري وإنني لصادق إلى أيّ من يظنني أتعدُرُ
أعتف إن كانت زينة أهلكت ونال بني لحيان شرّ فأنفروا^(١)

هذا وأرسل الإمام السبط ﷺ رسالة أخرى لمعاوية ليتمّ عليه الحجة
ويدعوه إلى بيعته وطاعته بقوله ﷺ:

من الحسن بن علي إلى معاوية بن أبي سفيان: «سلام عليكم، فآني أحمدُ
إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الله جلّ وعزّ بعث محمداً ﷺ
رحمةً للعالمين ومنة للمؤمنين، توفاه الله غير مُقصرٍ ولا وانٍ، بعد أن أظهر الله

بِهِ الْحَقُّ وَمَحَقَّ بِهِ الشَّرْكَ، وَخَصَّ قَرِيشًا خَاصَّةً فَقَالَ لَهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ
وَلِقَوْمِكَ﴾^(١)، فَلَمَّا تَوَفَّى تَنَازَعَتْ سُلْطَانَةُ الْعَرَبِ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ: نَحْنُ قَبِيلَتُهُ
وَأَسْرَتُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَنَازِعُونَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَحَقَّهُ، فَرَأَتْ
الْعَرَبُ أَنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ قَرِيشٌ، وَأَنَّ الْحِجَّةَ فِي ذَلِكَ لَهُمْ عَلَى مَنْ نَازَعَهُمْ
أَمْرَ مُحَمَّدٍ فَأَنْعَمَتْ لَهُمْ وَسَلَّمَتْ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ حَاجَجْنَا نَحْنُ قَرِيشًا بِمِثْلِ مَا
حَاجَّتْ بِهِ الْعَرَبِ، فَلَمْ تَنْصِفْنَا قَرِيشَ إِنْصَافِ الْعَرَبِ لَهَا، إِنَّهُمْ أَخَذُوا هَذَا
الْأَمْرَ دُونَ الْعَرَبِ بِالْإِنْصَافِ وَالِاحْتِجَاجِ، فَلَمَّا صَرْنَا أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَوْلِيَاؤَهُ
إِلَى مُحَاجَّتِهِمْ وَطَلَبِ النَّصِيفِ مِنْهُمْ، بَاعَدُونَا وَاسْتَوْلُوا بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى ظَلْمِنَا
وَمِرَاغَمَتِنَا وَالْعَنْتِ عَلَيْهِمْ لَنَا، فَالْمَوْعِدُ لِلَّهِ وَهُوَ الْوَلِيُّ النَّصِيرُ.

وَلَقَدْ كُنَّا تَعْجَبْنَا لِتَوَثُّبِ الْمُتَوَثِّبِينَ عَلَيْنَا فِي حَقِّنا سُلْطَانَ نَبِينَا وَإِنْ كَانُوا
ذَوِي فَضِيلَةٍ وَسَابِقَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمْسَكْنَا عَنْ مَنَازَعَتِهِمْ مَخَافَةً عَلَى الدِّينِ،
أَنْ يَجِدَ الْمَنَافِقُونَ وَالْأَحْزَابُ فِي ذَلِكَ مَغْمَزًا يَثْلُمُونَهُ، أَوْ يَكُونَ لَهُمْ بِذَلِكَ
سَبَبٌ إِلَى مَا أَرَادُوا مِنْ إِفْسَادِهِ.

فَالْيَوْمَ فَلْيَتَعْجَبِ الْمُتَعْجِبُ مِنْ تَوَثُّبِكَ يَا مَعَاوِيَةَ عَلَى أَمْرِ لَسْتُ مِنْ
أَهْلِهِ، لَا بِفَضْلِ فِي الدِّينِ مَعْرُوفٍ، وَلَا أَثَرٍ فِي الْإِسْلَامِ مَحْمُودٍ، وَأَنْتَ ابْنُ
حِزْبٍ مِنَ الْأَحْزَابِ، وَابْنُ أَعْدَى قَرِيشٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِكِتَابِهِ، وَاللَّهُ
حَسْبُكَ، فَسْتَرِدْ فَتَعْلَمُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ، وَبِاللَّهِ لَتَلْقَيْنَ عَنْ قَلِيلٍ رَبِّكَ ثُمَّ
لِيَجْزِيَنَّكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام لَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَوْمَ قُبُصٍ وَيَوْمَ مَنْنَ اللَّهُ
عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا - وَلَآئِنِي الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ بَعْدَهُ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ

أن لا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته.
 وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عز وجل
 في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم، والصالح للمسلمين،
 فدع التماذي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم
 أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أوابٍ حفيظ، ومن له قلبٌ
 منيب.

واتق الله ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك من خيرٍ في أن
 تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقية به، وادخل في السلم والطاعة، ولا
 تنازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منك، ليطفى الله النائرة بسذلك، ويجمع
 الكلمة، ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التماذي في غيِّك سرتُ إليك
 بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين»^(١).

ولما وصلت رسالة الإمام الحسن عليه السلام بيد معاوية، أجابه بهذه
 الرسالة:

[أما بعد: فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من
 الفضل وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله، حديثه وقديمه وصغيره
 وكبيره، وقد والله بلغ وأدى ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من الهلكة،
 وأنار به من العمى، وهدى به من الجهالة والضلالة، فجزاه الله أفضل ما
 جزى نبياً عن أمته، وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم بُعث ويوم قبض ويوم
 يبعث حياً، وذكرت وفاة النبي وتنازع المسلمين الأمر بعدهم وتغلبهم على
 أبيك فصرحت بتهمة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وحوارتي رسول الله

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ٢٢ - ٢٤.

وصلحاء المهاجرين والأنصار، وكرهتُ ذلك لك، إنك امرؤٌ عندنا وعند
الناس غير الظنين لا المسيء ولا اللئيم، وأنا أحبُّ لك القول السديد
والذكر الجميل.

إن هذه الأمة لما اختلفت بينها لم تجهل فضلكم ولا سابقتم ولا
قرابتكم من نبيكم ولا مكانكم في الإسلام وأهله، فرأت الأمة أن تخرج من
هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ورأى صلحاء الناس من قريش
والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوانهم أن يولوا هذا الأمر من قريش
أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله وأحبها له وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبا
بكر، وكان ذلك رأي ذوو الدين والفضل والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في
صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا متهمين ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو
رأى المسلمون أن فيكم من يغني غنائه ويقوم مقامه، أو يذب عن حريم
الإسلام ذبه، ما عدلوا بالأمر إلى غيره، رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك
بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح والحال فيما بيني وبينك
اليوم، مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكرٍ بعد وفاة النبي، فلو علمت
أنك أضبط مني للرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على
جمع الأموال وأكد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك
أهلاً، ولكن قد علمت أنني أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة
وأكبر منك سناً، فأنت أحق أن تجيئني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل
في طاعتي ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مالٍ بالغاً
ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شئت، معونة

لك على نفقتك يُجيبها أمينك ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لا تستولي عليك بإساءة ولا تُقضى دونك الأمور، ولا تُعصى في أمر أردت به طاعة الله، أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء، والسلام^(١).

ثم بعث الرسالة بيد حارث وجندب وقال لهم قولوا للحسن ليس بينك وبيننا إلا سيفاً فولاذياً، ووصل الجواب بيد الإمام الحسن عليه السلام وأخبروه بحال معاوية من نيته على الحرب ويهدد بيوم أصعب من يوم صفين، والأفضل أن نباغته ونعجل بالذهاب إلى أرض الشام وقاتله، ولا ندع له مجالاً أن يقاتل في أرضكم.

ومن ناحية أخرى، إن معاوية بعد كل ذلك التهديد والتحويل، فكر أن من الأفضل له أن يقرع باب الصلح والسلم مع الإمام الحسن عليه السلام، وبيتعد عن زحمت الحرب وخرابها، فبعث برسالة إلى الإمام الحسن عليه السلام قال فيها: [أما بعد: فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعا من الناس، وأيس من أن تجد فينا عنزة، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك وأجريت لك ما شرطت وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس ابن ثعلبة:

وإن أحد أسدى إليك أمانة فأوف بها تدعى إذا متّ وافيا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه إن كان في المال وافيا

ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها].

ولما وصلت الرسالة بيد الإمام عليه السلام أجابه:

«أما بعد: فقد وصل إلي كتابك تذكر فيه ما ذكرت وتركت جوابك

(١) ناسخ التواريخ: ج/ ١، ص/ ١٩٢ - ١٩٤.

خشية البغي عليك وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله،
وعليّ إنّمّ أن أقول فأكذب، والسّلام».

ولما وصلت رسالة الإمام عليه السلام بيد معاوية وقرأها، علم أنّ الإمام لا
يبغي غير الحرب ولا يرضى بالسّلم والصّلح، إذا لا بد من الحرب، ولكن
تحتاج إلى مقدمات، فعزم على المناورة وكتابة رسالة إلى أمراء الحرب
مُلفّقة هذا نصّها: [من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن
قبله من المسلمين، سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو،
أمّا بعد: فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتلة خليفتم، إنّ الله بلطفه
وحُسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله وترك
أصحابه متفرقين، وقد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان
لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا، بجهدكم وجندكم
وحُسن عدتكم فقد أصبتم بحمد الله الثّار وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل
البغي والعدوان، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته].

وبعد إرسال هذه الكلمة التي يشتم منها رائحة الكيد والنفاق والتّهديد
والوعيد، وقد عرف معاوية نبض أهل الكوفة، فإنّ ثلثي أهل الكوفة آنذاك
كان على هذه الشّاكلة من النفاق، والثّلت الآخر لا حول له ولا قوة، فأراد
معاوية أن يستعرض استعراضاً عسكرياً على البُعد ليوصل من خلالها
رسالة تخوفية أخرى إليهم بيد الضّحّاك بن قيس الفهري بالنيابة عنه أن
يجهز جيشاً قوامه ستون ألفاً، وبعد أن وصل هذا الاستعراض العسكري
لمسامع الإمام عليه السلام، أمر مناديه أن يجمع الناس في المسجد، فقام حجر بن
عدي حسب أمر الإمام عليه السلام بإحضار أشرف قومه، ونادى المنادي «الصّلاة

جامعة» فحضر الناس جماعاتٍ جماعاتٍ إلى المسجد، في هذه الأثناء حضر عند الإمام سعيد بن قيس الهمداني، وأخبره بأن الناس شريفهم ووضعهم قد تجمعوا في المسجد وهم بانتظار قدومكم المبارك، فاستعدَّ الإمام ﷺ للحضور إلى المسجد، ثم حضر واعتلى المنبر: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿اضْبُرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، بلغني أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، أخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون».

ولما سمع الحاضرون كلام الإمام ﷺ، أخذتهم الحيرة والدهشة ولم ينطقوا ببنت شفة، ولما رأى عدي بن حاتم سكوت القوم قام من مكانه ووقف مخاطباً القوم فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام لا تجيئون إمامكم وابن بنت نبيكم؟! أين خطباء مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدرعة؟ فإذا جدّ الجدّ فرواغون كالثعالب! أما تخافون مقت الله ولا عيبها ولا عازها؟! ولما أنهى كلامه، التفّت إلى الإمام الحسن ﷺ وقال: أصاب الله بك المرشد، وجبّك المكاره، ووقفك لما يُحمد ويردّه وصدْرُهُ، وقد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحبّ أن يوافيني فليواف، ثم مضى لوجهه.

ثم ركب جواده ونزل معسكره بالنخيلة، وأمر غلامه أن يهيأ له لسوازم الحرب، وكان عدي أول شخص يحضر في المعسكر.

ولما رأى تصرفات عدي، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعدل بن قيس الرياحي، وزباد بن صعصعة التميمي وغيرهم ممن حضر قاموا لتلبية نداء الإمام الحسن عليه السلام وقيادته، وكل واحد من هؤلاء ألقى خطاباً مثلما ألقاه عدي، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: «صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً»، قال هذا: ونزل من المنبر، وتوجه نحو الجيش، ثم تبعه الناس فوجاً فوجاً حضروا إلى النخيلة وتجمعوا هناك.

ثم أن الإمام الحسن عليه السلام، أوكل المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ليعبئ أهل الكوفة ويخرجهم إلى معسكر النخيلة وإعدادهم فوجاً فوجاً، ثم أن الإمام الحسن عليه السلام غادر النخيلة باتجاه دير عبد الرحمن وأقام بها ثلاثة أيام لتلتحق به العساكر، وبعد اكتمالهم استعرضهم فإذا هم أربعون ألفاً من الفرسان والرجال، ثم إن الإمام الحسن عليه السلام استدعى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقال له: «يا بن العم، سأرسلك في المقدمة مع اثنا عشر ألفاً من فرسان العرب وأبطالهم، وكل واحد من هؤلاء الأبطال معه قوته وأتباعه، حتى يقوى جانبنا من جهة، واطمئنوا بأن هؤلاء من بقايا ثقات أمير المؤمنين وتكون أنت معهم تطوون الطريق نحو شاطئ الفرات وتعبرونه وتجعلون المساكن والأراضي خلفكم لتلقوا جيش معاوية، وعندما تلتقون به، فكونوا سداً منيعاً دونه حتى لا يستطيع أن يتجاوزكم قدماً واحداً لجانبنا، دون أن تقاتلوهم، حتى أقدم إليكم، وكل يوم ابعث لي ما يدور ويحصل معكم، وهذا قيس بن سعد بن عبادة، وسعيد بن القيس سيكون معكم، ولا تتوان عن استشارته، وإذا أراد معاوية

قتالكم، قاتلوهم، فإن قتلت في الحرب فالإمارة لقيس بن سعد، وإذا قتل قيس بن سعد، فالإمارة لسعيد بن قيس وخذ هذه الراية!»!

ولما انتهت وصايا الإمام الحسن ﷺ لعبيد الله بن عباس أمره أن يحمل خيامه ويتوجه بجيشه نحو الشام وقطع طريق شينور والشاهي وترك الفرات والفلوجة خلفه، ونزل أرض مسكن وخيم بها وقطع الطريق على معاوية، وجعل عليه العيون والمراصد^(١).

(١) ناسخ التواريخ: ج / ٢، ص / ١٩٥ - ٢٠٢.

تخلف الناس واختلاف كلمتهم



مع كل هذا كان الإمام
السبط عليه السلام يعرف نوايا أهل
الكوفة ولم يكن قلبه مطمئناً

إليهم، وكان يعلم أنهم لا يوفون بعهودهم، ولم تكن موثيقهم رصينة، وأن
آخر الأمر ستكون الغلبة لمعاوية، ومع ذلك أراد أن يلقي الحجة عليهم، لعله
باستنهاضهم وتشجيعهم ثانية كي يلحقوا بجبهات القتال، فقام مرة أخرى
فيهم خطيباً وقال: «معشر الناس: عفت الديار، ومحيت الآثار، وقل
الاصطبار، فلا قرار على همزات الشياطين وحكم الخائنين، الساعة والله
صحّت البراهين وفصلت الآيات، وبانت المشكلات، ولقد كنا نتوقع تمام
هذه الآية تأويلها، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ
فَلَنَ يَصُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)».

«فلقد مات والله جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقتل أبي عليه السلام، وصاح
الوسواس الخناس في قلوب الناس، ونعق ناعق الفتنة، وخالفتم السنة، فيا لها
من فتنة صمّاء عمياء لا يُسمع لداعيها، ولا يُجاب مُناديها، ولا يخالف واليها،

أظهرت كلمة التفاق، وسيرت رايات أهل الشقاق، وتكالبت جيوش أهل العراق، من الشام والعراق، هلموا رحمكم الله إلى الافتتاح، والنور الوضاح، والعلم الججاج، والنور الذي لا يطفى، والحق الذي لا يخفى.

أيها الناس: تيقظوا من رقدة الغفلة، ومن تكاشف الظلمة، فوالذي فلح الحبة وبرأ النسمة، وتردى بالعظمة، لئن قام إلي منكم عصبه بقلوب صافية وبنيات مخلصه لا يكون فيها شوب نفاق ولا نية افتراق، لأجاهدن بالسيف قدماً، ولأضيّقن من السيوف جوانبها ومن الرماح أطرافها، ومن الخيل سناكبها فتكلموا رحمكم الله.

وبهذا الخطاب البليغ شرح الإمام الحسن ﷺ خطورة الموقف، فدعا الناس إلى تحمل مسؤولياتهم تجاه العدو، إلا أنه عميت بصائرهم عن مناصرة الحق ومقارعة الباطل، فاخترت لنفسها حياة الذل والمهانة والاستكانة وحب الدنيا وبريق المال، الذي كلفها فيما بعد ثمناً باهظاً، أدت بهم إلى مآسي رهيبة ونتائج سلبية في غاية الخطورة بسبب مواقفهم الرعناء.

مع كل ذلك لم يستسلم الإمام السبط ﷺ بالرغم من كل سلبيات جيشه وبعض قياداته، من أن يحرك زمام المبادرة، وأن يكون مستعداً ذا جهوزية لحرب معاوية، مع هذا الجيش القلق بتركيبته الغريبة، ودوافع الإمام إلى أن يدفع هذا الجيش لقتال معاوية، إنما كان لبعد نظر الإمام ﷺ في أمور الحرب وإستراتيجيته فيها.

وقد ذكر الشيخ المفيد رضوان الله عليه، أنه «سار معاوية نحو العراق ليقلب عليه - أي على الإمام ﷺ - فلما بلغ جسر مُنيج - عشر فراسخ عن حلب - تحرك الإمام ﷺ، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير،

واستنفر الناس للجهاد فتشاقلوا عنه، ثم خفوا معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة لأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية، اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»^(١).

هذا المزيج الغريب من المجتمع الكوفي خرج مع الإمام السبط عليه السلام، كان يشكل: «٥ / ٢» من جيش الإمام عليه السلام - أي ثمانية آلاف رجلاً - ولم يكن كل جيش الإمام عليه السلام من هذا المزيج - وهذا ما بينه لنا الشيخ المفيد، وهو يتعلق فقط بالفرق العسكرية التي خرجت مع الإمام الحسن عليه السلام، بعد مغادرة فرقة عبيد الله بن عباس والتي بعث بها الإمام عليه السلام في أول الأمر.

ولكي نتعرف أكثر على طبيعة الفرق العسكرية التي تحدث عنها الشيخ المفيد أعلى الله مقامه، لا بد لنا أن نتوقف قليلاً عندها ونتعرف كيف تكون هي:

الأول: الطليعة الرسالية:

وهذه تؤمن بحق الإمام الحسن عليه السلام المشروع في ولاية المسلمين وتقف إلى جانبه كما وقفت إلى جانب أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه الفئة هي قليلة قياساً بغيرها من الفئات الأخرى في الفرق العسكرية لجيش الإمام عليه السلام.

الثاني: المحكمة:

وسُميت بهذا الاسم لأنها قبلت بالتحكيم في حرب صفين، وطلبت من الإمام علي عليه السلام القبول بذلك، ثم تظاهرت على الإمام علي عليه السلام بعد أن أكرهته

على التحكم، وهذا الفئة تكيد العداوة لمعاوية وتسعى لحربه بأي صورة كانت وتحت أي لواء كان طالما ضدّ معاوية، إلا أنّ هذه الفئة لا تحمل ولاءً حقيقياً للإمام الحسن عليه السلام، وإنما أرادت أن تحارب مع الإمام عليه السلام ضدّ معاوية، لأنها وجدت في الإمام عليه السلام لواءً يمكنها الانصواء تحته في الحرب ضدّ عدوها.

الثالث: المصلحيون والمحاربون من أجل المغانم:

وهذه الفئة لا تحمل هدفاً مقدساً، أو غرضاً سامياً، وإنما تستخدم الحرب كوسيلة لاكتساب المغانم وتحقيق المصالح والرغبات الشخصية، وهذه الفئة لا يمكن أن تدخل صراعاً حقيقياً، بل لديها القابلية للانقلاب على الإمام الحسن عليه السلام والانحياز إلى جانب معاوية في حالة لو تعرض جيش الإمام عليه السلام للانكسار والتقهقر.

الرابع: الشكاكون والمتذبذبون:

هذه الفئة لا تقف على أرض ثابتة وليس لها قدم راسخ فهي كالماشي على رمال متحركة، لا يقرّ لها قرار، ولا يهدأ لها بال، فقد يطفح كيل الشك بها فتترك الموقع التي هي فيه وتنزح إلى الأعداء، وهذه الفرقة من الصّعب الاعتماد عليها أو إيلائها الثقة في حال السلم، فكيف في حال الحرب التي فيها امتحان الإرادات؟!

الخامس: أتباع الفكر القبلي:

أما هذه الفئة فينحصر ولاؤها لزعماء القبيلة، فهي تتلقى أوامرها من هؤلاء الزعماء، فتقدم طاعة رؤساء القبيلة وزعاماتها على طاعة الإمام الحسن عليه السلام، فإنّ هذه الفئة غير قابلة لأن تتبع إستراتيجية الإمام عليه السلام في حربه مع معاوية، إلا بما يمكن زعماء القبيلة عليها.

وهنا يخطر ببال القارئ الكريم سؤالاً وجيهاً، هو: لماذا قام الإمام عليه السلام بتجنيد هؤلاء المختلفة آراؤهم ومشاربهم وأذواقهم في حربه ضد معاوية؟ ونجيب على ذلك لعاملين رئيسيين وهما:

العامل الأول: أراد الإمام عليه السلام بتوجيه كافة الأسلحة تجاه معاوية، ولوجود جبهات معارضة في داخل الكوفة ضد جبهة الشام، لذلك استفاد عليه السلام من حركات المعارضة في الحرب مع معاوية بالرغم من اختلاف أهدافها وتطلعاتها.

العامل الثاني: لم يكن الإمام يأمن غائلة هذه الفرق خاصة إن فيها من هي على استعداد تام لشهر السلاح ضد الإمام فيما لو لم يتم استغلالها وتوجيه سهامها نحو عدو آخر لها، ومن جهة ثانية، أن بعض هذه الفئات لديها القابلية للحرب مع معاوية ضد الإمام، وإذا لم يستفد منهم الإمام في حربه ضد معاوية من الممكن أن يغريهم معاوية ويجندهم لصالحه، وفيهم من يركع لبريق المعدن ويسجد لطعم المال والشهوة والمنصب!

مظلوم التاريخ وخيانة ذوي القربى



وفي رواية الشيخ المفيد
رضوان الله عليه: بعد أن تحرك
الإمام بالنّاس ووصل معسكر

المدائن بدأ يعدّ الفرق ويجهز الصّفوف لخوض الحرب، وفي هذه الأثناء
وصلت رسالة مستعجلة من قيس بن سعد إلى الإمام جاء فيها: أنّهم نازلوا
معاوية بقرية يقال لها الجنوبية بإزاء مسكن، وأنّ معاوية أرسل إلى عبيد الله بن
العبّاس، يرغبه في المسير إليه، وضمن له ألف ألف «١٠٠٠.٠٠٠» درهم
يعجل له فيها النّصف، ويعطيه النّصف، ويعطيه النّصف الآخر عند دخوله
الكوفة، فانسل عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته^(١)...

كان هذا المبلغ ألف ألف يعادل ألف ديناراً ذهبياً، يأخذ نصفها
نقداً، والنّصف الآخر عند الرجوع للكوفة، ومن لا يسيل لعابه لهكذا مبلغ،
فهو لن يبيع الإمام عليه السلام، بل يبيع أبيه لقاءه، والذي لا يمتلك الضّمير
والوجدان والثقة بالنفس وعدم الاطمئنان بإمام زمانه، فكيف له أن لا
يتصرف هكذا، وكم سيحصل من الإمام الحسن عليه السلام الذي لا يبذر بدرهم
واحد من بيت مال المسلمين، ولا يمكنه أن يفعل ذلك أبداً.

كانت رسالة قيس بن سعد إلى الإمام، تشكل صدمة عنيفة كبرى هزت قوى جند الإمام عليه السلام، نتيجة الشائعات التي بثها جواسيس معاوية في أوساط جيش الإمام المرابط في الأنبار ومسكن.

وفي رسالة بعثها معاوية إلى عبيد الله بن العباس يشم منها التّريغيب والتّرهيب نقلها ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه قال فيها: «إنّ الحسن قد راسلني في الصّلح، وهو مسلم الأمر إلي، فإن دخلت في طاعتي متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع»^(١).

بهذه الأساليب قام الطّلقاء وأبناء العاهرات بيث الرّعب في قلوب المسلمين والسّيطرة على الحكم وعلى بيت المال، وإذلال المسلمين وترهيبهم، ثم بسط نفوذهم على كلّ شبر من بلاد الإسلام يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويبتزون أموالهم، لبناء القصور وشراء الجوّاري والعبيد، كلّ ذلك باسم الخلافة الإسلامية، والخلافة منهم براء.

ولقد منى معاوية عبيد الله بن العباس بأنّه سيمنحه أحد كور السّمام، فأيّ كورة منها، الله أعلم كما وعد غيره بها.

وحينما وصلته الرّسالة، جلس ينظر في ترغيبات معاوية، وهام بفكره وسرح بنظره لما سيحصل عليه من أموال وقطائع، وغاب عن عقله هدفه المقدس الذي جاء من أجله لمحاربة معاوية، فلم يخطر بباله عاقبة السّوء التي تنتظره، فأثر دنياه على دينه وعلى آخرته، وحبّه للشهوات واللذات على الهدف الكبير.

وفي منتصف الليل سار عبيد الله على رأس ثمانية آلاف رجل، متخفياً

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ٦، ص / ٤٢.

صوب جبهة معاوية، فباع دينه بدنيا معاوية الزنيم ابن الطلقاء وآثره على إمامة سيد شباب أهل الجنة السبط الأكبر ﷺ.

ويؤكد ذلك اليعقوبي في تاريخه: «أنه - أي معاوية - أرسل عبيد الله بن عباس، وجعل له ألف ألف درهم، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه وأقام قيس بن سعد على محاربتة»^(١).

...تسلم قيس بن سعد قيادة الجيش في الأنبار ومسكن، فصلى بالناس ثم خطب فيها خطبة أراد فيها استعادة معنويات الجيش المنهارة، وتسوية ما جرى من شكوك وظنون في داخل أفراد الفرقة، من هول الفتق الذي سببه عبيد الله في الجيش^(٢).

قال قيس في خطبته: «أيها الناس: لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل المولء، إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إن أباه عم رسول الله خرج يقاتله بيد فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين، وإن أخاه ولآه علي ﷺ البصرة، فسرق ماله ومال المسلمين، فاشترى به الجواري، وزعم أن ذلك له حلال، وأن هذا ولآه علي اليمن فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولده حتى قتلوا وصنع الآن هذا الذي صنع».

بعد أن وصل خبر عبيد الله بن العباس إلى الإمام الحسن ﷺ، قرّر الإمام ﷺ إلى ملء الفراغ الذي تركه عبيد الله في جبهة الأنبار، فوجّه رجلاً آخر من كندة على رأس أربعة آلاف مقاتل وطلب منه الإمام ﷺ أن لا يحدث شيئاً حتى تأتيه الأوامر من الإمام ﷺ.

(١) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج/ ٢، ص/ ١٩١.

(٢) الشيخ حسين سليمان، الإمام الحسن القائد والأسوة: ص/ ١٢٩.

ثم سار الكندي مع فرقته متوجهاً نحو الأنبار، فنزل بها يستعد لتنفيذ أوامر الإمام عليه السلام، ووصل خبره إلى معاوية يفيد بوصول فرقة عسكرية جديدة إلى الأنبار، فأرسل معاوية رسالة إغراء مماثلة إلى قائد هذه الفرقة وقال له فيها: إنك إن أقبلت إليّ أوليك بعض كور الشام والجزيرة غير منفس عليك كما أرفق معاوية مع رسالته «٥٠٠.٠٠٠» خمسمائة ألف درهم، فلما وصلت الرسالة إلى الكندي هاجت نفسه للقبول بإغراءات معاوية، والخضوع لترغيباته، فانسلّ ومائتا رجل باتجاه معسكر الشام، فترك فرقته دونما قيادة، وعلم الإمام الحسن عليه السلام بخبر الكندي، فقام وخطب في الناس وقال: «هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرة بعد مرة أنه لا وفاء لكم، أنتم عبئ الدنيا وأنا موجه رجلاً آخر مكانه، وإني أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه حكّم، ولا يراقب الله في ولا فيكم»^(١).

ثم طلب الإمام عليه السلام رجلاً من مراد فسلمه زمام القيادة العسكرية وأمهده بأربعة آلاف رجل^(٢) وأخبره الإمام عليه السلام: «أنه سيغدر كما غدر الكندي» فحلف أمام جموع الناس وعلى مرأى ومسمع منهم بالأيمان المغلظة التي لا تقوم لها الجبال بأنه لن يفعل ما فعله من كان قبله من القادة العسكريين.

وسار المرادي مع كتيبته إلى الأنبار، فلما وصل، جاء خبره إلى معاوية فعاود الأخير الكرة الثالثة وأرسل إلى المرادي يغريه ويرغبه في المسير إليه، وأرفق بالرسالة خمسة آلاف درهم كما وعده إحدى كور الشام والجزيرة، ولما وصلت الرسالة إلى المرادي مالت به ريح الشهوات إلى معاوية،

(١) ناسخ التواريخ: ج / ١، ص / ٢٠٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص / ٣٥.

فسلك الطريق إليه تاركاً وراءه العهود والمواثيق والأيمان التي اقتطعها على نفسه للإمام الحسن عليه السلام.

وقد صدقت نبوءة الإمام عليه السلام بحق المرادي، ووصله الخبر فجاء إلى الناس وقال: «قد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنكم لا تفون الله بعهد وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم وصار إلى معاوية».

ثم إن معاوية أرسل بسر بن أرطاة إلى مواجهة الجيش الحسيني ونادى بهم: يا أهل جيش العراق ما هذا العمل الذي ليس فيه فائدة اشتغلتم به، هذا عبيد الله بن العباس الذي كان أميركم قد حضر في جيشنا، وإمامكم الحسن بن علي يتراسل معنا ويطلب المصالحة، بأي فكر تريدون مقاتلتنا وأنتم تشحذون علينا رماحكم وسيوفكم؟

عندها التفت قيس بن سعد إلى جيشه وقال لهم: اختاروا أحد أمرين: أتحبون أن تبايعوا أهل الضلال وتمدون إليهم أيديكم وتبيعون دينكم بدنياهم؟ ولو سلمنا أن كلام بسر بن أرطاة كان صدقاً، أنتم دون أن يكون لكم إماماً تستطيعون أن تقاتلوا أعداء الدين؟

قالوا: نحن لا نتبع هؤلاء الجماعة، وما دام فينا روح سنقاتل، ومثل الأسد الهصور والتمر الجريح نزلوا للحرب، ومن الجهتين تحرك المعسكران وبرزت سيوفهم ورماحهم، ووقع المحذور بينهم، وفكر الجيش الأموي بخديعة أخرى على عدم نزال جيش العراق.

لقد كان تصرف قيس بن سعد ثقيلاً على معاوية، فأرسل إليه أحد يغريه بالمال، فلم ينفذ ذلك بقيس وأجابه بهذه الكلمات: «لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح».

ولما يأس معاوية من إغراء قيس، بعث إليه بهذه الرسالة: أمّا بعد: فإنك يهودي ابن يهودي تُشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك، فإن ظهر أحبّ الفريقين إليك نبذك وعدلك، وإن ظهر أبغضهم إليك فقل بك وقتلك، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ورمى غير غرضه فأكثر الحزّ وأخطأ المنصل فخذله قومه و أدركه يومه فمات بحوران طريداً غريباً^(١).

إنّ معاوية لما رأى أنّه لا فائدة من شراء سعد بالمال وإغراءه بالمناصب كتب له هذه الرسالة متهماً إياه وأباه باليهوديّة، وأنّ أباه أراد الخلافة ووتر لها غير قوسها، ورمى بقوسه غير قصده وغرضه، ولكن كان كثير الجبن وأخطأ هدفه فقتله قومه وأدركه يومه الخ..

فكتب إليه قيس بن سعد رحمه الله: أمّا بعد فإنّما أنت وثن ابن وثن من هذه الأوثان دخلت في الإسلام كرهاً وأقمت فيه فرقاً وخرجت منه طوعاً ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم يقدم إسلامك ولم يحدث نفاقك، ولم تنزل حرباً لله ولرسوله وحزباً من أحزاب المشركين، فأنت عدو الله ورسوله والمؤمنين من عباده.

وذكرت أبي فلعمري ما أوتر إلا قوسه ولا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا يُشقّ غباره ولا يبلغ كعبه، وزعمت أنّي يهودي ابن يهودي، وقد علمت وعلم الناس أنّي وأبي من أنصار الدّين الذي خرجت منه، وأعداء الدّين الذي دخلت فيه وصرت إليه، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاضه وأراد إجابته فقال له عمرو: مهلاً فإنّك إن كاتبته أجايبك بأشدّ من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس، فأمسك عنه.

(١) ناسخ التواريخ: ج / ١، ص / ٢٠٦ - ٢٠٧.

وانصرف قيس بن سعد فيمن معه إلى الكوفة^(١).

وبالنتيجة فإن قيادات جيش الإمام ﷺ قد باعوا دينهم بدنيا معاوية مقابل دريهمات هي بالأساس لم تكن لمعاوية وإنما هي لبيت مال المسلمين اغتصبها عنوة وجباها على رغم أنف الناس بالقوة والإكراه، وصار يشتري بها الضمائر والنفوس الضعيفة المتخاذلة المحبة للدنيا والمنصب، ثم الإغراء بالمناصب الزائلة التي لم يف لأي واحد من هؤلاء الذين وعدهم بها، فيا خيبتهم، ويا خسرانهم لدينهم وأمتهم، ومع كل هذا قام المتخاذلون من أهل الكوفة بمراسلة معاوية وقرع باب مودته ومغازلته وحتى دعوته للضيافة.

وعلم الإمام السبط بكل هذا، وماذا يصنع ويفعل بهؤلاء المنافقين الذين هم أكثر نفاقاً من معاوية وأهل الشام ومن حذا حذوهم وسار على نهجهم، من جهة أخرى أولئك الذين اشتراهم معاوية بالمال وجلسوا على مائدته يهرسون اللحم في بطونهم ويحتسون الخمر المعتقة في دهاليز أديرة النصارى، أوليس هذا الطامع الجديد القديم بالخلافة فاسقاً فاجراً قاتلاً للنفس المحترمة، مستحلاً لحرمة الله ومنتهاكاً لقوانين الإسلام، الذي لم يؤمن بالله طرفه عين أبداً، كيف يمكن للإمام السبط ﷺ أن يجمع هؤلاء على التقوى وأن ينزل بهم جيش معاوية؟ ولا يمكن مع هؤلاء أن يقيم أود الدين وصوره، جاء نحوه من تفاهات هؤلاء وقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصية ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ص / ٢٩-٤٣، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام.

(٢) وذكر القصة علي بن الحسين المسعودي في مروج الذهب: ج / ٣، ص / ١٦، وقال: كان قيس عاملاً لعلي في مصر.

فقال عليه السلام: «كذبتُم والله ما وفيتُم لمن كان خيراً مني فكيف تفون لي وكيف اطمئن إليكم وأثق بكم، إن كنتم صادقين فموعدنا ما بيني وبينكم معسكر المدائن فوافوا إلي هناك».

ولما ذهب الإمام إلى المدائن مع جمع من شيعته ومواليه، كان يعلم أن هؤلاء لا يفون بما يقولون وأنهم غادرون به، فوصلت إليه جماعة وتقاعت أخرى، ولم يفوا بعهودهم، كما لم يفوا مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف الإمام في وسط الحاضرين وقال: «غررتموني كما غررتم من كان من قبلي مع أي إمام تقاتلون بعدي، مع الكافر الظالم الذي لا يؤمن بالله ولا برسوله قط ولا أظهر الإسلام هو وبنو أمية إلا فرقاً من السيف، ولو لم يبق لبني أمية إلا عجزٌ درداء لبغث دين الله عوجاً، وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

لم يزل ابن آكلة الأكباد ورفيقه عمر بن العاص يخططون ليل نهار وبمختلف الوسائل والأعيب الشيطانية للنيل من الإمام عليه السلام والوصول نحو السلطة وارتقاء كرسي حكم الإسلام، وتلقين أهل الشام بأنه وارث خلافة النبي صلى الله عليه وآله، حين أيقن أهل الشام المغرر بهم بالأموال بأن الذي يحاربهم ويخرج عليهم إنما هو خارج عن الشرعية، ومن مكائده وألعيه أنه قال لمجموعة ممن كان قد غرر بهم من أمثال الأشعث بن القيس الكندي، وعمرو بن حريث، وحجر بن حجر، وشيث بن ربعي وغيرهم، بأن أي واحد يستطيع أن يقتل الإمام الحسن عليه السلام، يقدم له «٢٠٠.٠٠٠» مائتا ألف درهم ويجعله واحداً من أمراء جيشه ويزوجه إحدى بناته، فسال

(١) ناسخ التواريخ: ج / ١، ص / ٢٠٩.

لعاب الجميع على كلام معاوية وتسبق كل واحد من أولئك الإمعات للوصول إلى مآرب وغايات معاوية، وكان الإمام السبط قد علم بهذه المكيدة، فكان لا يتقدم للصلاة إلا مع الحراس وكان يلبس درعاً تحت ملبسه لكي يأمن غائلة الاغتيال، فخرج من دير عبد الرحمن وعبر حمام عمر ودير كعب ونزل صبيحةً عند قنطرة قرية ساباط، وأراد حينها أن يختبر جماعته لعلمه بالمؤامرة، وهنا وفي أثناء الصلاة حدث الذي كان يتوقعه ﷺ حيث جاءه سهم من بعيد فأصابه ولم يُنل منه لأنه كان دارعاً بالجوشن، إذن كان لا بد لهذه الجماعة من اختبار وامتحان ومعرفة حقيقية هؤلاء الشيعة المستقبلي، ومن حكمة هذا الامتحان هو الوصول إلى الصلح مع معاوية، لأنه لا يمكن للإمام ﷺ بمثل هذا الجيش المختلف الأهواء والآراء والمليء بالمنافقين أن يقاتل معاوية وجند الشام.

وفي صبيحة اليوم التالي أمر مناديه أن يعلن «الصلاة جامعة» فاجتمع الناس، ثم ارتقى ﷺ المنبر فقال: «الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق واثمته على الوحي ﷺ، أما بعد: فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلقه لخلق، وما أصبحت مُحْتَمِلاً على مُسْلِمِ صَغِينَةٍ وَلَا مُرِيداً لَهُ بِسُوءٍ وَلَا غَائِلَةً، أَلَا وَإِنَّمَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفِرْقَةِ، أَلَا وَإِنِّي نَاطِرٌ لَكُمْ خَيْراً مِنْ نَظَرِكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، فَلَا تُخَالِفُوا أَمْرِي وَلَا تَرُدُّوا عَلَيَّ رَأْيِي غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ، وَأَرَشَدَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا فِيهِ مَحَبَّةٌ وَرِضَاءٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

(١) السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة: ج / ١، ص / ٢٥.

ولما أنهى الإمام عليه السلام خطبته نزل من المنبر، فجعل الناس يتهايمسون فيما بينهم ويقولون: ماذا أراد الإمام من خطبته هذه وماذا فهمتم منه؟ قالت جماعة: إنه يريد السلم والمصالحة مع معاوية وإعطاء الخلافة سلماً له.

وقالت جماعة أخرى ممن ييطنون مذهب الخوارج: [كفر والله الرجل]!!!

في هذا الوقت وفجأة ظهر وسط الجموع شخص من المنافقين وصاح بأعلى صوته: أيها الناس لقد انكسر جيش العراق وأن قائده قيس بن سعد بن عبادة قُتل على أيدي جيش الشام، وهذا الكلام أدى إلى تقوية عصيان جيش الإمام عليه السلام وبأسهم من انتصار الإمام على معاوية، ثم أعلنوا العصيان الكامل وهجموا على رحل الإمام وانهبوه وسحبوا سجادة الصلاة من تحت قدم الإمام عليه السلام، ثم قام عبد الرحمن بن عبد الله بن جُعال الأزدي من خلف الإمام وخلع رداء الإمام عليه السلام من على كتفه وانهبه، فبقي الإمام بدون رداء متقلداً سيفه وجلس على الأرض، وانتبه جمع من الشيعة لذلك فحضروا وأحاطوا بالإمام عليه السلام وحالوا بينه وبين الأعداء، فأمر الإمام بإحضار جواده، ورافقه جمع من قبيلة ربيعة وهمدان من مناصريه ومحبيه حتى لزموا طريق المدائن، فلما مرّ بمظلم سابط بَدَرَ لَهُ شخص من قبيلة بني أسد من فخذ نصر بن قعين، واسمه: جراح بن سنان، كان قد كمن في أحد الأماكن فظهر فجأة وأمسك بلجام فرس الإمام عليه السلام وقال: [الله أكبر يا حسن أشرك أبوك ثم أشركت أنت؟!]، وكان بيده معولاً فضرب بشدة على فخذ الحسن عليه السلام فشقه وبان عظم فخذة وسحب الإمام من صدره من

أعلى الجواد وأرداه أرضاً، كل ذلك حدث فجأة، فحمل عليه عبد الله بن أخطل الطائي وأخذ المعول من يد جراح بن سنان، وقام ظبيان بن عمارة وجلس عليه وجَدَع أنفه، وحمل حجراً من أرض ساباط وصار يضرب على رأسه حتى أرداه قتيلاً.

ثم جاء الأصحاب بسرير وأجلسوا الإمام عليه وحملوه إلى المدائن حتى أنزلوه في دار سعيد بن مسعود الثقفي، وسعيد هذا هو: أخو أبو عبيدة الثقفي والد المختار الثقفي، وأبو عبيدة قتل دهساً في حرب الفرس تحت أقدام الفيل وأما أخوه سعيد فكان والياً على المدائن من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعده والياً عليها من قبل الإمام الحسن عليه السلام.

وكان ابن أخيه المختار عنده ولم يكن بعدُ قد خُطَّ عارضاه، فجاء نحو عمّه وقال له: [يا عمّ تعال نسلم الحسن إلى معاوية حتى يجعل لنا العراق]؟ فأجابه عمّه: ما هذا الكلام القبيح والعمل الفاسد الذي تتحدث به؟

أتريد أن يقال عني بأنني سلمتُ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وضعني أباه بهذا الموضع، إلى معاوية الفاسق الفاجر؟^(١)

وقد صمم الشيعة الحاضرون على قتل المختار لكلامه وجرأته، لكن عمّه تشفّع له وأنقذه، وكانت الشيعة في حيرةٍ من أمرها ممّا حدث من أحداث، وكيف سيكون المستقبل مع معاوية، ثم قاموا بمعالجة وطبابة

(١) قال العلامة الشيخ عبد الجليل القزويني في كتاب «النقض» إن كلام المختار كان يراد منه اختبار عمّه ومعرفة كنه عقيدته. وكان هذا الكلام بمشورة الحارث الأعور الهمداني، وقد انفرد الشيخ بهذا الكلام وحده.

(٢) المصدر السابق: ج / ١، حاشية ص / ٢١٣.

الإمام عليه السلام، فجاء ضحوة النهار زيد بن وهب وتفقد صحة الإمام وقال له:
يا بن رسول الله الناس تائهون ومتحيرون فماذا تنظر وبماذا تفكر؟

فقال عليه السلام: «أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي
شيعةً ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقتلي وأخذوا مالي، والله لأن أخذ من معاوية
عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي
وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً فوالله
لأن أسالمة وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسيره أو يمن علي فيكون سبباً
على بني هاشم إلى آخر الدهر ومعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحبي
منا والميت».

وبعد أن وصل الإمام عليه السلام في خطابه إلى هنا، قام زيد بن وهب وقال:
يا بن رسول الله اجمع شيعتك مرة أخرى ولا تجعلهم كقطع الأغنام
السائبة؟ قال عليه السلام: «وما أضنع يا أبا جهينة إني والله أعلم بأمر قد أدى به
إلي عن ثقاتي إن أمير المؤمنين قال لي ذات يوم وقد رأني فرحاً: يا حسن
أفرج؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟ أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو
أمية وأميرها الرجب البلعوم الواسع الأعفاج^(١) يأكل ولا يشبع، يموت
وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر ثم يستولي على غربها
وشرقها تدين له العباد ويطول ملكه، يسنن بسنن البدع والضلال ويميت
الحق وسنة رسول الله، يقسم المال في أهل ولايته، ويمنعه من هو أحق به،
ويذل في ملكه المؤمن، ويقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين
أنصاره ذولاً، ويتخذ عباد الله خولاً، ويدرس في سلطانه الحق ويظهر

(١) وفي رواية الواسع السرم.

الْبَاطِلُ وَيُلْعَنُ الصَّالِحُونَ، وَيُقْتَلُ مَنْ نَادَاهُ عَلَى الْحَقِّ وَيَدِينُ مَنْ وَالَاهُ عَلَى
الْبَاطِلِ، فَكَذَلِكَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ رَجُلًا فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَكَلَبَ مِنْ الدَّهْرِ
وَجَهْلٍ مِنَ النَّاسِ، يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ وَيَعْصِمُ أَنْصَارَهُ وَيَنْصُرُهُ بِآيَاتِهِ وَيُظْهِرُهُ
عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَدِينُوا طَوْعًا وَكَرْهًا، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا وَنُورًا
وَبُرْهَانًا، يَدِينُ لَهُ عَرَضُ الْبِلَادِ وَطَوْلُهَا، حَتَّى لَا يَبْقَى كَافِرٌ إِلَّا آمَنَ وَطَالِحٌ
إِلَّا صَلَحَ، وَتَصْطَلِحُ فِي مُلْكِهِ السَّبَاعُ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَنَاتِهَا وَتُنزِلُ السَّمَاءُ
بَرَكَاتِهَا، وَتَظْهَرُ لَهُ الْكُنُوزُ، يَمْلِكُ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَطُوبَى لِمَنْ
أَدْرَكَ أَيَّامَهُ وَسَمِعَ كَلَامَهُ».

وقفة مع العلامة المظفر قدس سره



قال العلامة الشيخ عبد
الواحد المظفر في معرض
حديثه عن السياسة الحسينية

في كتابه^(١) قائلاً:

أما الحسن عليه السلام، إن ظنّ من لم يحقق الأشياء ولم يتبحر في مصادر
التاريخ المعتمدة في جهتي النظر والتحقيق معاً، وليس له فكرة ولا رؤية
صادقة توقفه على معاني الأشياء وحقائقها، قد يتخيّل ذلك لما يراه من
فخفخة الجيش الناهض مع الحسن عليه السلام وعظمة تلك المواكب المحتشدة
وضخامتها أنّها شيء عظيم، وعند التحقيق إنّها خيالات وأوهام وسراب
رراق في ببداء بلقع لا يجدي الظمآن ولا ينقع غلّة الصّادي.

هذه الآثار التاريخية التي يعول عليها، وأنباء السير الصحيحة التي لا
تدفعها التّشهيّات الخاطئة، ولا تردها نظرات المستعجلين عن التّفكير، الذين
يصيرون البعرة ويخطئون البعير، كلّها تُصرّح بانتقاض صفوف أهل العراق
المتراصة أمام زخوف أهل الشام جُبناً ورُعباً ووهناً وتخاذلاً ورجاءً وطمعاً،
كلّ هذه الأسباب أوجبت لجيش أهل العراق الظّافر المتّقدم في جميع

(١) بطل العلقمي: ج / ١، ص / ٢٨٢ - ٢٩١.

الحروب أن ينحط انحطاطاً فاضحاً، ويتقهقر تقهقراً شنيعاً ليس في عهد الحسن ﷺ فقط بل في أواخر عهد أبيه أمير المؤمنين ﷺ حتى كانت غارات أهل الشام تغير على ضواحي أهل العراق وأمّهات مدنها، كالأنبار حَبَانِيَّة وعين التمر شفائة، وما والى ذلك الصَّقع من ناحية البرّ، وأهل العراق قد احتجروا احتجار الضباب في حُفرها، لا تحركهم الحمية الدنيّة، ولا تهزهم عواطف الحفاظ العربي والشعور الإنساني والنخوة البشرية التي يتصف بها أحرار الشعوب وخصوصاً العرب المشهورة في إبانها وأنفثها من الدّل والاهتضام، وأمير المؤمنين ﷺ يقرعهم بأَمْضِ القوارع الكلامية، ويرميهم بما هو أَمْضى من السهام نفوذاً فيشتتهم طوراً ويتبرأ من فعلهم أخرى ويقبح ما ارتكبه تارة، وتارة يودّ أن يبادلَه معاوية بكلّ عشرة من جيشه بواحد من أهل الشام، ومرة يتمنى بدل جميع أهل العراق مائة فارس من بني فراس بن غنم الكنانيين، ولم يجد في جميع ذلك منفعة، ولا رأى فيهم خيراً حين استنهضهم لحماية أعراضهم ووقاية أموالهم من عادية أجلاف أهل الشام، وطلب منهم أن يخرجوا معه وأن يفرّوا عنه فما فعلوا، فحينئذ دعا على نفسه بفرأقهم قائلاً: «اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني».

فهذا هو الجيش الناهض مع الحسن بن علي ﷺ الذي يستعظمه المستعظم، ويرى أنّه ذا أثر في القوة واستعداد للمقاومة، ولا يرى أنّ في مثل هذا الجيش رجال الأطماع والخيانة وأهل الأوتار والأحقاد الذين قتل أمير المؤمنين ﷺ آبائهم وأبناءهم وإخوانهم بالنهروان، فهم يتذكرون تلك الأحقاد، لذا أغاروا على رحل الحسن ﷺ، فانتهبوا كلّما في فسطاطه وطعنوه في فخذه، هذه أمور لا ينكرها منكر، فكيف يوثق بجيش يخذل فيه

حتى ابن العمّ، ويخون فيه الحميم القريب ذو الرّحم الماسّة والقراية القريبة؟ هذا عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب قائد القوات المتقدمة المقدّمة، وأمير القوة الأولى الزّاحفة لملاقاة أهل الشّام وهي عمدة الجيش ونخبة العسكر قد التحق بمعاوية رغبة منه في عطائه، وأسلم ابن عمّه الحسن السّبط عليه السلام مع كونه كان موتوراً وله ثأر عند معاوية، فإنّه وَتَرَهُ بقتل ولديه الصّغيرين في سرّية بُسْر بن أرطأة العامريّ، وغارته على اليمن.

وقد حكى المؤرخون أنّ بعض الأشراف من الكوفيين قال لِعَمّه: دعنا نقبض على الحسن ونسلّمه إلى معاوية قبضاً باليد لنصنع عنده يداً وننال به من عنده الحباء الجزيل.

فقال له عمّه: بئس ما قلت، أتأمرني بتسليم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لمعاوية يقتله؟! فماذا اعتذر عند جدّه؟

وقد صرّحت الآثار الصّحيحة فيما نقله عمدة المؤرخين أنّ معاوية كاتب وجوه أهل العراق وأطمعهم بالأموال والولايات إن هم خذلوا الحسن عليه السلام، فأجابوه إلى ذلك ووعدوه بتسليم الحسن عليه السلام قبضاً باليد عندما يلتقي العسكران، وقد أرسل معاوية إلى الحسن عليه السلام بتلك الكتب وأعلمه بنيات أصحابه!! ولم تزل أفعال أهل العراق على هذه الوتيرة قديماً وحديثاً، ويكفيك فعلهم مع المختار بن أبي عبيدة ومصعب بن الزّبير ويزيد بن المهلب وغيرهم.

فخاف الحسن عليه السلام أن يُسلموه، أو يُسلموه لعدوّه قبضاً باليد، وإن حاربَ حاربَ بإخوته خاصة لا يشركهم في ذلك إلا نفر يسير من أهل الكوفة خلّص شيعة أبيه، وخاصة وهم أعداد قليلة لا تقوم لدفاع ذلك التّيار

الجارف، ولا شك أنهم يُستأصلون لو أراد المحاربة فيقتل هو وإخوته وينقطع بقتلهم نسل رسول الله ﷺ، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام في صفين إذا رأى تسرع الحسن والحسين عليهما السلام إلى الحرب يقول: «أملكوا عني هاذين الغلامين لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ».

وخذ من التاريخ ما لك فيه مقنع ولعلك لا تشك بعد هذا أن هذه السياسة الحسينية والحال هذه هي التي يجب اتباعها والعمل بموجبها عقلاً وشرعاً.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري^(١)، في أخبار الحسن السبط عليه السلام: «ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألف، وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل مسكن، فبينما الحسن عليه السلام في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا أن قيس بن سعد قد قُتل فانفروا، فانفروا فانهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته..»

وخرج الحسن عليه السلام حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان عم المختار بن عبيدة عاملاً على المدائن وكان اسمه: سعد بن مسعود، فقال له المختار- وهو غلام شاب-: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية..

فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه؟

بئس الرجل أنت.

(١) تاريخ الأمم والملوك «تاريخ الطبري»: ج / ٦، ص / ٩٢.

فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح، وبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدموا على الحسن عليه السلام بالمدائن فأعطياه ما أراد وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها، ثم قال الحسن عليه السلام في أهل العراق: يا أهل العراق! إنه سَخَى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم لي، وانتهابكم متاعي، وقال أبو حنيفة الدينوري^(١) من جملة حديث المصالحة: فوقف عبد الله بن عامر فنادى: يا أهل العراق! إني لم أر القتال، وإنما أنا مقدمة معاوية وقد وافى الأنبار في جموع أهل الشام، فاقروا أبا محمد الحسن وقلوا له: أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك.

فلما سمع ذلك الناس انخذلوا وكرهوا القتال!

وذكر علي بن الحسين المسعودي^(٢) خطبة الحسن عليه السلام في الخصال الثلاثة التي ذكرها الطبري، وقال: وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سُرادق الحسن عليه السلام ورحله وطعنوه بالخنجر في جوفه، فلما تيقن ما نزل به انقاد إلى الصلح.

وقال الحافظ العسقلاني^(٣) عن الشعبي: بايع أهل العراق بعد علي عليه السلام الحسن عليه السلام، فسار إلى الشام وفي مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألف يسمون شرطة الخميس، فنزل قيس بمسكن من الأنبار، ونزل الحسن عليه السلام المدائن، فنادى منادٍ في عسكر الحسن عليه السلام: ألا إن قيس بن سعد قد قُتل،

(١) الأخبار الطوال: ص / ٢١٩.

(٢) مروج الذهب.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة: ج / ١، ص / ٢٢٠.

فوقع الانتهاب في العسكر حتى انتهبوا فسطاط الحسن ﷺ وطعنه رجل من بني أسد بخنجر، فدعا عمرو بن سلمة الأرحبي وأرسله إلى معاوية يشترط عليه، وبعث معاوية عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر فأعطيا الحسن ﷺ ما أراد.

وقال الحافظ كمال الدين محمد بن موسى الـدميري^(١): بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ثم سار إلى المدائن واستقر بها، فبينما هو بالمدائن إذ نادى منادٍ أن قيساً قد قُتل فانفروا، وكان الحسن ﷺ قد جعله مقدمة الجيش، وهو قيس بن سعد بن عبادة «الخنزرجي»، فلما خرج الحسن ﷺ عدا عليه الجراح الأسدي قاتله الله وهو يسير معه فوجأه بالخنجر في فخذه ليقتله، فقال الحسن ﷺ: قتلتُم أبي بالأمس ووثبتم عليّ اليوم تريدون قتلي زهداً في العادلين ورغبة في القاسطين، والله لتعلمنّ نبأه بعد حين.

ثم كتب إلى معاوية بتسليم الأمر إليه.

وقال أبو الفرج الأصفهاني^(٢): وجّه معاوية إلى عبيد الله بن العبّاس، إن الحسن قد راسلني في الصلح وهو مسلم إليّ الأمر، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم يعجل لك النصف في هذا الوقت، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فانسَلْ عبيد الله ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعد، الخ.

وقال ابن أبي الحديد^(٣): فسار معاوية قاصداً إلى العراق وبلغ

(١) حياة الحيوان: ج / ١، ص / ٥٣.

(٢) مقاتل الطالبين: ص / ٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج / ٤، ص / ١٤.

الحسن عليه السلام مسيره نحوه وأنه قد بلغ جسر مُنْج، فتحرك عند ذلك وبعث حجر بن عدي فأمر العمّال بالتهيؤ ونادى المنادي: الصّلاة جامعة، فأقبل النَّاس يتوثّبون ويجتمعون، وقال الحسن عليه السلام: إذا رضيت جماعة فأعلمني، وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال له: اخرج، فخرج الحسن عليه السلام وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أمّا بعد: فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين اصبروا إنّ الله مع الصّابرين، فلستم أيّها النَّاس نائلون ما تحبّون إلا بالصّبر على ما تكرهون، بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنا أزمعنا المسير إليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنّخيلة حتّى ننظر وتنظرون، ونرى وترون».

قال: وآته في كلامه ليتخوّف خذلان النَّاس له.

قال: فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف، فلمّا رأى ذلك عدّي بن حاتم قام فقال: أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! ألا تجيئون إمامكم وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مضر الّذين ألسنتهم كالمخاريق في الدّعة، فإذا جدّ الجدّ فراغون كالثّعالب؟ أما تخافون مقت الله ولا عيبها ولا عارها؟ ثمّ استقبل الحسن عليه السلام بوجهه فقال: أصاب الله بك المرأشد وجنّبك المكاره ووفقك لما تحمد وروده وصدوره، قد سمعنا مقالتك وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحبّ أن يوافيني فليوافي، ثمّ مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فركبه ومضى إلى النّخيلة وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدي بن حاتم أوّل النَّاس عسكر.

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومعقل بن قيس الرياحي وزياد ابن خصفة التيمي فأنبوا الناس ولا موهم وحرّضوهم وكلموا الحسن عليه السلام بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم رحمكم الله، ثم نزل وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج.

ثم ساق القصة وفيها خذلان عبيد الله بن العباس للحسن عليه السلام وغدره به وما صنع أهل العراق بالحسن عليه السلام من نهب أمتعته حتى انتزعوا مطرفه، وكل ذلك مشهور يكفي فيه ما أوردنا، وإن معاوية نفسه ليعترف بخذلانهم للحسن عليه السلام فاعتبر وصيته لابنه يزيد عند موته وقد ذكرها كثير من أهل العلم وأنا أحكيها لك بلفظ الجاحظ فإنه قال^(١): لما حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب، دعا معاوية مسلم بن عقبة المرّي والضّحاك بن قيس الفهري وقال: بلغا عني يزيد وقولا له: انظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن آتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعهده، وانظر إلى أهل العراق فإن سألوك عن عاملٍ لهم كل يوم فاعزله عنهم، فإن عزل عامل أهون عليك من سلّ مائة ألف سيف ثم لا تدري ما أنت عليه منهم، ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم، فإن أظفرك الله به فارددهم إلى بلادهم، ولا يقيموا في غير بلادهم فيتأدّبوا بغير أدبهم، ولست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وحسين بن علي.

فأمّا عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه الورع، وأمّا الحسين فإنّي أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وأمّا ابن الزبير فإنه خبّ صبّ... الخ.

(١) البيان والتبيين: ج / ٢، ص / ١٠٨.

يقول المظفر: ليس غرضنا الاستيفاء في نقل القصص ولكن حسبك أن تعرف كيف كانت حال الحسن عليه السلام مع تلك الجماهير الخونة والجموع الغدرة التي لا ثبات لها ولا وفاء.

وكما قال الشاعر:

تُسِرّ وفاء ثمّ تظهر غدرة لعمرك إن الرّأي فيك لعازبٌ
فقد عرف المنصف أنّ تلك المودعة والمصالحة كانت اضطرارية
وتنازل الحسن عليه السلام عن سلطانه لمعاوية الغاصب كان مقهوراً عليه، قد غلبته على رأيه من المضيّ في طلب حقّه خيانة الخائنين على إعطائه مادة السّلم ورضاهُ به، ثمّ تجلّت المصلحة في هذه المودعة بأجلّ مظاهر النّفع العام لراحة الأمة، والمصلحة الخاصة بنشر التّشيع حتّى في الشّام القطر الأموي، كما ظهرت ثمرة مصالحة النّبي صلى الله عليه وآله وموادعته بالحديبية فقد كره ذلك جماعة من الصّحابة وأنكره بعضهم أشدّ الإنكار، ورأى أنّ ذلك من الوصمة والعار الذي يلحق المسالم بظنّه القاصر، وكذلك الآراء القاصرة بهجن المطالب المهمة ذات المصالح الكبرى والفوائد الجمّة، فاستبان رغم إنكارهم ثمرة متاركة الحرب وتقرير القاعدة السّلمية بين رسول الله صلى الله عليه وآله ومشركي قريش حيث أنّ بها سهل اختلاط المسلمين بالمشركين لَمَّا رفعت الموانع عنهم وزالت التّحجيرات فتمكنوا بذلك من بث الدّعاية إلى الإسلام ونشر عقائد الدّين وتقرير أصول الشّريعة فاتسع بسبب ذلك نطاق الإسلام وكثر المعتنقون له.

حتّى قال بعض المحقّقين من العلماء: إنّ المسلمين الذين أسلموا في مدة صلح الحديبية أربوا أضعافاً على المسلمين الذين أسلموا في بدء

الدَّعوة الإسلامية، ومن زمن البعثة إلى مدة الصَّلح وعقد الهدنة تحت الشَّجرة بالحديبية، وفي موادة الحسن بن علي ﷺ لمعاوية ومهادنته لأهل الشَّام اختلط العراقيّ بالشَّاميّ، لأنَّ التَّحجير قد ارتفع وزال المنع من اختلاط القطرين حيث أصبحت مملكة واحدة وحكومة واحدة، فلمَّا حصل الاختلاط بين أهل القطرين وتآلفت المجتمعات وضمّت الأندية حفلات جامعة للعراقيّ المفكّر والشَّاميّ البسيط فجرت مباحث أدّى فيها العراقيّ جهوداً بذلها في إقناع الشَّاميّ المنحرف عن أهل البيت ﷺ فعرف حقّهم كثير من أهل الشَّام ودان بولايتهم جماعات حتّى انتشر التَّشيع في جميع عواصم سوريا وقرائها.

حتّى قال ياقوت الحموي في أهل حمص^(١): «ومن عجيب ما تأملته من أمر حمص فساد هوائها وترابها اللذين يفسدان العقل، حتّى يُضرب بحمقهم المثل، إنَّ أشدَّ النَّاس على عليّ ﷺ بصفين مع معاوية كان أهل حمص وأكثرهم تحريضاً وهدماً في حربه، فلما انقضت تلك الحروف ومضى ذلك الزَّمان، صاروا من غلاة الشَّيعة، حتّى أنّ في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النَّصيرية، وأصلهم الإمامية الذين يسبون السلف، فقد التزموا الضَّلالة أولاً وأخيراً، فليس لهم زمان كانوا فيه على الصَّواب».

وحمله الغيظ والحنق حتّى تكلم بالبهت والباطل، وينطق بالكذب ولا يُلام لأنّه خارجيّ والخارجيّ يرى تكفير المسلمين ديناً ويبغض بطبعه محبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فهو يتحرّى التَّشيع عليه في كلّ أموره ويتطلب انتقاصه بكلّ صفة، ويجهد في تشويه سمعته بكلّ ما

(١) معجم البلدان: ج / ٢، ص / ٢٤٠.

أمكن ولا ذنب للإمامية إلا محبة من أحبه الله ورسوله ﷺ وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، كما في حديث خبير المتواتر روايته من الفريقين السنة والشيعه، وإنما أوردنا كلامه لتعرف أن التشيع انتشر في عواصم الشام بعد المواعدة والمصالحة العامة وإلقاء تلك الحروب أوزارها.

وقد ذكر البيهقي الشافعي^(١): إن أهل حمص أوفدوا رجلاً إلى ابن عباس فاستفسره عن فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخبره بحجج قاطعة، وأقنعه بدلائل ساطعة وبراهين لامعة، في قصة مطولة يقول في آخرها: فقال الشامي: يا ابن عباس، ملأت صدري نوراً وحكمة، وفرجت عني فرج الله عنك، أشهد أن علياً مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وجميع ذلك نتج عن اختلاط الشيعين العراقي والسوري عند المواعدة وعقد الهدنة، وقبل ذلك ما كان يخطر في أذهان أهل الشام فضل آل محمد ﷺ، حتى يوفدوا وفدهم مستفسراً من علماء الصحابة وأكابر أهل البيت.

مضت أيام الحروب كلها بعد مقتل عثمان وإمرة معاوية على الشام ولم تذكر لرسول الله ﷺ قرابة، حتى أن بعض الشاميين لما مضت تلك الشدة، كان يحلف بالله أنهم لم يعرفوا لرسول الله ﷺ قرابة غير آل أبي سفيان، ويسبب مهادنة الحسن عليه السلام زالت تلك التمويهات وتجلّى الحق بارزاً بأجلى مظاهره، وانكشف الستر المسدول على الحقيقة فتألفت ناصعة.

فسياسة الحسن عليه السلام في هذه المواعدة هي السياسة الوحيدة في نوعها، وهي التي يتحرّرها كبار الرجال السياسيين ولاسيما الدول الحرّة

(١) المحاسن والمساوئ: ج / ١، ص / ٣٠ - ٣٢.

والحكومات المتمدّنة التي تطمع في استعمار الشعوب، فمدّت نفوذها على الأقطار فاستعمرتها بهذا الأسلوب، فهذه الخطة التي رسمها شبيه رسول الله أبو محمّد الحسن ﷺ هي دستور الرجال السياسيين اليوم، ولا يجهل فضيلتها إلا مطموس البصيرة، معدوم العقل والتفكير، جاهل بمواد السياسة وشؤون الإدارة، وليس له حظ من علم ولا ميزة من عقل، ولو عقل لعلم إنّ الظافر الحسن ﷺ لا معاوية، وأنّ المغلوبة أمية لا هاشم، وقد ظهرت النتيجة أخيراً بانحطاط أمية واستعلاء هاشم في الشرق والغرب، ولم يبق لأمية رسم إلا رسم المقت، ولا اسم إلا اسم المذمة والتّهجين.

﴿نَقُطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

هذا كان كلام العلامة المحقق الشيخ عبد الواحد المظفر رحمه الله، ثمّ فلنقف على رأي آخر حصيف وهو كلام للفقير المجدد آية الله العظمى السيد محمّد الشيرازي قدس سرّه، لنرى ما هو موقفه من صلح الإمام الحسن ﷺ مع ابن آكلة الأكباد عليه اللعنة إلى يوم المعاد.

وقفه مع المجدد الشيرازي قدس سره



قال الإمام المجدد السيد
محمد الشيرازي قدس سره
في كتابه^(١): «كان للأوضاع

التي أحاطت بالعراقيين نتيجة الحروب التي خاضوها ضد المارقين
والقاسطين والتاكثين، أن أثرت فيهم وفي منفيتهم بما خلفت من مآسي
وويلات، وكذلك حالة الإحباط التي أصابتهم بعد يوم التحكيم، فتولّد
لدى بعضهم الملل من الحرب».

وبدأ هذا الشعور يظهر إلى الوجود في أواخر عهد الإمام علي عليه السلام،
وقد استغل معاوية هذه الروح لدى أهل العراق للتأمر على حكم الإمام
علي عليه السلام والانقضاض عليه عن طريق منح الامتيازات المادية والاجتماعية
لزعماء القبائل في الشام ملوحاً بها لزعماء القبائل في العراق ممن تهشّ
نفسه وتلبس لذلك.

والذين لا يرون في عدل علي عليه السلام إلا تضيقاً عليهم لأنهم طلاب دنيا
فانية، لذلك فقد صارت الشام مأوى وملاذاً آمناً لمن يغضب عليه
الإمام عليه السلام من هؤلاء لما اقترف من جناية أو خيانة، فيهرب إلى معاوية
ليجد عنده كل التقدير والتبجيل والعطاء الجزيل والمكانة المرموقة.

(١) صلح الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٧، ط / لجنة سيد الشهداء الخيرية: دولة الكويت.

وفي هذا يذكر المؤرخون: أن سهل بن حنيف عامل الإمام علي عليه السلام على المدينة كتب إليه في قوم من أهلها لحقوا بمعاوية في خفية واستتار، فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب يطمئنه ويبين له حقيقة أمرهم: «أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مَمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسُوءٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فُبُعِدُوا لَهُمْ وَسُخِّقُوا، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلَّلَ لَنَا صَعْبُهُ، وَيُسَهَّلَ لَنَا حَزَنُهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ»^(١).

فحقيقة هؤلاء طلب الاستئثار بالمال والجاه، فعرفوا أن علياً عليه السلام ليس كمعاوية، لا يقسم إلا بالسوية، ولا ينفل قوماً على قوم، ولا يعطي على الأحساب والأنساب كما يفعل غيره، فتركوه وهربوا إلى من يستأثر ويؤثر.

وكان معاوية يجد في العراق من أمثال هؤلاء الكثير، فكان يستخدمهم لتحقيق مآربه، ولزعزعة الصفوف، وإثارة التفرقات الجاهلية، وتأجيج نار العصبية القبلية بين القبائل، ليلقي بينها العداوة والبغضاء، وإثارة وإحياء ماضي الجاهلية وأحقادها، فلقد كان يتمتع بحس قوي في إثارة هذه الروح في الوقت المناسب.

وفي هذا المجال يذكر المؤرخون: أن معاوية لما أصاب محمد بن

(١) نهج البلاغة: الرسائل (٧٠) ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة.

أبي بكر بمصر، وظهر عليها دعا عبد الله بن عامر الحضرمي، فقال له: سر إلى البصرة، فإنَّ جُلَّ أهلها يرون رأينا في عثمان، ويعظمون قتله، وقد قتلوا في الطلب بدمه، فهم موتورون حتقون لما أصابهم، ودّوا لو يجدون من يدعوهم، ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان، واحذروا ربعة، وأنزل في مصر، وتودّد الأزد، فإنَّ الأزد كلّها معك إلا قليلاً منهم، وإنّهم إن شاء الله غير مخالفيك.

فقال عبد الله بن الحضرمي له: أنا سهم في كنانتك، وأنا من قد جرّبت، وعدّو أهل حربك، وظهرك على قتلة عثمان، فوجهني إليهم متى شئت.

فقال: أخرج غداً إن شاء الله، فودّعه وخرج من عنده، فلما كان اللّيل جلس معاوية وأصحابه يتحدثون، فقال لهم معاوية: في أي منزل ينزل القمر اللّيلة؟

فقالوا: بسعد الذّابح.

فكره معاوية ذلك، وأرسل إليه ألا تبرح حتّى يأتيك أمري فأقام. ورأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ بمصر عامله عليها يستطلع رأيه في ذلك، فكتب إليه وقد كان تسمى بإمرة المؤمنين بعد يوم صفين، وبعد تحكيم الحكّمين، فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يحسن له رأيه ويحثه على التّعجيل بهذا الأمر.

فلما جاء كتاب عمرو، دعا ابن الحضرمي، وقد كان ظن حين تركه معاوية أياماً لا يأمره بالشّخص، أن معاوية قد رجع عن إشخاصه إلى ذلك الوجه، فقال: يا ابن الحضرمي سر على بركة الله إلى أهل البصرة، فانزل في

مضر، واحذر ربيعة، وتودّد الأزد، وانع ابن عفان، وذكرهم الواقعة التي أهلكتهم، ومن لمن سمع وأطاع دنيا لا تفنى، وأثرة لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده.

فودّعه ثم خرج من عنده وقد دفع إليه كتاباً وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس.

وقد عمل ابن الحضرمي بما أوصاه حرفياً، ونجح في مهمته هذه أي نجاح في إثارة الشحنة بين القبائل، حتى كادت تسري النار التي أجهها بين قبائل البصرة إلى قبائل الكوفة، للقرابة النسبية فيما بين القبائل في البصرة والكوفة، فإنما تناهى خبر ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام قام خطيباً فقال: «مه، تناهوا أيها الناس، وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغي والتهاذي، ولتجتمع كلمتكم، والزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره، وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدين، وحجة الله على الكافرين.

واذكروا إذ كنتم قليلاً مشركين متباغضين متفرقين، فألف بينكم بلا سلام فكثرتم واجتمعتم وتحاببتم، فلا تفرقوا بعد إذا اجتمعتم، ولا تتباغضوا بعد إذ تحاببتم، وإذا رأيتم الناس بينهم النائرة، وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل، فاقصدوا لها مهم ووجههم بالسيف، حتى يفزعوا إلى الله وإلى كتابه وسنة نبيه، فأما تلك الحمية من خطرات الشياطين، فانتهوا عنها لا أباً لكم تفلحوا تنجحوا»^(١).

فكيف يمكن للإمام السبط عليه السلام، أن يفرض شريعة الله في الأرض في قبال دهاء معاوية ومشاوريه الخبثاء من دهاة العرب أمثال عمرو بن العاص

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ٤، ص / ٣٤، فتنة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة.

وغيره، وعلى شعب كُشعب أهل الشام صيرهم معاوية بدهائه ألعبوبة كما يشتهي هو، لا كما أراد الله عز وجل عبر نبيه المصطفى ﷺ!

وقد أورد المسعودي نماذج من ذلك فقال: وقد بلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين، فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي! أخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيته يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنّه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودسّ إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبرّه، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً أنّي أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو ابن العاص: إنّ علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا عن علي سنة، ينشأ عليها الصّغير، ويهلك عليها الكبير^(١).

أعود وأقول: كيف يمكن للإمام السّبط عليه السلام أن يقاتل هكذا شخص وهكذا شعب تافه ارتقى بهم الأمر أن لا يميّزوا النّاقة من الجمل!؟

ومن غفلة أهل الشام، قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنّه قال

(١) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج/ ٣، ص/ ٣١-٣٢، ط/ دار الأندلس بيروت « ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م»، تحقيق: يوسف أسعد داغر.

لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: مَنْ أبو تُراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً من لصوص الفتن!!!
قال المسعودي: وحكى الجاحظ قال: سمعتُ رجلاً من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت يقول: إذا أتيت من يكلمني منه؟ وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد ﷺ: ما تقول في محمد هذا؟ أربنا هو؟!!!

إن سمعت أراك التاريخ عجباً، هذا الذي يرون هذا الكلام ليس شيعياً أو رافضياً متعصباً لعلي عليه السلام ضد ابن آكلة الأكباد، وإنما هو بالمصطلح الشائع شافعيّاً سنياً!

وهناك الكثير الكثير مما دُون في بطون الموسوعات التاريخية والأدبية عن شعب الشام الذين تربوا على أخلاق بني أمية كذباً وزوراً وبهتاناً، منذ أن تولى يزيد بن أبي سفيان من قبل الحاكم الأول «أبو بكر بن أبي قحافة» وكان معاوية معه يصول ويجول، ثم مات يزيد، فنزل على الولاية معاوية بأمر الأول وأقامه الثاني عليها أي «ابن الصّهاك» ثم الثالث «بن عفّان» الذي برع في صرف الأموال الإسلامية على أقاربه وخواصه وتثبيت من كان منهم والياً ومن لم يكن نصبه على إحدى الولايات ووهبه خراجها! فتصور أن حبيب المصطفى ﷺ السبط الأكبر عليه السلام يريد بأهل الكوفة وأهل البصرة المنافقون أن يقاتل جيشاً يقول: أن محمداً هو الله!!!

الفصل الرابع

- من جرائم بسر بن أم رطأة.
- لحظة من سياسة معاوية.
- وجاء يوم الصلح.
- مظلوم التأريخ.
- ودنت ساعة الرحيل.
- وصايا خالدة.
- وحان موعد الرثاء.



من جرائم بسر ابن أرطاة



قال أبو الفرج الأصفهاني:
أخبرني بالسَّبب في ذلك محمّد
بن أحمد بن الطّلاس، قال:

حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا علي بن محمّد المدائني، عن أبي مخنف، عن جويرية بن أسماء، والصّقع بن زهير، وأبي بكر الهذلي، عن أبي عمرو الواقصي: أنّ معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة، أحد بني عامر بن لؤي، بعد تحكيم الحكّمين، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ حي، وبعث معه جيشاً، ووجّه برجل من غامد ضمّ إليه جيشاً آخر، ووجّه الضّحّاك بن قيس الفهري في جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا في البلاد، فيقتلوا كلّ من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه، وأن يغيروا على سائر أعماله، ويقتلوا أصحابه، ولا يكفّوا أيديهم عن النّساء والصّبيان، فمضى بسر لذلك على وجهه، حتّى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناساً من أصحاب علي، وأهل هواه، وهدم بها دوراً من دور القوم، ومضى إلى مكة، فقتل نقرأ من آل أبي لهب، ثمّ أتى السّراة، فقتل من بها من أصحابه، وأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد المّدان الحارثي وابنه، وكانا من أصهار بني العباس، ثمّ أتى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس، عاملاً لعلي بن أبي طالب، وكان غائباً، وقيل: بل هرب بما بلغه خبر يسر، فلم يصادفه بسر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بسر لعنه

الله، وذبحهما بيده، بُمدية كانت معه، ثم انكفاً راجعاً إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائر من بعث به.

فقصد الغامدي إلى الأنبار، فقتل ابن حسان البكري، وقتل رجالاً ونساءً من الشيعة.

ثم قال: فحدثني العباس بن علي بن العباس النسائي، قال: حدثنا محمد بن حسان الأزرق، قال: حدثنا شبابة بن سوار، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن عمرو بن قيس، عن أبي صادقة، قال: أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملاً لعلي، يقال له حسان بن حسان، وقتلوا رجالاً كثيراً ونساءً، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: «إنَّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء، وديث بالصغار، وسيم الخسف، وقد قلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يُغز قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولي وراءكم ظهرياً، حتى سنَّت عليكم الغارات، هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملي عليها حسان بن حسان، وقتل رجالاً كثيراً ونساءً، والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزع حجلها ورعاها، ثم ينصرفون موفورين، لم يُكلم أحدٌ منهم كَلِماً، فلو أن امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً، لم يكن عليه ملوماً بل كان به جديراً، يا عجباً يميت القلب، ويشعل الأحران، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفشلكم عن حقاكم، حتى صرتم غرضاً، تُرمون ولا ترمون، وتُغزون ولا تُغزون، ويُعصى الله وترضون، إذا قلت لكم اغزوهم في الحر،

قلتم هذه حمارة القيظِ فأمهلنا، وإذا قلتُ لكم اغزوهم في البرد، قلتم هذا أوان قُرٌّ وصِرٌّ فأمهلنا، فإذا كتتم من الحرِّ والبرد تفرون، فأنتم والله من السيِّف أشد فراراً، يا أشباه الرِّجال ولا رجال، ويا طعام الأحمال، وعقول ربّات الحجال، وددتُ والله أنّي لم أعرفكم، بل وددتُ أنّي لم أركم، معرفة والله جرّعت بلاءً وندماً، وملأتكم جوفي غيظاً بالعصيان والخذلان، حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، ويحهم، هل فيهم أشدّ مراساً مني؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين، وأنا الآن قد نيفتُ على السّتين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع».

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا كما قال الله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾^(١) فمرنا بأمرك، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جمرُ الغضى، وشوك القتاد، وقال بسنده عن ابن أبي الكنود عبد الرّحمن بن عبيد، قال: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي بن أبي طالب:

«أما بعد، فإنّ الله عزّ وجلّ جارك من كلّ سوء، وعاصمك من المكروه، إنّي خرجت معتمراً، فلقيت عبد الله بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطّلقاء، فقلت لهم، وعرفت المنكر في وجوههم: يا أبناء الطّلقاء، العداوة والله لنا منكم، غير مستنكرة قديماً، تريدون بها إطفاء نور الله، وتغيير أمره، فأسمعني القوم وأسمعتهم، ثمّ قدمت مكة وأهلها يتحدثون إنّ الضّحّاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثمّ انكفأ راجعاً، فأفّ لحياة في دهر جرّاً عليها الضّحّاك، وما

الضحاك؟ وهل هو إلا فقعٌ بقرقرة، وقد ظننتُ وبلغني أن أنصارك قد خذلوك، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك، فإن كنت الموت تريد تحمّلتُ إليك بيني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقاً، وأقسمُ بالله الأعز الأجل، إن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام».

فأجابه علي بن أبي طالب عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم:

«أما بعد، كلأنا الله وإياك كلاًة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم عليّ عبد الرحمن بن عبيد الأزدي بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلاً من قديد، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، وإنّ بُنيّ أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه، وصدّ عن سبيله، وبغاهها عوجاً، فدع بني أبي سرح عنك، ودع قريشاً وتركاضهم في السضلالة، وتجوالمهم في الشقاق، فإن قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادوه بالعداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلّ الجهد، وساقوا إليه جيش الأمرين، اللهم فاجز عني قريشاً الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليّ، والحمد لله على كلّ حال.

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة، فهو أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة، ولكنه جاء في خيلٍ جريدة، فلزم الظهر، وأخذ على السماوة، فمرّ بواقصة وشراف وما والى ذلك الصقع، فسرحتُ إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك جازّ هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن في السير، وقد طفلت الشمس للإياب، فاقتلوا شيئاً كلاً

ولا، فولّى ولم يصبر، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعدما أخذ منه بالمخنق، فلاياً بلائياً ما نجا.

وأما ما سألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيي، فإن رأيي قتالُ المُحلّيين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرةُ الناس حولي عزّةً، ولا تفرّقهم عني وحشةً، لأنّي محقّ، والله مع الحق وأهله، وما أكره الموت على الحق، وما الخير كلّهُ إلا بعد الموت لمن كان محقاً.

وأما ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً مهدياً، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبنّ ابنَ أبيك لو أسلمه الزّمانُ والنّاس متضرعاً متخشعاً، لكني أقول كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإني صبور على ريب الزّمان صليبُ
يعز عليّ إن ترى بي كآبةً فيشمت عادي أو يساء حيبُ^(١)
والسلام.

ثم إن بسر بن أرطاة كرّر راجعاً، وانتهى خبره إلى عليّ عليه السلام، أنّه قتل عبد الرحمن وقتّم ابني عبيد الله بن العباس، فسرح حارثة بن قدامة السعدي في طلبه، وأمره أن يُعدّ السير، فخرج مسرعاً، فلما وصل المدينة، وانتهى إليه قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، وبيعة الحسن عليه السلام، ركب في السلاح، ودعا

(١) هذان البيتان هما من البحر الطويل ينوه فيهما الإمام عليه السلام بتجلّده وصبره على مكاره الدهر، وهذان البيتان تجدهما في العقد الفريد: ج/١، ص/٣٢٥، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: ج/١، ص/٣٢٥، وفي ديوان الإمام علي عليه السلام: ص/٣٩، تحقيق الدكتور يحيى عبد الأمير شامي.

أهل المدينة إلى البيعة للحسن، فامتنعوا، فقال: والله لتبايعنَّ ولو بأستاهكم! فلما رأى أهل المدينة الجِدَّ منه بايعوا للحسن، وكرَّ راجعاً إلى الكوفة، فأصاب أمَّ حكيم بنت قارظ ولهى على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تُصغي إلى قول مَنْ أعلمها أنّهما قد قتلا، ولا تزالُ تطوف في المواسم، تنشدُ النَّاسَ ابنيها بهذه الأبيات:

يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَيَ اللَّذَيْنِ هُمَا	كالدَّرتين تشظى عنهما الصَّدْفُ
يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَيَ اللَّذَيْنِ هُمَا	سمعي وقلبي، فقلبي اليوم مختطفُ
يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَيَ اللَّذَيْنِ هُمَا	مُخَّ العظامِ فمخي اليوم مزدهفُ
نُبْتُ بُسْرًا وَمَا صَدَقْتُ مَا زَعَمُوا	من قولهم ومن الأفكِ الَّذي اقترفوا
أَنْحَى عَلَيَّ وَدَجَّيْ ابْنِي مُرْهَفَةً	مشحودةً وكذاك الإثمُ يُقْتَرَفُ
حَتَّى لَقِيتُ رَجَالًا مِنْ أُرُومَتِهِ	شَمُّ الأنوفِ لهم في قَوْمِهِمْ شَرَفُ
فَالآنَ أَلْعَنُ بُسْرًا حَقَّ لَعْنَتِهِ	هذا لَعْمُرُ أَبِي بُسْرٍ هُوَ السَّرَفُ
مَنْ دَلَّ وَالهِةَ حَرَى مُدْلَهَةً	على صَبِيْنٍ ضَلًّا إِذْ هَوَى السَّلْفُ

قالوا: ولما بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام قتل بُسْرِ الصَّبِيِّين، جزع لذلك جزعاً شديداً، ودعا على بسر لعنة الله، فقال: «اللَّهُمَّ اسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله!» فأصابه ذلك، وفقد عقله، فكان يهذي بالسيف ويطلبه، فيؤتى بسيف من خشب، ويجعل بين يديه زِقُّ منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم، ثم مات لعنه الله.

ولما كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية، دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بُسر بن أرطاة، فقال له عبيد الله: أأنت قاتل الصَّبِيِّين أيها

الشيخ؟ قال بسر: نعم أنا قاتلهما، فقال عبيد الله: أما والله لو ددت أن الأرض كانت أنبتني عندك، فقال بسر: فقد أنبتك الآن عندي، فقال عبيد الله: ألا سيف! فقال له بسر: هاك سيفي، فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله، أخذه معاوية، ثم قال لبسر: أخزأك الله شيخاً قد كبرت وذهب عقلك، تعمد إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقاتلت ابنيه، تدفع إليه سيفك، إنك لغافل عن قلوب بني هاشم، والله لو تمكن منه لبدأ بي قبلك! فقال عبيد الله: أجل والله، ثم إذن لثنت به..

وقال أبو الفرج: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: أخبرني محمد بن مسروق، قال: قال الأصمعي: سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلتهما بسر بن أرطاة بقولها:

يا من أحس بنيي اللذين هما كالدرتين تشظي عنهما الصدف
فرق لها، فاتصل بيسر حتى وثق به ثم احتال لقتل ابنيه، فخرج بهما إلى وادي أوطاس، فقتلهما وهرب، وقال:

يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت
خير من الهاشميين الذين هم
ماذا أردت إلى طفلي مذلهة
إما قتلتهما ظلماً فقد شرقت
فاشرب بكاسهما ثكلاً كما شربت
شمس النهار ولا غابت على ناس
عين الهدى وسمام الأشوس القاسي
تبكي وتندب من أنكلت في الناس
في صاحبك قناتي يوم أوطاس
أم الصبين أو ذاق ابن عباس^(١)

(١) الأغاني: ج / ١٦، ص / ١٧٨ - ١٨٣، منشورات مكتبة الهلال بيروت ١٤٢٢هـ.

وأما رواية الطبري في تاريخه ينقلها بسنده عن زياد بن عبد الله البكائي، عن عوانة، قال: أرسل معاوية بن أبي سفيان بعد تحكيم الحكيم بسر بن أبي أرطاة، وهو رجل من بني عامر بن لؤي في جيش، فساروا من الشام حتى قدموا المدينة، وعامل عليّ على المدينة يومئذ أبو أيوب الأنصاري، ففرّ منهم أبو أيوب، فأتى عليّاً بالكوفة، ودخل بسر المدينة.

قال: فصعد منبرها ولم يقاتله بها أحد، فنادى على المنبر: يا دينار، ويا نجار، ويا زريق، شيخي شيخي! عهدي به بالأمس، فأين هو؟ يعني عثمان، ثم قال: يا أهل المدينة، والله لولا ما عهد إليّ معاوية ما تركتُ بها محتملاً إلا قتلته! ثم بايع أهل المدينة، وأرسل إلى بني سلمة، فقال: والله ما لكم عندي من أمام ولا مبيعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله، فانطلق جابر إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقال لها: ماذا ترين؟ إنني قد خشيتُ أن أقتل، وهذه بيعة ضلالة، قال: أرى أن تُبايع، فإنني قد أمرتُ ابني عمر بن أبي سلمة أن يُبايع، وأمرتُ ختني عبد الله بن زمعة، وكانت ابنتها زينب ابنة أبي سلمة عند عبد الله بن زمعة، فأتاه جابر فبايعه، وهدم بسر دوراً بالمدينة، ثم مضى حتى أتى مكة، فخافه أبو موسى أن يقتله، فقال له بسر: ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك، فخلّي عنه وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن: إن خيلاً مبعوثه من عند معاوية تقتل الناس، تقتل من أبي أن يقرّ بالحكومة.

ثم مضى بسر إلى اليمن، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلي، فلما بلغه مسيره فرّ إلى الكوفة حتى أتى عليّاً، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على اليمن، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس، وفيه ابنان له صغيران، فذبحهما، وقد قال بعض الناس: إنّه

وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية، فلما أراد قتلها قال الكناني: على ما تقتل هاذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلها فاقتلني معهما، قال: أفعل، فبدأ بالكناني فقتله، ثم قتلها ثم رجع بسر إلى الشام! وقد قيل: إن الكناني قاتل عن الطفيلين حتى قتل، وكان اسم أحد الطفيلين اللذين قتلها بسر: عبد الرحمن، والآخر قثم.

وقتل بسر في مسيره ذلك جماعة من شيعة علي باليمن!!!

وبلغ علياً خبر بسر فوجه جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى أتى نجران فحرق بها، وأخذ ناساً من شيعة عثمان فقتلهم، وهرب بسر وأصحابه منه، وأتبعهم حتى بلغ مكة، فقال لهم جارية: بايعونا، فقالوا قد هلك أمير المؤمنين، فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي، فثاقلوا، ثم بايعوا.

ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم، فهرب منه، فقال جارية: والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه، ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي فبايعوه، وأقام يومه، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة، وعاد أبو هريرة فصلى بهم^(١).

لقد استعمل معاوية الإرهاب والبطش والقتل في بسط نفوذه وسيطرته على بلاد المسلمين بعيداً عن مناطق النفوذ العلوي، فكانت جيوشه تكرر تقتل وتخرب وتحرق ثم تتراجع إلى الشام، وما فعله بسر بن أرطاة لغرض من فيض، ففي حوادث سنة تسع وثلاثين من الهجرة ينقل لنا الطبري في تأريخه: أن معاوية وجه النعمان بن بشير، فيما ذكر علي بن محمد بن

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج / ٥، ص / ٩٤ - ٩٥.

عوانة، في ألفي رجل إلى عين التمر، وبها مالك بن كعب مسلحة لعلّي في ألف رجل، فأذن لهم فأتوا الكوفة، وأتاه النعمان ولم يبق معه إلا مائة رجل فكتب مالك إلى علي يخبره بأمر النعمان ومن معه، فخطب عليّ الناس، وأمرهم بالخروج فتأقلوا، وواقع مالك النعمان، والنعمان في ألفي رجل، ومالك في مائة رجل، وأمر مالك أصحابه أن يجعلوا جدر القرية في ظهورهم، واقتلوا.

وكتب إلى مخنف بن سليم يسأله أن يمدّه وهو قريب منه، فقَاتلهم مالك بن كعب في العصابة التي معه كأشدّ القتال، ووجه إليه مخنف ابنه عبد الرحمن في خمسين رجلاً، فانتهوا إلى مالك وأصحابه وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا.

فلما رأهم أهل الشام، وذلك عند المساء، ظنوا أنّ لهم مدداً، وانهمزوا، وتبعهم مالك، فقتل منهم ثلاثة نفر، ومضوا على وجوههم.

وفي آخر قال: بعث معاوية النعمان بن بشير في ألفين، فأتوا عين التمر، فأغاروا عليها وبها عامل لعلّي يقال له: ابن فلان الأرحبي في ثلاثمائة، فكتب إلى علي يستمده، فأمر الناس أن ينهضوا إليه، فتأقلوا، فصعد المنبر، فأنتهيت إليه وقد سبقني بالتشهد وهو يقول: يا أهل الكوفة، كلما سمعتم بمَنسِرٍ من مناسِرِ أهل الشام أظلكم، انجحر كلّ امرئٍ منكم في بيته وأغلق بابه، انجحار الضبِّ في جُحره والضبِّ في وِجاره، المغرور من غررتموه، ولمن فاز بكم فازَ بالسهم الأخبب، لا أحرارُ عند النداء، ولا إخوان ثقة عند النجاء ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) ماذا منيتُ به منكم،

عُمِّي لَا تُبْصِرُونَ وَبُكْمٌ لَا تَنْطِقُونَ، وَصُمٌّ لَا تَسْتَمْعُونَ، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١).

لقد كان يعرف معاوية أخلاق أهل الكوفة، فنجح في شن غاراته على البلاد التي كانت فيها لعلي عليه السلام عمال، ولأنه كان يدرك بأن الكوفيين يخذلون علياً فاتخذ من هذا الأسلوب لإضعاف خصمه وإرهاب شعبه، يقول الطبري: ووجه معاوية في هذه السنة «٣٩هـ» سفیان بن عوف، في ستة آلاف رجل، وأمره أن يأتي هيت فيقطعها، وأن يغير عليها، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلي تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلى مائة رجل، فقاتلهم، فصبر لهم أصحاب علي مع قتلهم، ثم حملت عليهم الخيل والرجال، فقتلوا صاحب المسلحة، وهو أشرس بن حسان البكري في ثلاثين رجلاً، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال وأموال أهلها، ورجعوا إلى معاوية.

وبلغ الخبر علياً، فخرج حتى أتى النخيلة، فقال له الناس: نحن نكفيك، قال: ما تكفونني ولا أنفسكم، وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم، فخرج في طلبهم حتى جاز هيت، فلم يلحقهم فرجع.

ثم أردف قائلاً: وفيها وجه معاوية أيضاً عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يصدق من مر به من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطائه صدقة ماله، ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز يفعل ذلك واجتمع بشر كثير من قومه، فلما بلغ ذلك علياً وجه المسيب بن نجبة الفزاري، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيماء، فاقتلوا ذلك اليوم حتى

(١) المصدر السابق: ج / ٥، ص / ٩٠.

زالت الشمس قتالاً شديداً، وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه ثلاث ضربات، كل ذلك لا يلتمس قتله، ويقول له: النجاء النجاء! فدخل ابن مسعدة وعامة من معه الحصن، وهرب الباقون نحو الشام، وانتهب الأعراب إيل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة وحصره ومن كان معه المسيب ثلاثة أيام، ثم ألقى الحطب على الباب، وألقى التيران فيه، حتى احترق، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا على المسيب فقالوا: يا مسيب قومك! فرّق لهم، وكره هلاكهم، فأمر بالنار فأطفئت، وقال لأصحابه قد جاءني عيون فأخبروني أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشام، فانضمّوا في مكان واحد، فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشام، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سر بنا في طلبهم، فأبى ذلك عليه، فقال له: غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم.

ثم قال الطبري: وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس، وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة، وأن يغير على كل من مرّ به ممن هو في طاعة علي من الأعراب، ووجه معه ثلاثة آلاف رجل، فسار فأخذ أموال الناس، وقتل من لقي من الأعراب، ومرّ بالثعلبية فأغار على مسالح علي، وأخذ أمتعتهم، ومضى حتى انتهى إلى القطقطانة، فأتى عمرو بن عميس بن مسعود، وكان في خيل لعلي وأمامه أهله، وهو يريد الحج، فأغار على من كان معه، وحبسه عن المسير، فلما بلغ ذلك علياً سرح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف، وأعطاهم خمسين خمسين، فلحق الضحاك بتدمر، فقتل منهم تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحابه رجلان، وحال بينهم الليل، فهرب الضحاك وأصحابه، ورجع حجر ومن معه^(١).

(١) المصدر السابق: ج / ٥، ص / ٩١ - ٩٢.

لمحة من سياسة معاوية



قال الإمام المحقق السيد
صادق الحسيني الشيرازي دام
ظله:

السياسة هي: «إدارة النَّاس في كافة شؤونهم المادية والمعنوية».

«وهي مزيج من المادة والروح في كل الأبعاد»^(١).

والسياسة بمفهومها الحقيقي: هو الالتزام الكامل بقوانين الشريعة الإسلامية السَّمحاء، وتطبيق العدل والإحسان، ونشر الفضيلة والأخلاق والمثل السَّامية.

هذا ما أراده الرَّسول الأعظم ﷺ والأئمة الطَّاهرون صلوات الله عليهم أجمعين، بينما نرى السياسة الأموية الحاكمة التي بدأت في عصر الحاكم الثالث عثمان بن عفان، واستمر على نهجه معاوية الطَّلقاء، تختلف اختلافاً جذرياً عن المبادئ التي جاء بها رسول الإنسانية والسَّلام الحبيب المصطفى ﷺ.

لم تكن السياسة الأموية بخافية على الناقد البصير من حيث بداية نشوئها من بدايات الدَّعوة الإسلامية، فكان أبو سفيان يتصدى للنبي ﷺ ومن

(١) السياسة من واقع الإسلام.

بعده كان عثمان وتبعه على ذلك معاوية فمعاوية وأبوه هما جبهة التفاق المتأسلمة والتي تعرف باسم الطلقاء الذين عفا عنهم رسول الله ﷺ.

ولقد ازدهرت أوضاعهم بعد وصول عثمان إلى السّلطة بدسياسة عمرية، حيث قرّب رجال البيت الأموي، وأغدق عليهم العطايا والهبات والمراكز الحساسة بغير حساب، بل الأنكى والأدهى أن جعل رقاب المسلمين ومصائرهم في أيدي حثالات البيت الأموي، فأساؤوا إلى الإسلام والمسلمين فهبت الجماهير الثائرة على الحكم العثماني، وكان أن راح ضحية تصرفاته المسيئة والمشينة فقتل شر قتلة وقطعت أصابع زوجته نائلة، ثم انتهى به الأمر حيث دُفِنَ في حش كوكب خارج البقيع الغرقد عند مقابر اليهود.

ثم سار ابن الطلقاء على تلك المنهجية الرّعناء التي لا تمت إلى الإسلام بأي صلة، حيث عمل بدسائسه وأحابيله وصارت معاولة الهدامة في البنيان الإسلامي المترامي الأطراف، كي يحقق آماله وطموحاته ونزواته الخبيثة الشيطانية لاستحكام سلطانه وسلطاته الدنيوية بمختلف المناحي والأشكال.

يقول الباحث المعاصر الدكتور فهمي جدعان حول طريقة معاوية السياسية: «لقد غير معاوية نظام الحكم في الإسلام تغييراً حاسماً فجعل منه نظاماً ملكياً كسروياً قائماً على الظلم إلى الخروج المستمر على الأوامر الشرعية، وسار خلفه على أثره المشؤوم فاستحق عصرهم جميعاً أن يطلق عليه عصر الفجور»^(١).

(١) أسس التّقدم عند مفكري الإسلام: ص / ٢٨، ط / دار الشّروق المملكة الأردنية:

ولقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام حقيقة نوايا ابن آكلة الأكباد، وإن إذعانه إلى طرح الصّٰلِح معه كان لصالح جميع المسلمين وحقناً لدمائهم، وإلا فإن معاوية كان يريد محو الإسلام واجتثاث المسلمين عن وجه الأرض.

قال ابن عساكر الدمشقي: وروى الخطيب عن أبي العريف، قال: كنا مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفاً بمسكن مستمتين تقطر أسيافنا من الجد على قتال أهل الشام وعلينا أبو العمرطة، فلما صالح الحسن بن علي كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ فقال له مالك بن زمرة: يا مسخّم وجه المسلمين، فقال له: «لا تقل ذلك إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض فأردت أن يكون للدين في الأرض ناعي».

فقال: بأبي أنت وأمي ذرية بعضها من بعض ورأى رجل الحسن وبیده صحيفة فقال له: ما هذه؟ قال: «هذه من معاوية يعد فيها ويتوعد».

فقال له: قد كنت على التّصف منه، قال: «أجل، ولكن خشيت أن يأتي يوم القيامة سبعون ألفاً، وثمانون ألفاً، أو أكثر أو أقل كلّهم تنضج أوداجهم دماً وكلّهم يستعدي الله فيهم أهریق دمه»^(١).

ثمّ ويل لمن كفره نمرود، وهذا الماسوني المعاصر الذي يعده الأخوان المسلمون شهيداً وهو السّيد قطب المصري حيث يقول: لقد كان انتصار معاوية أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس، ولو قدر لعلي أن ينتصر، لكان انتصاره فوزاً لروح الإسلام الحقيقية، ثمّ يقول: قد تكون رفعة الإسلام قد امتدت على يد معاوية ومن جاء بعده... ولكن روح الإسلام تقلصت وهزمت الرّوح الإسلامية

(١) تهذيب تاريخ دمشق: ج / ٤، ص / ٢٢٨.

الحقيقية في مهدها^(١).

وهذا الفيلسوف الألماني يقول: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان - كذا - من عاصمتنا «برلين»، فقيل له: لماذا؟ قال: لأنه هو الذي حوّل نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كله!

إذن لكننا نحن الألمان وسائر شعوب أوروبا عرباً مسلمين^(٢).

إن البارز في سياسة معاوية نشر الإرهاب والخوف، وإشاعة الفتن والاضطراب، وإباحة الغدر والخيانة، والولوغ في دماء المسلمين، فقد أسرف هو وعماله في ذلك، حتى قتلوا الأطفال الصغار والشيوخ العاجزين بعدما تجاوز الحدّ في قتل الرجال وسجن النساء، وقد ارتطمت البلاد بالفتن وضجّ الناس من الظلم والجور، وقد ساند سياسته فريق من المرتزقة وباعة الضمير الذين وضعوا دنياهم فوق رؤوسهم ودينهم تحت أقدامهم فراحوا يلقون عليه التقديس، ويخلعون عليه النعوت الحسنة ويبرّرون جرائمه وموبقاته، وهم ما بين راوٍ وخطيب وزعيم، فأخذوا يذيعون بين الشاميين قربه من الرسول ﷺ وأنه وارثه، حتى انقضى ربح من الزمن وهم لا يظنون أن هناك أحداً أقرب إلى النبي ﷺ من معاوية وبني أمية^(٣)!!!

(١) كتب وشخصيات للسيد قطب: ص / ٢٢٥.

(٢) راجع: محمود أبو رية، شيخ المضيرة.

(٣) باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن عليه السلام: ج / ١، ص / ٢٦، ط / ٢.

وجاء يوم الصلح



لما رأى السَّبَط الأكبر

عنه، خذلان أصحابه وفساد

نِيَّاتهم وعدم ثباتهم في

عهودهم ومواثيقهم، وليس فيهم من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعة أبيه وهم جماعة قليلة، ولا فيهم من ينصره ويحارب مع جنود الشام إلا عدد معدود.

وأنفذ معاوية إليه بكتب أهل العراق الذين ضمنوا فيه الفتك

بالحسن عليه السلام، أو تسليمه إلى معاوية.

وكتب معاوية إليه في الهدنة والصلح، واشتد الأمر بالإمام

السَّبَط عليه السلام، واضطر إلى أن يصالح ويسلم الأمر عليه ويعزل نفسه عن الخلافة.

والذي يُستتج من الروايات: أن معاوية لم يزل كان يجتهد في الصلح

من ابتداء الأمر، ويرى فيه خيراً وصلاحاً له، وكان يصرف غاية همته في تحصيل ذلك ويتوسل بأي وسيلة ممكنة من تطميع بعض وإرعاب آخرين ورسالات إلى الإمام عليه السلام^(١).

(١) حسن المصطفوي، الصلح بين الإمام عليه السلام ومعاوية: ص / ١٧٥، ط / طهران.

ولكن كان رأي الإمام عليه السلام، إنَّ صلاح هذه الأمة المرحومة هو في اختيار طريق الصلح، لأنَّه لا مبرر لحربٍ مع جماعة تعيش معه جسداً وليس روحاً فتنهاون وتعصي أوامره وتخالفه في كلِّ شيء، وعلى هذا: أرسل إلى معاوية يعرض الصلح عليه بشرائط اشترطها ويعهود يطلبها منه لأصحابه وشيعته.

ومن مجموع البحث والتنقيب لم نر في طريقنا - طريق الصلح - إلا الضبابية وشيء من الغموض واختلاف الآراء.

وعن ابن عساكر الدمشقي الشافعي بسنده قال: قال عبد الله بن جعفر: والله إنِّي لجالس عند الحسن، إذ أخذتُ لأقوم فجذب ثوبي - أي الحسن - وقال: يا هناه! اجلس، فجلست، قال: إنِّي قد رأيت رأياً وإنِّي أحبُّ أن تتابعني عليه! قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة وأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعطلت الفروج - يعني: الثغور -، فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد عليه السلام خيراً فأنا معك على هذا الحديث^(١) ومن خطبة له عليه السلام لما راسله معاوية في تسليم الخلافة إليه: فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنا والله ما يثينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسَّلامة والصَّبر، فشييت السَّلامة بالعداوة والصَّبر بالجزع، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودينكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تكون له وقتيل بالنَّهروان تُطلبون بثأره، وأمَّا الباقي فخاذل،

(١) تهذيب التهذيب: ج / ٢، ص / ٢٩٩.

وأما الباكي فثائر، ألا وأنّ معاوية دعا لأمر ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظبا السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا».

فناداه الناس من كلّ جانب: البقية البقية وامض الصلح.

ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية، خطب الناس، فقال: «أيها الناس! إنّما نحن أمراؤكم وضيّفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» وكرر ذلك حتّى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتّى سمع نسيجه.. وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة، قيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: «كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحد إلا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظيماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي، وهي أسرع البلاد خراباً»^(١).

وهنا لا بد لنا من التوقف عند أقوال بعض أعلام الشيعة حول صلح الإمام السبط الأكبر عليه السلام وهي مفيدة للغاية وذكرها للاعتبار فمن هؤلاء:

١- قال جمال الدين السيد بن طاووس قدّس سرّه: إنّ مولانا الحسن بن علي عليه السلام والأئمة من أهل البيت عليهم السلام كانوا يريدون الخلافة كما أمرهم الله -جلّ جلاله- وعلى الوجه الذي يختارها لهم، ومعاوية وزياد كانوا يريدونها بالمغالبة، قال نعيم بن حُمّاد: حدثنا صدقة الصنعاني، عن رياح بن زيد، عن معمر بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لما أصيب علي عليه السلام وباع الناس الحسن عليه السلام، قال لي زياد: أتريد أن يستقيم

(١) ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ: ج / ٢، ص / ١٧٦، ط / مصر.

الأمر؟ قال: قلت: نعم، قال: فاقتل فلاناً وفلاناً [وفلاناً] ثلاثة من أصحابه، قال: قلت: أليس قد صلوا صلاة الغداة؟ قال: بلى، قال: قلت: فلا والله، ما إلى ذلك من سبيل^(١).

٢- قال آية الله السيد هادي الميلاني: يتبين أنّ ما صدر من أصحابه من اللوم والاعتراض تجاه صلحة مع معاوية كان عن غفلة من هؤلاء بحقيقة الأمر، وعدم إحاطتهم بالمصالح الأصلية التي كان الإمام يرمي إلى تحقيقها ورعايتها، فإنّ حرصهم على نصرة الإمام ﷺ وتألّمهم مما كانوا يشاهدون من انصراف الحق إلى غير الصراط السويّ كان يدفعهم إلى الاعتراض عليه، في حين عَشَّتْ عيون بعض المسلمين عن رؤية الحق والتّمييز بينه وبين الباطل، فاتخذوا من الإمام موقف المعاند، والنظرة الدّقيقة في النّصوص توضح الأمر وتثبت أنّ صلحة ﷺ كان تحقيقاً لمرضاة الله تعالى^(٢).

٣- قال آية الله الأميني قدّس سرّه: ... وما كان يرمى إليه معاوية ويعلمه الإمام ﷺ بعلمه الواسع من أنّ الطّاغية ليس بالذي يقتله إن استحوذ عليه، لكنه يستبقه ليمنّ بذلك عليه، ثمّ يطلق سراحه وهو بين أنيابه ومخالبه، حتّى يقابل به ما سبق له ولأسلافه طواغيت قريش يوم الفتح فملكهم رسول الله ﷺ أرقاء له، ثمّ منّ عليهم وأطلقهم، فسّموا الطّلّقاء، وبقي ذلك سبةً عليهم، لكنه أكّد آماله، وأخفقت ظنونه، وفشل ما ارتآه في هذا الصّالح الذي كان من ولائده الإبقاء على شرف البيت

(١) الملاحم والفتن: ص / ٢٥.

(٢) الإمام الحسن مهجة قلب المصطفى: أحمد الرّحمانى الهمداني: ص / ٤٢٩.

(٣) قادتنا كيف نعرفهم: ج / ٥، ص / ٢٨٤ - ٢٨٥.

الهاشمي، ودرأ العار عنهم، إلى نتائج مهمة كلّ منها كان يلزم الإمام عليه السلام بالصلح على كلّ حال، وإن كان معاوية هو الخائن المائن في عهوده وموثيقه^(١).

٤- قال آية الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قدس سره: انظر ما صنع الحسن بمعاوية في صلحة، وكيف هدّ جميع مساعيه وهدم كلّ مبانيه، حتّى ظهر الحق وزهق الباطل، وخسر هناك المبطلون، فكان الصلح في تلك الظروف هو الواجب والمتعين على الحسن، كما أنّ المحاربة والثورة على يزيد في تلك الظروف كان هو الواجب والمتعين على أخيه الحسين، كلّ ذلك للتفاوت بين الزمانين والاختلاف بين الرّجلين^(٢).

٥- قال آية الله الشيخ راضي آل ياسين قدس سره: وما كانت الألغام التي وضعها الحسن في الشروط التي أخذها على معاوية، إلا وسائله الدّقيقة التي حكمت على معاوية وحزبه بالفشل الذريع في التاريخ.

ومن الصّعب حقّاً أن نميّز - بعد هذا - أيّ الأخوين عليهما السلام كان أكبر أثراً في جهاده، وأشد نفوذاً إلى أهدافه، وأبعد إمعاناً في النكاية بأعداءه.

ولم يبق مخيفاً أنّ تاريخ نكبات أمية بعد عملية الحسن في الصلح كان متصلاً بالحسن، مرهوناً بخططه، خاضعاً لتوجيهه^(٣).

٦- قال العلامة كامل سليمان: لا يتندر الذّهن عند ذكر اسم الحسن إلا اسم الحسين، فكأنتهما كانا مخلوقاً واحداً يحمل هذين الاسمين.. وآته

(١) الغدير: ج / ١١، ص / ٥ - ٦.

(٢) القرشي: حياة الإمام الحسن: ج / ٢، ص / ١٨، من موسوعة سيرة أهل البيت.

(٣) صلح الحسن عليه السلام: ص / ٢٧٤، ط / بيروت مؤسسة الأعلمي ١٤١٢ هـ.

من اسم أولهما اشتق اسم الثاني، ومن نفسه انفتقت نفسه - وكلاهما فيض من نفسِي علي وفاطمة - حتى كأن الله قسم بينهما كل هباته ومنته بالعدل.

فقد عاشا في سنّ لا تفرق كثيراً في تكيف طبائعهما إذا اعتبرتا تربية الأهل وتربية الأيام، لأنّ ولادتهما كانت متقاربة، واستعدادهما كان واحداً، إذ نشأ في بيت واحد، ونبت لحمهما على نفس الغذاء، فأخذنا من هذه الدنّيا مقداراً مقسوماً بالقسطاس المستقيم، وأعطياها ذات الأهمية، وتركنا وراءهما أمثولتين تلتقيان في مرمى واحد وإن جاءته من طريقتين متقابلين...

قد توفّر على تربيتهما أشخاص زقوهما العلم معاً، فرويا من معين واحد، فاجتمعت فيهما أمور تجيز لمن عرفهما لولا تفاوت في الطبائع والهيئة الخارجية أن يقول: الحسن أرى أم الحسين!

أما نظرهما إلى الحياة بجميع مظاهرها، فلم يتفاوت قليلاً ولا كثيراً، قد دخلاها من باب واحد وافترقا يقصدان هدفاً معيناً، ثمّ خرجا منها عن طريقتين مختلفين، والتقىا فيها: ضحيتي دين.. فلم يباعد بينهما التباين في تصرفاتهما، لأنّهما قد نشدا الضالة ذاتها، وكانا بحق من سلالة بيت أبي طالب الذي عبد الله حق عبادته، وعرفه حق معرفته، فقد الزكية قرابين في سبيله.. وأنه لبيت ينسى عندما يذكر الدّين..

إنّ الحسين لو ثار في زمن معاوية لصالحه كما صالحه أخوه، بعد أن يرى جيشاً يكثر عدد الخونة فيه، وأنّ الحسن لو كان في زمن يزيد لشار ولقتل كما قتل أخوه، دون أن يتردد في تضحية فئة قليلة من الرّجال والنساء والأطفال.. فنفسه ونفس أخيه من معدن واحد، وهما من الطّينة ذاتها، مع حفظ المفارقات في الطبائع والهيئة.

ويدل على ما ادعيناه أننا لم نسمع كلمة واحدة من الحسين فيها معارضة لأخيه، أو لوم محسوس يعطي صورة ملموسة عن استنكاره للصلح ورغبته عنه.. فهما وإن اختلفا بالواسطة فقد اتفقا بالغاية، وضحياً في سبيل ما عملا من أجله تضحيتين مختلفتين.. فالحسن مع معاوية يساوي الحسين مع يزيد، أو الحسن مضروباً بمعاوية يساوي الحسين مضروباً بيزيد.. فمسالمة الحسن لخصمه كمجاهدة الحسين لعدوه.. وفي تحمّل الحسن للذلل عزّ، وذلت دعوة الأمويين وافتضح أمرهم، كما أنّ في تحمّل الحسين للقتل عاش ومات دعوة الأمويين..

فهما سبطا محمّد وابنا علي وفاطمة، إمامان معصومان، قاما في طلب الأمر أو قعدا عن طلبه، وسيدا شباب أهل الجنة بنظر الناس إلى يوم يبعثان.. من أحبهما - كما نقل الخدري - تساقط الذنوب عنه كما تساقط الريح الورق عن الشجر.. فنهضة الحسين وليدة صلح الحسن، بل هي جزء متمم له، أو هي فصل ثالث يدخل في تسلسل الرواية التي قام بها عليّ، ومثّل فيها ابنه، وكان أبطالها: عليّ والحسن والحسين^(١).

٧- قال آية الله الشيخ محمّد جواد مغنية العاملي قدّس سرّه: لقد صالح الحسن، ولكن معاوية لا يريد الصلح ولا المبايعة من الحسن، وإنما يريد كبد الحسن، كما أرادت أمّه من قبل كبد الحمزة، يريد دماء أبناء الرسول ليشفى غلته من الإسلام ونبي الإسلام، وإلا لماذا اغتال الحسن بعد الصلح؟!

مات الحسن بسّم معاوية، فسجّل عليه التاريخ الخزي والعار والكفر

(١) الحسن بن علي، دراسة وتحليل: ١٢٦ - ١٤٤، «بتصرف»، ط/ دار التعارف.

والجحود والمظالم والمآثم، وسجّل للحسن الكرامة والعظمة والإخلاص
لدين الله وأمة جدّه رسول الله.

لقد كان الصّالح رحمة ونعمة للحسن وشيعة أبي الحسن، ولعنة على
معاوية إلى يوم يبعثون، والفضل في ذلك لحكمة الحسن ومعرفته وبعده
نظره^(١).

٨- قال آية الله الإمام المجاهد السيّد عبد الحسين شرف الّدين
الموسوي قدّس سرّه: الحسن عليه السلام ليس من طلاب «الإمّرة» لذات الإمّرة،
بل هو ممّن يريدون الخلافة وسيلة للإصلاح، وإقامة العدل والسّلام بين
النّاس، وما أظن هذه العقيدة الرّوحية تعدم دليلها المادي، فأبوه وجدّه
أثبتا في الإسلام أنّهما كذلك، وله قبل الإسلام أرث ينهض دليلاً على أنّه
من معدن مصلح لا يطلب النّفوذ إذا استغنى عن فعل الخير.

ومن هناك كان سهلاً عليه أن يتنازل عن الخلافة، لأنّه في فترة لا تقدر
هي على إبداء الخير في ظلّ الجيل المكبوت المشتاق إلى الشّهوات، يصيب
منها فوق كفايته على موائد معاوية، بل قد كان الواجب عليه أن يتنازل مع
عدم القدرة على تذليل العقبة من إخضاع «الأمويّة» المندفعة، لأنّ تنازله
يأتي وفق الخطة التي رسمتها إليه مبادؤه، وليس عائبو تنازله أشدّ إحساساً
منه بالآلام التنازل وهو المجروح، ولكنها التّضحية الضّخمة فرضت عليه أن
يتحمل آلام القعود التي كتبها عليه مثله العليا، ومبادؤه الحسنى، وهي
تضحية لا تقل قدرأ- إن لم تزد- عن تضحية الحسين عليه السلام.

وكن الآن ما شئت، كن مادياً، أو كن روحياً، فستنتهي آخر الأمر إلى

(١) الشيعة والحاكمون: ص / ٦٥ - ٦٨ «بتصرف».

نتيجة رائعة، وهي أن صلح الحسن مصدر من أكبر مصادر ثورة الحسين التحريرية، وإلى أن جوهر التّضحية واحد عن الإمامين وإن اختلف مظهرهما، والحق أن يوم الطّف كان صدى ليوم المدائن^(١)..

٩- قال العلامة الشّيخ موسى محمّد علي المصري رحمه الله: وإمامنا الحسن بن علي رضي الله عنه، عرف الحق، وعمل بما يوافق الحق، حتّى كان بعمله وصلحه أكمل النَّاس عرفاناً للحق، وأقدرهم على العمل بما يوافق الحق^(٢).

١٠- قال العلامة المحقق السيّد جعفر مرتضى العاملي الحسيني دام ظلّه: وحتّى حينما يضطر الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية، إشاراً لطاعة الله في مداحض الباطل، في مكان التّقية، فإنّه يحسن الرّؤية، ويهتم في أن لا يقدم تنازلاً في قضية الإمامة- وإن توهم ذلك ابن قتيبة- ولا في قضية الخلافة- وإن توهم في ذلك آخر- وإنّما تنازل عن الأمر.. وإنّما يقصد معاوية من الأمر: الإمرة والملك، فإنّه لم يقاتلهم ليصوموا ولا ليصلوا، «وإنّما ليتأمّر عليهم» أو «ليلي رقابهم» كما قال^(٣).

١١- قالت الأستاذة الدكتورة زينب محمّد عيسى العاملي دام عزّها: عجباً لدهرٍ كيف جمع الإمام الحسن عليه السلام وفيه آثار اللطف والرّحمة

(١) القرشي، الإمام الحسن بن علي: الجزء الثّاني من الجزء الحادي عشر من موسوعة سيرة أهل البيت: ص/ ٢٤٩، نقلاً عن جريدة السّاعة عدد خاص السنّة / ٤، رقم / ٩٠٨.

(٢) حلّيم آل البيت عليهم السلام: ص / ١٧٧، ط / عالم الكتب بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٣) الحياة السّياسية للإمام الحسن عليه السلام: ص / ١٠٨، نقلاً عن الإمام الحسن لآل ياسين: ص / ١٠٨.

والفكر والسداد، مع معاوية بن أبي سفيان وفيه اللؤم والمكر والدّهاء؟
وعجباً أكبر لدهرٍ كيف جاور الزهر الموثق قوم تمادوا في غيهم وقد طالوا
السّماء؟ قوم أحلوا واستحلوا هيبة إمامٍ ما كانت له الخيرة، فهو مأمور بنداء
السّماء!

هكذا هم قوم الإمام الحسن عليه السلام اختاروا غروباً في البداء، ما جمعوا
له كلمة إنّما غصة وأدها في الصّحارى والبذاء، قوم هم أفعوان دهر،
تلاقت مع حية رقطاع، حاكت بمغزلها من زيف المنى رداء الغدر بلا
استحياء!

قوم لم ينل معهم الإمام الحسن عليه السلام حظاً سوى رداء محبوك مشدود
الجفاء! رداء مرقع بوشم الجبن غير مكذوب الرّواء، فيا عجباً تارةً أخرى
من قوم لم يروعهم خوف من نداء السّماء، فلا نيباً هابوا، ولا إماماً
استهابوا، وقد أمست الرّسالة في حسهم ضياعاً وهباءً! فكيف يرتجي
الحسن عليه السلام من قوم صوبوا السّهم إليه، انحدروا إلى قاع الثرى، وقد بدا
منهم كل مأثمة، وألوان هي خيال المكر والدّهاء! ^(١)

١٢- قال العلامة الشّيخ مهدي العوازم: إذا ما لا حظنا هدف الإمام
الحسن عليه السلام في حركته وهدف معاوية لوجدنا أنّ هدف الإمام الحسن عليه السلام
هدف حقيقي بخلاف هدف معاوية، فهدف الإمام الحسن عليه السلام في حربه
وسلمه هو نشر الدّين والحفاظ عليه، بينما هدف معاوية هو التّأمّر على
المسلمين وملك رقابهم وتخريب الدّين ومحو اسم الرّسول والرّسل

(١) الإمام الحسن بن علي ربحانة رسول الله: ص/ ١٥-١٦- ط/ بيروت: جمعية
السيدة زينب الخيرية، شارع جوشينيان، ملك ضومط.

والرسالة من أنحاء مملكته، ويتبين ذلك بالرجوع إلى كلمات الإمام الحسن عليه السلام في أسباب الصلح وكلمات معاوية بعد الصلح...^(١).

١٣- وقال العلامة السيد علي الجراش: الإمام الحسن عليه السلام إنما صالح لأجل الظروف والأسباب التي أوجبت عليه الصلح حسبما أملاه عليه الواجب الإلهي، لا - كما قيل - «لأن طابع سياسة الحسن عليه السلام هو حقن الدماء في سائر مراحلها» فإن طابع الحسن عليه السلام هو العمل بالوظيفة الإلهية - على سواء - موجبة حرباً أو حقناً للدماء!^(٢)

١٤- قال العلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله: لا ينسى موقف الحسن بن علي عليه السلام من الصلح مع معاوية بعد أن رأى أن الإصرار على الحرب سيدل من ثقل الله الأكبر، ومن دولة العدل، بل اسم الإسلام إلى آخر الدهر فتمحى الشريعة الإلهية، ويقضى على البقية الباقية من أهل البيت عليهم السلام، ففضل المحافظة على ظواهر الإسلام واسم الدين، وإن سالم معاوية - العدو اللدود للدين وأهله، والخصم الحقود له ولشيئته - مع ما يتوقع من الظلم والذل له ولأتباعه، وكانت سيوف بني هاشم وسيوف شيئته مشحوزة تأبى أن تغمد دون أن تأخذ بحقها من الدفاع والكفاح، ولكن مصلحة الإسلام العليا كانت عنده فوق جميع هذه الاعتبارات^(٣).

وبعد هذا الاستعراض لأقوال العلماء، لا بد أن نرى هل أن الإمام السبط عليه السلام بحركته الإصلاحية، كانت صلحاً أم مصالحة؟ وعلى هذا

(١) المجتبى بين وميض الحروف ووهج القافية: ص / ٣١ «ملتقى القطيف الثقافي».

(٢) المصدر السابق: ص / ٥٩.

(٣) عن كتاب عقائد الإمامية: ص / ٢٨٦، الطبعة الأولى المحققة بتحقيق العلامة الشيخ محمد جواد الطريحي: ١٤١٧هـ قم المقدسة.

السؤال يجيب العلامة السيد محمد الموسوي بقوله: من هنا نستطيع القول أنّ الحسن ﷺ لم يبرم صلحاً مع معاوية، وأنّ تسمية ذلك بالصلح يفتقر إلى عنصر الدقة لأنّ الصلح يفترض عملية حرب سابقة وعملية سلام لاحقة والحق أنّ التهديد بالحرب لم يصل إلى المواجهة بين جيش الحسن وجيش معاوية ولم يصبح حرباً فعلية، وإذا أردنا تسمية ذلك من باب أنّ الحسن ﷺ هو خليفة عليّ فإنّ علياً ﷺ لم يكن يعتبر معاوية إلا شاذاً عن سلطته وباغياً على الإمام، وهي تسمية الرسول ﷺ يوم قال لعمار: «ستقتلك الفئة الباغية» وهي حسب نصوص القرآن الفئة الباغية أيضاً.

ولم تكن تلك عملية مهادنة بالمعنى الدقيق، بين الحسن ومعاوية لأنّ المهادنة أيضاً من شروطها أن يبقى كل إنسان في موقفه دون حرب ولا سلم حتّى تظهر أحوال جديدة تبدل الأمور والمؤشرات تشير إلى عكس ذلك، فالانتشار الظلامي الذي خطه معاوية كان على حساب انحسار القيم الإسلامية في بنية المجتمع^(١).

ودائماً يخطر على البال سؤال، يا ترى من كان البادئ بطلب الصلح إن صحّ التعبير هل هو الإمام الحسن ﷺ أم معاوية؟

لقد كان معاوية داهية في المآزق، ويعرف كيف يتخلص ويتملص في المواقف الحاسمة، كما هو دأبه وديدنه في كلّ حروبه، فكان يكرّ ويفر، وعندما يرى نفسه في الزاوية الحادة يرفع راية الخضوع والخنوع كما فعل في حرب صفين مع أمير المؤمنين ﷺ! وعندما استخبر من خلال جواسيسه العدد والعدة في جيش الإمام الحسن ﷺ أشاع فكرة الصلح بين هذا وذاك

(١) السياسة الملتزمة في نهج الإمام الحسن عليه السلام: ص / ١٥١، بيروت دار المحجة: ١٤٢٠.

ودبّت في جيش الإمام الحسن عليه السلام حتى عمّت الفوضى، ولذلك نرى أن أكثر المصادر التاريخية ذكرت أن معاوية هو الذي طلب الصلح من الإمام عليه السلام قال ابن واضح اليعقوبي: إن معاوية وجّه إلى الحسن عليه السلام المغيرة بن شعبه، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الرحمن بن أمّ الحكم، وأتوه وهو بالمدائن نازل في مضاربه ثم خرجوا من عنده، وهم يقولون ويسمعون الناس: إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة وأجاب إلى الصلح^(١).

إن هذا الكلام له دلالة واضحة على أن معاوية كان يتمنى على الإمام الحسن عليه السلام الصلح لا حقناً لدماء المسلمين، بل طمعاً بكرسي الخلافة والحكم والتسلط على ثروات المسلمين، ثم أرسل معاوية إلى الإمام السبّط عليه السلام صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت في أسفلها ما شئت فهو لك.

وأرسل معها كتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به، وتسليمه إليه، فاشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً، وقد ذكرت المصادر وثيقة الصلح التي كتبها الإمام السبّط عليه السلام، حيث روى ابن حجر فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان، وصالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى، في شامهم، وعراقهم، وحجازهم، ويمنهم، وعلى أن

(١) تاريخ اليعقوبي: ج / ٢، ص / ٢١٥.

أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم ونسائهم، وأولادهم، حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان عهد الله وميثاقه، وأن لا يتغىي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة، سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق» أشهد عليه فلان، وفلان بن فلان، وكفى بالله شهيداً^(١).

ثم أن معاوية بن هند قد خالف تلك الشروط التي اشترطها عليه الإمام الحسن ﷺ صيانة لبنود الصّلىح، بل نكث عهد الله بها، جملة وتفصيلاً.

وروى المعتزلي عن أبي إسحاق السبيعي: إن معاوية قال في خطبته بالنخيلة: ألا أن كل شيء أعطيته للحسن بن علي، تحت قدمي هاتين، لا أفي به، قال أبو إسحاق: وكان والله غداراً^(٢).

إن الأسباب التي دعت الإمام السبط ﷺ إلى هذا الصّلىح كثيرة جداً، ومن الصّعب تفصيلها، لأنها غير متوفرة في كتب التاريخ بشكل ميسور وواضح، لذلك نجد أن الصّلىح يكتنفه الغموض في أغلب الأحيان وعند أكثر المؤرخين، حيث لا نجد في التاريخ روايتان متشابهتان ويتفق عليهما مؤرخان من عصر واحد وفئة واحدة ذلك لأن ظرفه كان صعب ودقيق جداً، ولأن أغلب المؤرخين لم يستطيعوا أن يستوعبوا ظروفه السياسية ولا حتى نتائجه إلا القلة منهم، وهذا بسبب سياسة معاوية التي كانت من الحذاقة والفذلكة بحيث لن يستطيع أن يفهم مغزاها ولا أن يقيس لها بعداً واحداً من أبعادها سوى الإمام الحسن الذي كشف النقاب عنها ففندها

(١) الصواعق المحرقة: ج / ٢، ص / ٣٩٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ٤٦.

وحطّم أوثانها وعرّأها على حقيقتها وهذا بالضبط ما أسفر عنه صلح الإمام الحسن عليه السلام^(١).

كان للأوضاع التي أحاطت بالعراقيين نتيجة الحروب التي خاضوها ضد المارقين والقاسطين والناكثين أن أثرت فيهم وفي نفسيّتهم بما خلّفت من مآسي وويلات، وكذلك حالة الإحباط التي أصابتهم بعد يوم التّحكيم، فتولد لدى بعضهم الملل من الحرب.

وبدأ هذا الشّعور يظهر إلى الوجود في أواخر عهد الإمام علي عليه السلام، وقد استغل معاوية هذه الرّوح لدى أهل العراق للتأمّر على حكم الإمام علي عليه السلام والانقضاض عليه عن طريق منح الامتيازات المادية والاجتماعية لزعماء القبائل في الشّام ملوحاً بها لزعماء القبائل في العراق ممّن تهش نفسه وتبش لذلك، والذين لا يرون لعدل علي عليه السلام إلا تضيقاً عليهم، لأنهم طلاب دنيا فانية.

لذلك فقد صارت الشّام مأوى وملاذاً آمناً لمن يغضب عليه الإمام عليه السلام من هؤلاء لما اقترف من جناية أو خيانة، فيهرب إلى معاوية ليجد عنده كلّ التقدير والتّبجيل والعطاء الجزيل والمكانة المرموقة^(٢).

وفي هذا المجال يذكر المؤرخون: أن سهل بن حنيف عامل الإمام علي عليه السلام على المدينة كتب إليه في قوم من أهلها لحقوا بمعاوية في خفية واستتار، فأجابه الإمام عليه السلام يطمئنه ويبين له حقيقة أمرهم: «أما بعد، فقد بلغني أنّ رجالاً ممّن قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك

(١) عبد الودود الأمين، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليه السلام سيرة وجهاد: ص / ١٠٩.

(٢) السيّد محمّد الشيرازي، صلح الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٧.

مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكَفَى لَهُمْ غِيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبَعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَمْ يَنْفَرُوا مِنْ جَوْرِ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بَعْدِلٍ، وَإِنَّا لَنْطَمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلَّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَةً وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزَنَةً، إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ»^(١).

إن حقيقة هؤلاء طلب الاستئثار بالمال والجاه، فعرفوا أن علياً عليه السلام ليس ك معاوية لا يقسم إلا بالسوية، ولا ينفل قوماً على قوم، ولا يعطي على الأحساب والأنساب كما يفعل غيره، فتركوه وهربوا إلى من يستأثر ويؤثر. وكان معاوية يجد في العراق من أمثال هؤلاء الكثير، فكان يستخدمهم لتحقيق مآربه، ولزعزعة الصفوف، وإثارة التفرقات الجاهلية، وتأجيج نار العصبية القبلية بين القبائل، ليلقي بينها العداوة والبغضاء، وإثارة وإحياء ماضي الجاهلية وأحقادها، فلقد كان يتمتع بحس قوي في إثارة هذه الروح في الوقت المناسب.

ولقد توصلنا إلى نتيجة مفادها من خلال هذا السؤال هو: لماذا اختار الإمام الحسن عليه السلام الصلح بدل الثورة؟:

١- الإمام الحسن عليه السلام، إمام استلهم الموقف من معين السماء لمعالجة الواقع الحياتي للبشرية، وهو معصوم، وكل نبي معصوم وإمام معصوم، لا يتصرف في الدنيا إلا كما يرشده الله سبحانه وتعالى.

(١) نهج البلاغة: الرسائل / ٧٠، ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة.

٢- الصلح في فقه الشيعة الإمامية، تعني المهادنة، أي الاتفاق على عدم الاعتداء مدة معينة لضمان مصلحة المسلمين كما في صلح الحديبية الذي أبرمه الرسول الأعظم ﷺ لمدة عشر سنين حيث كانت مصلحة المسلمين تقتضي وقف الحرب لقلتهم، وهذه النقطة توضح أن الإمام الحسن عليه السلام لم يصالح معاوية بصورة مطلقة.

٣- من وجهة نظر فقه الشيعة الإمامية، إن الصلح جائز للمسلمين في ظروف خاصة، بل قد يكون لازماً واجباً، حيث نجد أن النبي ﷺ في موارد متعددة عقد الصلح مع أهل الكتاب بل عقده مع المشركين، وحارب في مواقع الحرب.

٤- صلح الإمام الحسن عليه السلام، كان سبيلاً وفرصة لحرب الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يمكن استنتاجه من خلال بنود الصلح التي كانت في أغلبها مصاغة بدقة لا متناهية في كشف معاوية وإبراز الوجه الحقيقي لحزبه وفضح إدعاءاته بالالتزام بالشريعة وتمثيل قيم السماء.

فمثلاً النقطة الثالثة منها والتي تشير إلى أن: «الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله» وعند التدقيق في هذا البند نجد أن الواقع الحياتي للناس هو الاضطهاد والملاحقة وهذا يخالف قيم السماء.

ومن يصف الإمام الحسن عليه السلام بأنه أقل شجاعة من الإمام الحسين عليه السلام، وتوصل البعض إلى تخطئة الإمام الحسن عليه السلام والعياذ بالله فهذا خطأ، و صلح الإمام الحسن عليه السلام هو تمهيد لثورة الإمام الحسين عليه السلام:

١- الإمام الحسن عليه السلام هو خليفة شرعي، ومعاوية وإل طاغ معارض للخلافة، فلو اختار الإمام عليه السلام الحرب وقتل فهذا يعني مقتل خليفة

المسلمين وهزيمة لمقام الخلافة.

أما مقتل الإمام الحسين ﷺ فهو مقتل رجل نائر.

٢- قوات الإمام الحسن ﷺ كان بإمكانها أن تواجه معاوية وتطول الحرب لكن وجود الخوارج تلك الفئة التي تتقيد بأصول أخلاقية وإنسانية لا ترتبط إلا بظواهر الأمور من الدين إضافة إلى خيانة بعض أصحابه، ووجود فئة المنافقين كان سيشكل مجزرة رهيبة تقودها هذه الفئات باسم الإمام الحسن ﷺ، ولكنها بعيدة عن المبادئ والأخلاق الإسلامية فهذه الفئات لم تتعرف على عمق التعاليم الإسلامية.

٣- الإمام الحسن ﷺ لم يبايع ولم يكن بإمرة المؤمنين، ولم يطلب من معاوية ذلك على عكس الإمام الحسين ﷺ، فإن الحكومة الظالمة آنذاك قررت أخذ البيعة منه أخذاً شديداً لا تساهل فيه.

٤- كان وضع الكوفة مغايراً لوضعه حين ثورة الحسين ﷺ، حيث أن دعوة أهل الكوفة للإمام الحسين ﷺ للقدوم وإلقاء الحجّة عليه بعد شعورهم بالأذى وتحمل الظلم، حيث كان هناك سبعة عشر «١٧.٠٠٠» ألف رسالة تعلن استعداد أصحابها الكامل للوقوف بجانب الإمام، والاستعداد للتضحية، على عكس الحال في عهد الإمام الحسن ﷺ.

فالكوفة كانت مرهقة مشتة، وكانت كوفة العقائد المختلفة من منافقين وخوارج وغيرها، إضافة للحروب التي أنهكتهم، بينما وجدت مع الإمام الحسين ﷺ قوة إيمانية هائلة قاومت الشدائد دون وجود الفئات التي واجهها الإمام الحسن ﷺ.

٥- ثورة الإمام الحسين ﷺ، قامت على أساس الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، والصلح قام على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- المجتمع في عهد الإمام الحسن عليه السلام كان يرى أن معاوية رجل مقبول إذ قضى حكمة بالخبث والدّهاء والاستجلاب بالمال والتّظاهر بالشرعية الإسلامية.

بينما في عهد الإمام الحسين عليه السلام تجلّى فسق وفجور يزيد بوضوح لم يدع مجالاً للشك.

٧- من أهم أسباب قيام الإمام الحسين عليه السلام بالثورة، هو صلح الإمام الحسن عليه السلام، لأنّ الصلح كان يقضي بالأبّ يضع معاوية ولياً للعهد، فمزق معاوية ميثاق الصلح، ووضع ابنه شارب الخمر ولاعب القمار اللاهي مع الكلاب والقروذ ولياً للعهد.

وبذلك ألقى الصلح الحجة على المسلمين وأوضح لهم بما لا يتطرق إليه الشك خبث معاوية وزيف إدعاءاته.

٨- التسليم التام والموافقة التامة من قبل الإمام الحسين عليه السلام، للإمام الحسن عليه السلام في الصلح.

٩- من أقوى الأدلة على صحة موقف الإمام الحسن عليه السلام في صلحه، هو استمرار الإمام الحسين عليه السلام من بعده أثناء خلافة معاوية بالصلح المبرم بين الإمام الحسن ومعاوية وعدم ثورته عليه^(١).

وفي خاتمة هذه المطالب نذكر ما قاله العلامة السيّد محمّد باقر الطّباطبائي الحائري في رسالته الرّدية على الألوسي زادة، في قصيدته في

(١) سمير بزي، زاد المؤمنين ودليل المثقفين: ج/ ٢، ص/ ٣١٠، تحت عنوان: لماذا اختار الإمام الحسن الصلح؟

باب صلح الإمام الحسن عليه السلام حيث شبهه بصلح جدّه رسول الله ﷺ :

وليس في صلح الإمام الحسن كصلح جدّه نبي الرّحمة وقد رأى بالأمس خير ناصح لقد رآه وهو أحمى حامٍ لما ترائى مرضى القلوب فالمجتبى بايعه كره ألقى ولا ينافي كثرة الأصحابٍ فإنّه أدرى بهم وأخبرُ هم الألى جفوا علي المرتضى كم بثّ فيهم من طرائف الحكم وكم أراهم معجزات باهرة ليخشعوا وما عسى أن يخشعا لله من أجلاف كوفان الجفا وما لهم من غدرهم من ثانٍ هم أرسلوا رسائل شتى إلى حتّى إذا جاء إليهم عدلوا واستقبلوا وجه الإمام السّامي فاستنطقوا الطّف عن الذي جرى

بأس فإنّه لسر مكمّن صلحاً رأى فيه صلاح الأمة صلح بني الأصفر للمصالح وحافظ لبيضة الإسلام من رؤساء الجند في الحروب بايع خير منه من تقدّما يومئذ عند أولي الألباب بحالهم وغدرهم لا يُنكرُ فضاق ذرعاً بهم حتّى قضى وكم كساهم من مطارف النعم فظلت الآراء فيها حائرة قلوبهم تبت يداهم أجمعا تالله لا عهد لهم ولا وفا كأنهم والغدر توأمانٍ ريحانة الرسول أن أقدم على وانقلبوا وأنكروا ما أرسلوا بالعضب والرماح والسّهام منهم مع الحسين تسمع خبرا

مما جرى في كربلاء من الأولى
 وهل يُقال بعد هذا للحسن
 هذا وبيعة الزكي الطيب
 من فيه نصّ المُصطفى كما ورّد
 بيعته لابن أبي سفيان
 ولم يمت كما رواه ابن حجر
 قَضَتْ بأنّ بيعة الطُّهرِ علي
 فلم يكن بينهما ملازمة
 جَفَوا عَلِيّاً وَالزَّكِي المبتلى
 لِمَ لا يظنّ بِهِمْ ظَنّ الحَسَن
 شبل الوصي المرتضى سبط النبي
 بأنّه الإمامُ قامَ أو قَعَدُ
 الملك المفرط في الطغيان
 فيه على سُنّة سيّد البَشَر
 لا تقتضي صحّة فعل الأوّل
 ومنه بانّ القول في المسالمة^(١)

الإرهاب الأموي في قمع الشيعة:

لقد انتهج بنو أمية سياسة الإرهاب والقمع ضد خصومهم والذي
 أرسى قواعد الإرهاب المنظم هو معاوية بن أبي سفيان ضد شيعة أهل
 البيت عليهم السلام في العراق، وفي هذا الصدد ذكر المؤرخون: أنّ سفيان بن عوف
 الغامدي قال: دعاني معاوية، فقال: إني باعثك في جيش كثيف ذي أداة
 وجلادة، فألزم لي جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها
 جنداً فأغر عليهم، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جنداً
 فامض حتى تغير على المدائن، ثمّ أقبل إليّ واتق أن تقرب الكوفة، وأعلم
 أنّك إن أغرت على أهل الأنبار، وأهل المدائن، فكأنّك أغرت على أهل

(١) راجع: محمد مهدي الحائري المازندراني، شجرة طوبى: ص / ٩٨ - ٩٩، وكتاب
 صلح الإمام الحسن عليه السلام للإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ص / ٦١ - ٦٢،
 ط / لجنة سيد الشهداء عليهم السلام الخيرية الكويت.

الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق، ترهب قلوبهم، وتجري كل من كان له هوى منهم ويرى فراقهم، وتدعو إلينا كل من كان يخاف الدوائر.

وخرّب كل ما مررت به من القرى، واقتل كل من لقيت فمن ليس هو على رأيك، وأحرب الأموال فإنه شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلوب.

قال: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس فانتدبوا مع سفيان بن عوف، فإنه وجه عظيم فيه أجر عظيم، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله، ثم نزل.

قال: فوالله الذي لا إله إلا هو ما مرّت بي ثلاثة حتى خرجت في ستة آلاف، ثم لزمّت شاطئ الفرات فمررت بها وما بها عريب كأنها لم تحلّل قط، فوطئتها حتى مررت بصندوداء فتنافروا فلم ألق بها أحد فمضيت حتى افتتح الأنبار وقد أندروا بي، فخرج إليّ صاحب المسلحة فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلماناً من أهل القرية فقلت لهم: خبروني كم بالأنبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبدّدوا ورجعوا إلى الكوفة ولا ندري الذي يكون فيها، فيها قد يكون مائتي رجل، قال: فنزلت فكتبّت أصحابي كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة فيقاتلونهم، والله ويصبرون لهم ويطاردونهم في الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحواً من مائتين، ثم اتبعتهم الخيل، فلما مشت إليهم الرجال، وحملت عليهم الخيل فلم يكن إلا قليلاً حتى تفرقوا، وقتل صاحبهم في رجال من أصحابه، وأتيناها في نيف وثلاثين رجلاً

فحملنا ما كان في الأنبار من أموال أهلها، ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزوة أسلم ولا أقرّ للعيون ولا أسرّ للنفوس منها، وبلغني والله أنّها أفرغت الناس، فلما أتيت معاوية فحدثته الحديث على وجهه، قال: كنت والله عند ظني بك لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره، وإن أحببت توليته وليتك، وأنت أمين أينما كنت من سلطاني، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني.

قال: فوالله ما لبثنا إلا يسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هراباً من قبل علي^(١).

قال إبراهيم بن هلال الثقفي: فدعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري، وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليهما، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيمن لخيّل بلغك أنّها قد سرت إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل.

قال: فأقبل الضحّاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب حتى مرّ بالثعلبية فأغار خيّل على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس ابن مسعود الدّهلي وهو ابن أخ عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ فقتله في طريق الحاج عند القطّطانة، وقتل معه ناساً من أصحابه.

قال أبو روق: فحدثني أبي أنّه سمع عليّاً عليه السلام وقد خرج إلى الناس

(١) إبراهيم بن هلال الثقفي، الفارات: ص / ٢٢١ - ٢٢٢، تحقيق السيّد عبد الزّهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، «١٤١٠هـ» قم المقدسة.

وهو يقول على المنبر: «يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرق، اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين»، قال: فردوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً فقال: «والله لو ددتُ أن لي بكلِّ مائة رجل منكم رجلاً منهم، ويحكم اخرجوا معي ثم فَرَوْا عَنِّي إن بدا لكم، فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي، وفي ذلك روحٌ لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة والثياب المهترئة كلما خيبت من جانب تهتكت على صاحبها من جانب آخر» ثم نزل.

فخرج يمشي حتى بلغ الغريين ثم دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعقد له راية على أربعة آلاف ثم سرحه، فخرج حتى مرَّ بالسَّماوة وهي أرض كلب فلقي بها امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ فكانوا أدلاءه على طريقه وعلى المياه فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر فواقفه فاقتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً، وقتل من أصحاب حجر جلان، عبد الرحمن وعبد الله الغامدي، وحجز الليل بينهم فمضى الضحاك، فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً، وكان الضحاك يقول بعد:

أنا الضحاك وأنا أبو أنيس وقاتل عمرو وهو ابن عميس^(١)

أقول: إن غارات معاوية على بلاد المسلمين التي تحت حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كثيرة جمعها أبي إسحاق إبراهيم بن

(١) المصدر السابق: ص / ٢٩٢ - ٢٩٤.

محمد بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب، وفيه الكثير من الأخبار التي تدلّك على إرهاب معاوية في المسلمين وروماً للاختصار ذكرنا هذين الخبرين ليعلم القارئ الكريم ماذا فعل بنو أمية بالمسلمين وببلاد المسلمين رغبة في الدنيا والسلطة والمال.

أقول: قال ابن أبي الحديد المعتزلي: ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة فكان يتبع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنه كان فيهم أيام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرقهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه وورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم

فنكّلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة، حتّى أنّ الرّجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به، فيدخل بيته فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه^(١).

لقد أجاب معاوية إلى كلّ شرائط الإمام السّبط عليه السلام وعاهده على الوفاء بها، فلما تمّ صلحهما، صعد الإمام الحسن عليه السلام إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أيها النّاس، إنّ الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دمائكم بأخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت، وقد سالمتُ معاوية»^(٢).

وقال الشيخ الصّدوق رضوان الله عليه، قال يوسف بن مازن الرّاشي: بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية على أن لا يسمّيه أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي عليه السلام شيئاً، وعلى أن يفرّق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أجرد، ثمّ قال: ما ألطف حيلة الحسن عليه السلام هذه في إسقاطه عن إمرة المؤمنين^(٣).

قال العلامة الحجّة السيّد أحمد الموسوي الفالبي قدّس سرّه: الّذي يتصفح نقول أرباب التّواريخ في صلح الإمام الحسن عليه السلام سيّجد نفسه مرغماً بنتيجة مفادها، إنّ الأمر الّذي صار إليه الإمام الحسن عليه السلام لا يعدو كونه أمراً

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ١١، ص / ٤٤ - ٤٥.

(٢) ابن قتيبة الدّينوري، الإمامة والسّياسة: ج / ١، ص / ١٨٣.

(٣) علل الشّرائع: ص / ٢٤٩ - ٢٥٠، باب / ١٥٩.

شبيهاً بما كان عليه والده علي عليه السلام بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله إلى الرّفيق الأعلى، كواقع حتمته الظّروف السّائدة في حينه، دون خروجه عن المنظور الشّرعي الذي على أساسه ابتنى أمير المؤمنين عليه السلام نهجه في مواجهة أرباب السّقيفة، حينما اكتفى بالمحاجة حين اقتضت، ثمّ أعقبها بالصّمت حين انتفت، تاركاً أمر الخلافة صورةً لا نصاً، لمباغته من قبل حثالة الطّامعين، فضلاً عن قلة مناصريه، طاوياً كشحاً عن حقه المنصوص في استرداده من بين برائث من تقمصوه بغير حق، ولا أهل، حتّى ترائى لمن في قلبه مرض، أنّه عليه السلام ومن بعد يأس، وعقيب رحيل فاطمة عليها السلام إلى الملأ الأعلى، قد بايع...!! جاهلاً - في الوقت نفسه - فترة الأشهر الستة التي أمضاها عليه السلام من بعد النبي صلى الله عليه وآله لحين وفاة فاطمة عليها السلام دون أن يكون له خليفة، أو إمام يعترف به.

بل ظلّ هكذا حتّى شهادته عليه السلام، فهكذا الأمر قد أجروه مع سبط النبي صلى الله عليه وآله، فصيّروا من صلحة، دليل بيعة، ومن صمته وعزلته، ذلّة، وانتكاسة.

فالصّمت والعزلة وإن استبطننا عدم القتال والمناوئة الظّاهريان، إلا أنّ ملزومهما على حاله في الاستئناف لو انتفت لوازمهما، هذا فضلاً عن أنّ التّاريخ - على علاته - لم يأت سوى بهملجة إعلامية تنادي بالبيعة لمعاوية بعد الصّلح، قام بها معاوية وأدعياءه، ليس لها مصداق من جانب الإمام الحسن عليه السلام، وإن اعتزل الإمام الحسن عليه السلام مهّام ممارسته للسلطة الظّاهرية، تاركاً الأمر كلّه بذهابه إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

(١) موسوعة الأنوار: ج / ٥، ص / ١١٥ - ١١٦، دار العلوم بيروت: ١٤٣١هـ.

وماذا بعد؟

لم يطل بالناس الزّمن حتّى اكتشفوا بأنفسهم مدى الخطأ الذي وقعوا فيه، حين لم يلبوا نداء الإمام عليه السلام وضعفوا وثاقلوا عن القتال، وسمحوا للأماني بأن تخدعهم، كما اتّضح للناس آنذاك وللأجيال القادمة حقيقة معاوية وآنه غير ملتزم حتّى بالشروط التي قبلها وأمضاها، فما أن استتمت الهدنة، نزل معاوية يوم الجمعة بالنخيلة، فضلى بالناس ضحى النهار، وقال في خطبته:

إني والله ما قتلتكم لتصلّوا ولا تصوموا، ولا تحجوا ولا تزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، وإني منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي ولا أفي بشيء منها^(١).

قال أبو إسحاق السبيعي: وكان والله غداراً^(٢).

ثمّ قام بعدة أعمال لم تكن في حساب العراقيين، فقد أنقّص أعطياتهم وزاد في أعطيات أهل الشام، كما حملهم على محاربة الخوارج، فقد طلب من الإمام السبط عليه السلام نفسه محاربة الخوارج، فأجابه عليه السلام بقوله: «سبحان الله، تركت قتالك وهولي حلال، لصلاح الأمة وأفتهم، أفتراي أقاتل معك؟!»^(٣).

لقد كانت شروط السبط الأكبر عليه السلام تصبّ في الصّالح العام لشريعة

(١) ابن شهر آشوب المازندراني، مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٣٥.

(٢) المعتزلي: شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ٤٦.

(٣) المعتزلي: شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ١٤.

المصطفى ﷺ ولجميع المسلمين، وإلا لما خالفها، ونكث العهد الذي ألزم به نفسه، وبنكته للعهد كان إجماع أهل التاريخ وأرباب السير، وآه كان كذاباً ماكرأ، يلعب بدين الله، وبمصائر المسلمين.

وقال أبو الفرج الأصفهاني، في قضية نقض معاوية لشروط الحسن عليه السلام، قال عبد الرحمن بن شريك في حديثه: هذا هو التّهتك^(١).

ونحن نستشف من قضية الصّح على دلالات كبيرة تكشف عن مظلومية السّبط الأكبر عليه السلام لما لاقى منه، وما لاقاه من بعض أصحابه.

إنّ السياسة التي يجب أن تسود جميع أنحاء البلاد - عند أهل البيت - هي السياسة البناءة التي تضمن مصالح المجتمع، وتعمل على إيجاد الوسائل السّليمة لرقية وبلوغ أهدافه وآماله، وحمايته من الظلم والاعتداء، وتحقيق المساواة العادلة في ربوعه، والفرص المتكافئة بين أبنائه لوقايتهم من البؤس والحرمان.

إنّ سياسة أهل البيت عليهم السلام قد تبنت العدل الخالص، والحق المحض، ومثلت وجهة الإسلام وأهدافه في عالم السياسة والحكم، فهي أرقى سياسة عرفها الناس وأجدرها بتحقيق العدل السياسي، والعدل الاجتماعي بين الناس لأنّها في جميع مجالاتها تنشُد الاطمئنان الذي لا يشوبه قلق، والأفق الذي لا يشوبه خوف، والعدل الذي لا يشوبه ظلم، وهي بجميع مفاهيمها تباين السياسة الأموية الجائرة التي رفعت شعار الظلم والجور، وتذرعت بجميع وسائل المكر والخداع للمساومة على مصالح الشعوب،

(١) مقاتل الطالبيين: ص / ٤٥.

وابتزاز إمكانياتها والتغلب عليها.

إن السياسة الأصيلة عند أهل البيت عليهم السلام هي التي لا تعتمد على المكر والمواربة والخداع والتهريج والتضليل وغير ذلك من الأساليب التي لا تحمل جانباً من الواقعية، وأنها لا بد أن تكون صريحة واضحة في جميع أهدافها ومعالمها، لتحقيق العدل في البلاد، ولصلابة سياستهم في الحق وصرامتها في العدل ثار عليهم النفعيون والمنحرفون، وطالبوهم أن ينهجوا منهجاً خاصاً لا يتنافى مع مصالحهم وأطماعهم، ولو أنهم استجابوا لهم لما آلت الخلافة إلى غيرهم، ولكنهم سلام الله عليهم، آثروا رضا الله وسلكوا الطريق الواضح، وابتعدوا عن الخطط الملتوية التي لا يقرها الدين.

إن سياسة الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم بدءاً من أمير المؤمنين عليه السلام مروراً بالحسن ومن بعده الحسين وذريته عليهم الصلاة والسلام، في جميع شؤونها قد عبّرت عن جميع القيم السياسية الخيرة التي أعلنها الإسلام، فهي لا تقر الغدر، ولا المكر، ولا الخداع، ولا تؤمن بأي وسيلة من وسائل التفاق الاجتماعي وأن توقف عليها النجاح السياسي المؤقت، لأن الخلافة الإسلامية من أهم المراكز الحساسة في الإسلام، فلا بد لها من الاعتماد على الخلق الرّصين والإيمان العميق بحق المجتمع والأمة، وسار الإمام الحسن عليه السلام على ذلك النهج الرّصين الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام في عالم السياسة والحكم، فلم يعتمد على أية وسيلة لا يقرها الدين، وتجنب جميع الطرق الشاذة التي لا تلتقي مع الواقع، ولو أنه سلط بعض الأساليب التي سلكها معاوية لما تغلب

عليه، وقد أدلى عليه السلام بذلك إلى سليمان بن صرد الخزاعي فقال له في كلام طويل: «...ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا، وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبئس مني، وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم..»^(١).

(١) راجع: ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة: ج / ١، ص / ١٨٦.

مظلوم التاريخ



لك الله يا أبا محمّد ويا أبا
القاسم، ما أكثر تجرّعك
للغصص والآلام والإحـن

والمحن، لقد دأب العمريون من أهل العراق على إيذاتك وإيلاـمك
ومخالفتك ومناـبذتك كما فعلوا ذلك بأبيك المرتضى عليه السلام من قبل،
وحاولوا سرّاً تسليمك لابن آكلة الأكباد ولكنهم خسئوا، وأرادوا إطفاء
نورك وأهل بيتك، ولكن الله أبى ذلك أن يذلّ أولياءه، وهم أصروا إلا أن
يخذلوك ويرغموك وحاولوا جاهدين، ولم يروا بدأً من ذلك إلا التآمر على
قتلك بمختلف الوسائل والأسباب، أليس هم من طعنوك مرّتان في بداية
أمرك؟ وهأنت تقول لأخيك الحسين عليه السلام: «يا أخي إني سقيت السّم
ثلاث مرّات لم أسق مثل هذه المرّة..»^(١).

ولقد كان جلّ أهل الكوفة على نهج عمر بن الخطاب والسّائرين على
بِدْعِهِ، ولم يكونوا على رأي عليّ عليه السلام، لهذا ناكـدوه وخالفوه وخالفوا
الإمام السّبط عليه السلام وأسلموه لعدو الله معاوية.

روى ابن كثير قال: قال الأصمعي، عن سلام بن مسكين، عن عمران

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب: ج / ١، ص / ١٤١.

ابن عبد الله، قال: رأى الحسن بن علي في منامه أنه مكتوب بين عينيه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ففرح بذلك، فبلغ ذلك سعيد بن المسيب، فقال: إن كان رأى هذه الرؤيا، فقل ما بقي من أجله، قال: فلم يلبث الحسن بن علي عليه السلام بعد ذلك إلا أياماً حتى مات^(١)، وروى ابن عبد البر بسنده عن عمير بن إسحاق، قال: كنا عند الحسن بن علي عليه السلام فدخل المخرج ثم خرج، فقال: «لقد سقيت السم مراراً وما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعود معي»، فقال له الحسين عليه السلام: «يا أخي من سفاك؟» قال: «وما تريد إليه، أتريد أن تقتله؟» قال: «نعم» قال: «لئن كان الذي أظن، فالله أشد نقمة، ما أحب أن تقتل بي بريئاً».

وفيه أيضاً: قال قتادة، وأبو بكر بن حفص: سُم الحسن بن علي عليه السلام، سمته امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدليس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك^(٢).

لقد كان ابن آكلة الأكباد لا ينام الليل إلا وهو يفكر بكيفية اغتيال سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول الأعظم عليه السلام، وكان يتمثل دائماً بمقولته الشهيرة: [إن لله جنوداً من غسل]، وقد طبق ذلك فنجح في التخلص من معارضيه، أمثال: سعد بن أبي وقاص، ومالك الأشتر، ولم يبق إلا الإمام الحسن عليه السلام، فأرسل إلى الإمام غير مرة سماً مميتاً حينما كان في دمشق، فلم ينجح به، فراسل ملك الروم يطلب منه أن يعث إليه سماً فاتكاً سريع التأثير، فامتنع عن إجابته قائلاً له: أنه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٠٦.

(٢) الاستيعاب: ج / ١، ص / ١٤١-١٤٢.

ولكن معاوية راسله مرّة ثانية قائلاً: إنّ هذا الرّجل ابن الّذي خرج بأرض تهامة - يعني رسول الله - قد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد إليه السّم، فأريح منه العباد والبلاد، ووجه إليها بهدايا وألطف، فوجه إليه ملك الرّوم بهذه الشّربة الّتي دسّ بها فسقيتها واشترط عليه في ذلك شروطاً، وروي أنّ معاوية دفع السّم إلى امرأة الحسن بن علي ﷺ جعدة بنت الأشعث وقال لها: اسقيه، فإذا مات هو زوجتك ابني يزيد، فلما سقته السّم ومات صلوات الله عليه، جاءت الملعونة إلى معاوية الملعون فقالت: زوجني يزيد، فقال: اذهبي فإنّ امرأة لا تصلح للحسن بن علي ﷺ لا تصلح لابني يزيد^(١).

الأسرة المشؤومة:

من هي هذه الأسرة وما شأنها ومن هم وجوهها؟

فرأس هذه الأسرة هو الأشعث، واسمه: معدي كرب، وأبوه قيس الأشجّ، سمي الأشجّ لأنّه شجّ في بعض حروبهم، بن معدي كرب بن معاوية، وأمّ الأشعث: كبشة بنت يزيد بن شرحبيل بن امرئ القيس.

كان الأشعث أبداً أشعث الرّأس، فسّمّي الأشعث وغلب عليه حتّى نسي اسمه، ولعبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث يقول أعشى همدان عبد الرّحمن بن عبد الله، من أبيات له:

لا أبالي فيك عبثاً يا بن الأشجّ قريع كندة

وأنت أعلى النّاس كعباً أنت الرّئيس ابن الرّئيس^(٢)

(١) الاحتجاج للطبرسي: ص / ٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) ديوان الأعشير: ص / ٣١١.

لما هاجر ﷺ وتمهدت دعوته، وجاءته وفود العرب، جاءه وفد كندة، فيهم الأشعث وبنوا وليعة فأسلموا، فأطعم رسول الله ﷺ بني وليعة طعمة من صدقات حضرموت، وكان قد استعمل على حضرموت زياد بن لبيد البياضي الأنصاري، فدفعا زياد إليهم، فأبوا أخذها، وقالوا: لا ظهر لنا^(١)، فابعث بها إلى بلادنا على ظهر من عندك، فأبى زياد، وحدث بينهم وبين زياد شر، كاد يكون حرباً، فرجع منهم قوم إلى رسول الله ﷺ، وكتب زياد إليه ﷺ يشكوهم.

وفي هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ، قال لبني وليعة: «لتنتهنَّ يا بني وليعة، أو لأبعثنَّ عليكم رجلاً عديل نفسي، يقتل مقاتلتكم، ويسبي ذراريكم»، قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هو هذا، فأخذ بيد علي ﷺ، وقال: «هو هذا».

ثم كتب لهم رسول الله ﷺ، إلى زياد، فوصلوا إليه الكتاب، وقد توفي رسول الله ﷺ، وطار الخبر بموته إلى قبائل العرب، فارتدت بنو وليعة، وغنت بغاياهم، وخضبوا له أيديهم^(٢).

وكتب أبو بكر إلى المهاجر ابن أبي أمية وهو على صنعاء، أن يسير بمن معه إلى زياد، فاستخلف على صنعاء، وسار إلى زياد، فلقوا الأشعث فهزموه وقتل مسروق، ولجأ الأشعث والباقون إلى الحصن المعروف بالنجير^(٣)،

(١) الظهر: الركاب التي تحمل الأسفار في السفر، سميت بذلك لحمها إياها على ظهورها.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ج / ٣، ص / ٢٧٠، «بتصرف».

(٣) قال صاحب مراصد الاطلاع: هو حصن باليمن قرب حضرموت.

فحاصرهم المسلمون حصاراً شديداً حتى ضعفوا، ونزل الأشعث ليلاً إلى المهاجر وزياد، فسألهما الأمان على نفسه، حتى يقدمَا به على أبي بكر فيرى فيه رأيه، على أن يفتح لهم الحصن ويسلم إليهم من فيه.

وقيل: بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث، فأمنّاه وأمضيا شرطه، ففتح لهم الحصن، فدخلوه واستنزلوا كل من فيه، وأخذوا أسلحتهم، وقالوا للأشعث: اعزل العشيرة، فعزلهم، فتركوهم وقتلوا الباقين - وكانوا ثمانمائة - وقطعوا أيدي النساء اللواتي شمتن برسول الله ﷺ، وحملوا الأشعث إلى أبي بكر موثقاً في الحديد هو والعشيرة، ففعا عنه وعنهم، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة - وكانت عمياء - فولدت للأشعث محمداً وإسماعيل وإسحاق.

وخرج الأشعث يوم البناء عليها إلى سوق المدينة، فما مرّ بذات أربع إلا عقرها، وقال للناس: هذه وليمة البناء، وثن كل عقيرة في مالي، فدفع أثمانها إلى أربابها.

قال محمد بن جرير الطبري: وكان المسلمون يلغنون الأشعث ويلعنه الكافرون أيضاً وسبايا قومه، وسمّاه نساء قومه: عرف النار، وهو اسم للغادر عندهم^(١)، وكان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام، وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله ﷺ كل واحد منهما رأس التّفاق في زمانه^(٢).

وعن صادق العترة أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الأشعث بن قيس شرك

(١) تاريخ الأمم والملوك: ج / ٣، ص / ٢٧٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج / ١، ص / ٢٩٧.

في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، ومحمّد ابنه
شرك في دم الحسين عليه السلام»^(١).

وقال أبو الفرج الأصفهاني: واختلف المؤرخون في اسمها، فقيل: إنّ
اسمها سكينه، ويقال: عائشة، ويقال: شعشاء، والصّحيح أنّ اسمها
جعدة^(٢).

وروى الشيخ المفيد أعلى الله مقامه: أنّ معاوية أرسل إلى جعدة بنت
الأشعث بن قيس: إني مزوجك يزيد ابني، على أن تسمي الحسن، وبعث
إليها مائة ألف درهم، ففعلت وسمّت الحسن عليه السلام، فسوّغها المال، ولم
يزوجها من يزيد^(٣).

واتفق أكثر المؤرخين أنّ الإمام السّبط عليه السلام مات شهيداً مسموماً، دسّ
معاوية إليه وإلى سعد بن أبي وقاص حين أراد أن يعهد إلى ابنه يزيد بالأمر
بعده فماتاً منه في أيام متقاربة.

وقال ابن شعبة الحراني قدس سرّه: «... فلما أحسّ بألم السمّ الشّديد
قال عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون، الحمد لله على لقاء محمّد سيد
المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين، وعمّي جعفر
الطّيار، وحمزة سيد الشّهداء» ثمّ التفت إلى جعدة فقال لها: «يا عدوة الله،
قتلتيني قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلفاً، ولقد غرّك - يعني معاوية -
وسخر منك يخرّيك الله ويخرّيه»^(٤).

(١) الكليني، روضة الكافي: ج / ٨، ص / ١٦٧.

(٢) مقاتل الطّالبيين: ص / ٣٣.

(٣) الإرشاد: ج / ٢، ص / ١٦.

(٤) تحف العقول: ص / ٣٩١.

أقوال مختلفة في طريق شهادته:

المشهور المستفاد من الأخبار الكثيرة أنّ وسيلة شهادته ﷺ هي السُّمَّ وإن قيل غير ذلك!

نعم، هذه وسيلة وبدعة سوء، سار على نهجها خلفاء بني العباس بعد انقضاء الألف شهر من حكومة بني أمية، فأغلب ملوك بني العباس الذين عاصروا الأئمة، قتلوا الأئمة ﷺ عن طريق دسّ السُّمَّ إليهم بشكل مباشر أو عن طريق عملائهم!

قال العلامة المعاصر والمحقق المجاهر بفضائل العترة ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي: «ولابدّ من العودة إلى سنة معاوية، ولم ير وسيلة أسهل وأسلم من تلك التي سلفه معاوية... إنّ المأمون قد ارتضى سيرته «أي معاوية» وردّ سيرة أبي بكر وعمر وعليّ، وهذه الوسيلة هي: «السُّمَّ»، ودسّ إليه «أي الرضا ﷺ» السُّمَّ في العنب، أو في الرُّمَّان، ومضى الإمام ﷺ»^(١).

وهذا جرد بالأقوال المختلفة في طريق سمه ﷺ روته أرباب التواريخ والسير:

١- قال الناصبي العنيد عبد الحليم بن تيمية الحراني: «إنّ بني أمية ليسوا بأعظم جرماً من بني إسرائيل، فمعاوية حين أمر بسُّم الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً»^(٢).

قال العلامة المحقق السيد حسن الطباطبائي المير جهاني قدس سرّه:

(١) حياة الإمام الرضا ﷺ: ص / ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) منهاج السنة: ج / ٢، ص / ٢٢٥.

قد سمه اللعين كلب الهاوية ابن الطليق وابن هند الزانية
بسمه لقد قضى مسموماً وفي البقيع دفن مظلوماً^(١)

٢- قال قتادة وأبو بكر بن حفص: سُمّ الحسن بن علي، سمته امرأته بنت
الأشعث بن قيس الكندي، وقالت طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها
وما بذل لها في ذلك^(٢).

٣- ودس معاوية إليه - حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده - وإلى سعد بن
أبي وقاص سماً، فماتا منه في أيام متقاربة، وكان الذي تولى ذلك من الحسن
زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية^(٣).

٤- جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتى سمته^(٤).

٥- كان حصين بن المنذر الرقاشي أبو ساسان يقول: ما وفي معاوية
للحسن بشيء مما جعل له، قتل حجراً وأصحابه، وباع لابنه ولم يجعلها
شورى، وسمّ الحسن^(٥).

٦- كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أي يسقيه سماً^(٦).

٧- وذكر أنّ امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم،
وقد كان معاوية دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك

(١) الدرر المكنونة في الإمامة والإمامة وصفاته الجامعة: ص / ٩٣.

(٢) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة: ج / ١، ص / ٣٧٤.

(٣) مقاتل الطالبيين: ص / ٥٠.

(٤) ربيع الأبرار: ج / ٥، ص / ٢٠٨، الباب / ٨١.

(٥) أنساب الأشراف: ج / ٣، ص / ٤٧ - ٤٨.

(٦) سير أعلام النبلاء: ج / ٣، ص / ٢٧٤، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من القسم غير

المطبوع من كتاب الطبقات، لابن سعد: ص / ٨٣.

بمائة ألف درهم، وزوجتك من يزيد، فكان ذلك الذي بعثها على سمّه، فلما مات وفي لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لو فينا لك بتزويجه^(١).

٨- سقته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السّم، وذلك بعد أن بذل لها معاوية على سمّه مائة ألف درهم^(٢).

٩- قال الإمام ابن الجوزي في تاريخه المنتظم: والصّحيح إنّ الذي سمّه هي جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت تحت الحسن، فُدس إليها معاوية أن سمي الحسن وأزوجك بيزيد^(٣).

١٠- قال الشعبي: إنّما دسّ إليها معاوية فقال: سمي الحسن وأزوجك يزيد، وأعطيك مائة ألف درهم، فلما مات الحسن بعثت إلى معاوية تطلب إنجاز الوعد، فبعث إليها بالمال، وقال: إنّني أحبّ يزيد وأرجو حياته، لولا ذلك لزوجتك إياه^(٤).

١١- قال أبو الحسن المدائني: وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين، وكان مرضه أربعين يوماً، وكانت سنه سبعمائة وأربعين سنة، دسّ إليه معاوية سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن، وقال لها: إن قتلته بالسّم فلك مائة ألف، وأزوجك يزيد ابني، فلما مات وفي لها بالمال، ولم يزوجه من يزيد، قال: أخشى أن تصنع بابني كما صنعت بابن رسول الله^(٥).

(١) مروج الذهب: ج / ٣، ص / ٥.

(٢) الفصول المهمة: ص / ١٦٤.

(٣) جواهر المطالب للباعوني الشافعي: ج / ٢، ص / ٢٠٩.

(٤) تذكرة الخواص: ص / ٢١١.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج / ١٦، ص / ١١.

١٢- قال الطبري: وكان سبب وفاته أن معاوية سمّه سبعين مرّة، فلم يعمل فيه السّم! فأرسل إلى امرأته جعدة بنت محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي^(١)، وبذل لها عشرين ألف دينار وإقطاع عشر ضياع من شعب سواد وسواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجها يزيد ابنه، فسقت الحسن السّم في برادة من الذهب في السويق المقنّد، فلما استحکم فيه السّم فاء كبده^(٢).

١٣- قال ابن شهر آشوب: إن الحسن عليه السلام قال: سقيت السّم مرّتين، وهذه الثالثة، وقيل أنّه سقي برادة الذهب^(٣).

١٤- عن عمير بن إسحاق قال: كنا عند الحسن بن علي فدخل المخرج، ثم خرج فقال: لقد سقيت السّم مراراً وما سقيته مثل هذه المرّة، ولقد لفظت طائفة من كبدي، فرأيتني أقلبها بعودٍ معي، فقال له الحسين: أي أخي من سقاك؟ قال: وما تريد إليه؟ أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال: فإن كان الذي أظن فالله أشد نقمة، ولئن كان غيره فما أحبّ أن يقتل بي برئ^(٤).

١٥- قال الزمخشري: جعل معاوية لجعدة بنت الأشعث امرأة الحسن مائة ألف حتّى سمّته، ومكث شهرين، وإنه ليرفع من تحته كذا

(١) الأصح: جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، وأن محمداً أخوها.

(٢) دلائل الإمامة: ص / ٦١.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٤٢.

(٤) الاستيعاب، المطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة: ج / ١، ص / ٣٧٤، وباختلاف يسير في أسد الغابة: ٢ / ١٥، روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١ / ١٦٧، ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٤٢، ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: ٢ / ٢٠٠، أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء: ٢ / ٢٨، سير أعلام النبلاء: ٣ / ٢٧٢، الخوارزمي في مقتل الحسين: ١ / ١٣٦، الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٣٢١.

طستاً من دم، وكان يقول: سقيت السُّم مراراً، ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرّة، لقد لفظت كبدي فجعلتُ أقلبها بعود كان في يدي^(١).

١٦ - عن الواقدي: أنّه كان سقي ثمّ أفلت، ثمّ سقي فأفلت، ثمّ كانت الآخرة، وحضرته الوفاة، فقال الطّبيب: هذا رجل قد قطع السُّم أمعاءه، وقد سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سُماً^(٢).

١٧ - عن قتادة، قال: قال الحسن للحسين: إني قد سقيت السُّم غير مرّة، وأني لم أسق مثل هذه، إني لأضع كبدي، قال: فقال: من فعل ذلك بك؟ قال: لِمَ؟ لتقتله؟ ما كنت لأخبرك^(٣).

١٨ - عن أمّ بكر بنت المسور، قالت: كان الحسن بن علي سقي مراراً، كلّ ذلك يفلت منه حتّى كان المرّة الآخرة التي مات فيها، فإنّه كان يختلف كبده، فلما مات أقام نساء بني هاشم عليه النوح شهراً^(٤).

١٩ - عن أمّ موسى: إنّ جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السُّم، فاشتكى منه شكاة، قال: فكان يوضع تحت طست وترفع أخرى نحواً من أربعين يوماً^(٥).

٢٠ - عن سالم بن أبي الجعد قال: حدثني رجل منّا، قال: أتيت الحسن بن علي عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله، أذلت رقابنا، وجعلتنا معشر

(١) ربيع الأبرار: ج / ٥، ص / ٢٠٨، الباب / ٨١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج / ٣، ص / ٢٧٤.

(٣) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن، تاريخ دمشق: ص / ٢٠٩ - ٢١٠.

(٤) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق: ص / ٢٠٩.

(٥) تهذيب التهذيب: ج / ٢، ص / ٣٠٠.

الشَّيعة عبيداً ما بقي معك رجل، قال: وممّ ذلك؟ قال: قلت: بتسليمك الأمر لهذا الطّاغية، قال: والله ما سلمت الأمر إليه إلا أنّي لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتّى يحكم الله بيني وبينه، ولكنني عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي منهم من كان فاسداً، إنهم لا وفاء لهم ولا ذمّة في قول ولا فعل، إنهم لمختلفون ويقولون لنا: إنّ قلوبهم معنا وسيوفهم لمشهورة علينا.

قال: وهو يكلمني إذ تنزع الدّم^(١)، فدعا بطست فحمل من بين يديه مليء مما خرج من جوفه من الدّم، فقلت له: ما هذا يا بن رسول الله؟ إنّي لأراك وجعاً؟! قال: أجل، دسّ إليّ هذا الطّاغية من سقاني سمّاً، فقد وقع على كبدي، وهو يخرج قطعاً كما ترى، قلت: أفلا تتداوى؟ قال قد سقاني مرّتين وهذه الثالثة لا أجد لها دواء، ولقد رقى إليّ أنّه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجّه إليه من السّم القتال شربة، فكتب إليه ملك الروم: أنّه لا يصلح لنا في ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا.

فكتب إليه: إنّ هذا ابن الرّجل الذي خرج بأرض تهامة، وقد خرج يطلب ملك أبيه، وأنا أريد أن أدسّ إليه من يسقيه ذلك، فأريح العباد والبلاد منه، ووجّه إليه بهدايا وألطف، فوجّه إليه ملك الروم بهذه الشّربة التي دسّ فيها فسقيتها، واشترط عليه في ذلك شروطاً^(٢).

٢١- عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام: إنّ الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: إنّي أموت بالسّم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: ومن يفعل ذلك؟

(١) تنزع: رمى نخاعته، وهي ما يخرج من صدر الإنسان أو خيشومه.

(٢) الاحتجاج: ج/ ٢، ص/ ٢٩١-٢٩٢.

قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك.

قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها من نفسك.

قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها، وكان لها عذر عند الناس.

فما ذهبت الأيام حتى بعث إليها معاوية مالا جسيماً، وجعل يُمنّيها بأن يعطيها مائة ألف درهم، ويزوجهها من يزيد، وحمل إليها شربة سمّ لتسقيها الحسن، فانصرف إلى منزله وهو صائم، فأخرجت له وقت الإفطار - وكان يوماً حاراً - شربة لبن وقد ألفت فيها ذلك السم، فشربها وقال: يا عدوة الله، قتلتيني، قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلفاً^(١)، ولقد غرّك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه، فمكث عنه يومين ثم مضى.

فغدر معاوية بها، ولم يف لها بما عاهد عليه^(٢).

٢٢ - قال ابن عبد البر: فلما مات ورد البريد بموته على معاوية فقال: يا عجباً من الحسن! شرب شربة من عسل بماء رومة^(٣)، ففضى نحبه^(٤).

٢٣ - قال البلاذري: ويقال: إنه سُم أربع دفعات، فمات في آخرهن وأتاه الحسين وهو مريض، فقال له: أخبرني من سقاك السم؟ قال: لتقتله؟ قال: نعم، قال: ما أنا بمخبرك، إن كان صاحبي الذي أظن فالله أشد له

(١) في إثبات الهداة: «لا تبصرين خيراً»، الجلد / ٥، ص / ١٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح: ج / ٤، ص / ٢٤١ - ٢٤٢.

(٣) رومة: مدينة في إيطاليا، والنسبة إليها روماني.

(٤) الاستيعاب، المطبوع بهامش الإصابة: ج / ١، ص / ٣٧٤.

نقمة، وإلا فوالله لا يُقتل بي بري^(١).

٢٤- قال الدّميري: وكان الحسن عليه السلام قد سُمَّ، سمّته امرأته مقدمة بنت الأشعث، فمكث شهرين، يرفع من تحته في اليوم كذا وكذا مرّة طست من دم.

وكان عليه السلام يقول: سقيت السُّمَّ مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرّة^(٢).

٢٥- قال الكنجي الشافعي: سقي عليه السلام سُمّاً، فبقي مريضاً أربعين يوماً^(٣).

٢٦- قال ابن حجر الهيثمي الشافعي: وفي رواية، إنّي سقيت السُّمَّ ثلاث مرّات، لم أسقّه مثل هذه المرّة، فقال: من سقاك؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ تريدان تقاتلهم؟ أكَل أمرهم إلى الله^(٤).

٢٧- قال محمّد بن عقيل: يقول معاوية في بعض خطبه: «إنّ لله جنوداً من غسل» ولقد صدق، فإنّه قبل أن يقتل الحسن بن علي بالعسل قد قتل به مالك الأشتر^(٥).

٢٨- قال محمّد رضا الإمامي الخاتون آبادي: إنّ معاوية أرسل إلى جعدة مقداراً من الماس فوضعت في رطب وأطعمته للحسن عليه السلام وكان ذلك مرّتين وكلما كان يذهب إلى مرقد جدّه ويدعو فيتعافى، ولكنها في المرّة

(١) أنساب الأشراف: ج / ٣، ص / ٥٥.

(٢) حياة الحيوان: ج / ١، ص / ٨٤.

(٣) كفاية الطّالب: ص / ٤١٥.

(٤) الصّواعق المحرقة: ص / ١٢٩.

(٥) النّصائح الكافية: ص / ٨١.

الثالثة وضعت في جرة الماء، ووضعتها إلى جانب فراشه، فلما أفاق في الليل شرب من ذلك الماء، فأثر فوراً في جسمه المبارك، وظهرت آثار السم عليه، وظل يعاني من ذلك السم أربعون يوماً ويقذف أحشائه قطعة قطعة وتحول وجهه المبارك إلى اللون الأخضر حتى فارق الحياة بعد أربعين يوماً^(١).

٢٩- قال ابن منظور: وعلى ذلك فيكون المراد من الرواية أنه ألقى من جوفه قطعاً من الدم المتخثر تشبه الكبد، وبهذا ظهر عدم التنافي بين الرواية وبين ما ذكره الأطباء فيما نحسب، والله العالم^(٢).

وهناك أقوالاً غريبة في قضية شهادته عليه السلام نقلها البعض لا بأس بالتطرق إليها وذكرها:

٣٠- قال المستشرق دوايت م. رونلدسون، الأستاذ في اللاهوت والفلسفة: «أنه مات بالسّئل عندما بلغ من العمر خمساً وأربعين سنة»^(٣).

وقد علق العلامة المحقق الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله على هذا الكلام بقوله: وهذا القول: من الغرابة بمكان، ولم يذهب إليه أحد من المؤرخين، فقد أجمعوا أنه مات مسموماً، ولم يصب بداء السّئل، وقد كتب هذا المستشرق جميع بحوثه على هذا الطّراز في الخلوّ عن التّحقيق، وفي الاعتماد على الافتراء والكذب^(٤).

٣١- قال حسين واعظ: إنّ الإمام الحسن قد ترك المدينة إلى الموصل في العراق بقصد الاستشفاء لأنه شعر بتأخر في صحته من بعد

(١) جنات الخلود: ص / ٢١.

(٢) لسان العرب: ج / ٤، ص / ٣٧٨.

(٣) عقيدة الشيعة: ص / ٩٠.

(٤) حياة الإمام الحسن: ج / ٢، ص / ٢٢٧، مؤسسة التاريخ العربي سنة ١٤٢٧ هـ.

حوادث التسميم، إلا أنّ شخصاً فقيراً أعمى قد جاء يطلب منه أن يتصدق عليه وكان عليه السلام جالساً على الأرض فرمى الأعمى عصاه على رجل الحسن ثم ضغطها على رجله، وكانت عصاه مسمومة إلا أنه عولج على أيدي الأطباء هناك فبرئ من ذلك^(١).

٣٢- ذكر المؤرخ الشهير أحمد بن سهل البلخي الشهير بالمقدسي: إنّ الإمام كان يطوف في البيت الحرام فطعنه شخص بظهر قدمه بزج^(٢) مسموم فتوفي على أثر ذلك^(٣).

٣٣- ذكر الدكتور حسن إبراهيم، إنّ بعض المؤرخين ذهب إلى أنّ الإمام مات حتف أنفه بعد رجوعه من العراق إلى يثرب بأربعين يوماً^(٤).

٣٤- قال الأستاذ محمد أسعد طلس: وغادر الحسن - بعد الصلح - إلى المدينة، ولم يلبث أكثر من شهرين حتى مات^(٥).

أقوال المؤرخين في فرح زعيم الأمويين باستشهاد الحسن عليه السلام:

١- قال ابن قتيبة الدّينوري: لما كانت سنة إحدى وخمسين، مرض الحسن ابن علي مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن، فكتب إليه معاوية: إن استطعت ألا يمضي يوم يمرّ بي إلا يأتيني فيه خبره فافعل، فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي، فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً، حتى سجد وسجد من كان معه،

(١) روضة الشهداء: ص / ١٧٠.

(٢) الزّج: الحديدة في أسفل الرّمح.

(٣) البدء والتّاريخ: ج / ٦، ص / ٥.

(٤) تاريخ الإسلام السّياسي: ج / ١، ص / ٣٩٨.

(٥) تاريخ الأمتة العربية: ص / ٩، و ص / ١٦.

فبلغ ذلك عبد الله بن عباس، وكان بالشام يومئذٍ، فدخل على معاوية، فلما جلس، قال معاوية: يا بن عباس، هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: نعم، هلك، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سدَّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول الله ﷺ، فجبر الله مُصيبتَه، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة، ثم شهق ابن عباس وبكى، وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم، فقال معاوية: بلغني أنه ترك بنين صغاراً؟ فقال ابن عباس: كلنا كان صغيراً فكبير.

قال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده، قال فسكت معاوية يسيراً، ثم قال: يا بن العباس: أصبحت سيّد قومك من بعده، فقال ابن عباس: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا، قال معاوية: لله أبوك يا بن عباس، ما استنبأتك إلا وجدتك معداً^(٢).

٢- قال محمد بن واضح اليعقوبي: وتوفي الحسن بن علي وابن عباس عند معاوية، فدخل عليه لما أتاه نعي الحسن، فقال له: يا بن عباس، إن حسناً مات، قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ على عظم الخطب وجليل المصاب، أما والله يا معاوية، لئن كان الحسن مات فما يُنسى موته في أجلك، ولا يسدُّ جسمه حفرتك، ولقد مضى إلى خير، وبقيت علي شر، قال: لا أحسبه قد خلف إلا صبياً صغاراً، قال: كلنا كان صغيراً فكبير، قال:

(١) البقرة/ ١٥٦.

(٢) الإمامة والسياسة: ج/ ١، ص/ ١٧٤-١٧٥.

بخ بنخ يا بن عباس، أصبحت سيد قومك، قال: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين بن رسول الله ﷺ فلا^(١).

٣- عن الفضل بن عباس بن ربيعة، قال: وفد عبد الله بن العباس على معاوية، قال: فوالله إني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء، فكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوذة لها، فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن بن علي، فقالت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ثم بكّت وقالت: مات سيد المسلمين، وابن بنت رسول الله ﷺ، فقال معاوية: نعمًا والله ما فعلت، إنّه كان كذلك أهلاً أن تبكي عليه.

ثم بلغ الخبر ابن عباس فراح فدخل على معاوية، قال: علمت يا بن عباس، إن الحسن توفي، قال: أَلذَلِكَ كَبَّرْتِ؟ قال: نعم، قال: [أما] والله ما موته بالذي يؤخر أجلك، ولا حفرت به سادة حفرتك، ولئن أصبنا به^(٢) [قبله] بسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، ثم بعده بسيد الأوصياء، فجزر الله تلك المصيبة، ورفع تلك العثرة، فقال: ويحك يا بن عباس، ما كلمتك [قط] إلا وجدتك مُعداً^(٣).

٤- قال الزمخشري: لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي ﷺ، سجد معاوية وسجد من حوله شكراً، فدخل عليه ابن عباس، فقال له: يا بن

(١) تاريخ اليعقوبي: ج / ٢، ص / ٢١٤.

(٢) والصواب هو: ولئن أصبنا به لقد أصبنا...

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج / ٣، ص / ٧-٨.

عبّاس، أمات أبو محمّد؟ قال: نعم، وبلغني سجودك، والله يا بسن أكلة الكبود، لا يسدّن جسدك إياه حفرتك، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك^(١).

٥- قال ابن عبد ربّه الأندلسي: لما بلغ معاوية موت الحسن بن علي خرّ ساجداً لله، ثم أرسل إلى ابن عبّاس وكان معه في الشّام، فعزّاه وهو مستبشر، وقال له: ابن كم سنة مات أبو محمّد؟ فقال له: سنّه كان يسمع في قريش، فالعجب من أن يجهله مثلك؟ قال: بلغني أنّه ترك أطفالاً صغاراً؟ قال: كلّ ما كان صغيراً يكبر، وإنّ طفلاً لكهل، وإنّ صغيرنا لكبير، ثمّ قال: ما لي أراك يا معاوية مستبشراً بموت الحسن بن علي؟ فوالله لا يُنسأ في أجلك، ولا يسد حفرتك، وما أقل بقاءنا بعده^(٢).

٦- وروى الخوارزمي، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: لما جاء معاوية نعي الحسن بن علي، استأذن ابن عبّاس على معاوية، وكان ابن عبّاس قد ذهب بصره، وكان يقول لقائده: إذا دخلت بي على معاوية فلا تقدني فإنّ معاوية يشمت بي، فلما جلس ابن عبّاس، قال معاوية: لأخبرنّه بما هو أشد عليه من أن أشمت به، ثمّ قال له: يا بن عبّاس، هلك الحسن بن علي، فقال ابن عبّاس: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وعرف ابن عبّاس أنّه شامت به، فقال: أمّ والله يا معاوية، لا يسدّ حفرتك، ولا تخلد، ولقد أصبنا بأعظم منه، فجبّرنا الله بعده، ثمّ قام، قال معاوية: لا والله ما كلمت أحداً قط أعد جواباً ولا أعقل من ابن عبّاس، فقال الفضل بن عبّاس - يذكر ذلك ويرثي الحسن عليه السلام :

(١) ربيع الأبرار: ج / ٥، ص / ١٨٦ - ١٨٧، الباب / ٨١.

(٢) العقد الفريد: ج / ٥، ص / ١١٠.

أصبح اليوم ابن هند شامتاً
 رحمة الله عليه إنما
 استراح اليوم منه بعده
 فارتح اليوم ابن هند آمناً
 لست بالباقي فلا تشمت به
 يا بن هند إن تذق كأس الردى
 ظاهر النخوة إذ مات الحسن
 طالما أشجى ابن هند وأرن^(١)
 إذ ثوى رهناً لأحداث الزمن
 إنما يقمص بالعر السمن^(٢)
 كل حي بالمنيا مُرتَهَن
 تك في الدهر كشيء لم يكن^(٣)

٧- قال أبي حنيفة الدينوري: وانتهى خبر وفاة الحسن إلى معاوية - كتب به إليه عامله على المدينة مروان - فأرسل إلى ابن عباس، وكان عنده بالشام، قدم عليه وافداً، فدخل عليه، فعزاه وأظهر الشماتة بموته، فقال له ابن عباس: لا تشمتن بموته، فوالله لا تلبث بعده إلا قليلاً^(٤).

٨- قال الزمخشري: ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته، كتب إليه أن أقل المطي^(٥) إليّ بخبر الحسن، ولما مات وبلغه موته سُمع تكبير من الخضراء، فكبر أهل الشام لذلك التكبير، وقالت فاخته بنت قرظ لمعاوية: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين، ما الذي كبرت له؟ قال: مات الحسن، قالت: أعلى موت ابن فاطمة تكبر؟! قال: والله ما كبرت شماتة لموته، ولكن استراح قلبي، وصفت لي الخلافة^(٦).

(١) أشجى الرجل: أحزنه، أطريه «ضد»، أرن البعير: نشط.

(٢) قمصت الناقة بالرديف: مضت به نشيطة.

(٣) مقتل الحسين: ج / ١، ص / ١٤١ - ١٤٢.

(٤) الأخبار الطوال: ص / ٢٢٢.

(٥) قل الشيء: حملته، أي: أكثر الخبر بحمل المطي وإرسالها إليّ.

(٦) ربيع الأبرار: ج / ٥، ص / ٢٠٩، الباب / ٨١.

ودنت ساعة الرحيل



إن اغتيال الإمام السَّبِّط
ليس ناجماً عن مآرب
ومصالح شخصية، أو ناجماً

عن خلافات عشائرية أو قبلية، بل هو تأمر سافر على مستقبل الرسالة الإسلامية، فهي ليست قتل لشخص فحسب، بل هي قتل للمفاهيم والقيم التي أراد الإمام السَّبِّط عليه السلام لها أن تكون الحاكمة على الدولة والمجتمع الإسلامي^(١).

بعد كل تلك المحن التي عانى منها الإمام السَّبِّط عليه السلام في العراق، عاش صلوات الله عليه قرابة العقد من الزمن في المدينة المنورة استطاع أن يبني قاعدة جماهيرية صلبة عبر الثورة في جذور المجتمع المدني، ومن خلال تربية الكوادر ونشر الثقافة الرسالية وبث الوعي الديني والسياسي في أوساط المجتمع، وهكذا التصدي لكافة محاولات التحريف والتضليل الجاهلي، وكان صلوات الله وسلامه عليه يعيش بين أظهر المسلمين، يمثل الكهف الحصين ومعدن الأمن، وملجأ الهاربين والمحتاجين، ومصدر غوث اللاجئين، قبال البطش الأموي^(٢).

(١) الإمام الحسن السَّبِّط سيرة وتاريخ: ص / ١٠٥، مركز الرسالة، قم المقدسة ١٤٣٠هـ.
(٢) الإمام الحسن القائد والتاريخ: ص / ٢٤٥، فؤاد الأحمد: ط / بيروت دار البيان العربي.

ولقد كانت مأساة الإمام السّبط عليه السلام بطولية، عظيمة عظمة صاحبها، بطولة في أعظم الأمور وفي أبسطها، فكيف تنكر الدّنيا بكلّ ما لديها لإنسان، فيبقى صامداً صابراً متمسكاً بشرع الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، لا يحميد عنهما أبداً، وليس هذا غريباً عنه صلوات الله عليه، وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنه، وإنه كدح لملاقة الله، والبلاء يتناسب مع العزم^(١).

ومهما كان فقد زاره في أيامه الأخيرة جنادة ابن أبي أمية فقال: دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه، وبين يديه طست يقذف عليه الدّم، ويخرج كبده قطعة قطعة من السّم، الذي أسقاه معاوية لعنه الله، فقلت: يا مولاي مالك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بما أعالج الموت؟! قلت: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ثمّ التفت إليّ فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة، ما منا إلا مسموم أو مقتول، ثمّ دفع الطّست وبكى صلوات الله عليه.

قال: فقلت له: عظني يا بن رسول الله، قال: نعم، «استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدّنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشّبهات عتاب، فانزل الدّنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيه، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت فيه كما أخذت من الميتة، وإن

(١) السّيد محمّد الموسوي، السّياسة الملتزمة في نهج الإمام الحسن: ص / ١٩٩.

كان عتاب فالعتاب يسير، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت عنك ثلثة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكّت عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك، اصحب من لا يأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً أترك^(١).

وروى أبي حنيفة الدينوري، قال: ثم إن الحسن عليه السلام اشتكى بالمدينة، فثقل، فكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة له، فأرسل إليه، فوافى فدخل عليه، فجلس عن يساره، والحسين عن يمينه، ففتح الحسن عليه السلام عينه فرآه، فقال للحسين عليه السلام: يا أخي، أوصيك بمحمد أخيك خيراً، فإنه جلدة ما بين العينين، ثم قال: يا محمد، وأنا أوصيك بالحسين، كانفه ووازره، ثم قال عليه السلام: ادفنوني مع جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فإن منعتم، فالبقيع، ثم توفي، فمنع مروان أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله، فدفن بالبقيع^(٢).

وروى سبط ابن الجوزي بسنده عن روبة بن مصقلة قال: لما نزل بالحسن عليه السلام الموت قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأخرجوه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إني احتسب عندك نفسي، فإنها أعزّ

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ج / ٤٤، ص / ١٢٨.

(٢) الأخبار الطوال: ص / ٢٢١.

الأنفس عليّ، لم أُصَبْ بمثلها، اللهم ارحم صرعتي، وآنس في القبر وحدثني»^(١).

وروى العلامة باكثر الحضرمي، قال: ولما حضرته الوفاة قد حصل له جزع، فقال له الحسين: «يا أخي لِمَ تجزع؟ إنك ترد على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهما أبواك، وعلى خديجة وفاطمة وهما أمّاك، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك، وعلى حمزة وجعفر وهما عمّاك».

فقال له الحسن: «يا أخي، ما جزعي إلا آتي أدخل في أمرٍ لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثلهم قط، فبكى الحسين عند ذلك»^(٢).

وروى العلامة المجلسي بسنده عن ابن عباس قال: دخل الحسين بن علي عليه السلام، على أخيه الحسن في مرضه الذي توفي فيه، فقال له: «كيف تجدك يا أخي؟» قال: «أجدني في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وأعلم أنّي لا أسبق أجلي، وآتي وارد على أبي وجدّي عليه السلام على كرهٍ مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأحبة، واستغفر الله من مقالتي هذه وأتوب إليه، بل على محبة مني للقاء رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأمّي فاطمة عليها السلام وحمزة وجعفر عليه السلام»^(٣).

وروى العلامة ابن شهر آشوب، وحكى أنّ الحسن عليه السلام لما أشرف على الموت قال له الحسين عليه السلام: «أريد أن أعلم حالك يا أخي» فقال له

(١) تذكرة الخواص: ص / ٢١٢.

(٢) وسيلة المال: ص / ١٧٥.

(٣) مرآة العقول: ج / ٥، ص / ٢٥٢ - ٢٥٤.

الحسن: «سمعت النبي ﷺ: لا يفارق العقل منّا أهل البيت ما دام الرّوح فينا، فضع يدك في يدي حتّى عاينت ملك الموت أغمز يدك».

فوضع يده في يده، فلما كان بعد ساعة غمز يده غمزاً خفيفاً، فقرب الحسين أذنه إلى فمه، فقال: «قال لي ملك الموت: أبشر، فإنّ الله عنك راض، وجدّك شافع»^(١).

روى ابن حسنويه الحنفي الموصلي، قال: وروي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، دخل يوماً على الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال: «ما يبكيك يا أبا عبد الله؟»، قال: «أبكي مما يصنع بك»، فقال له الحسن عليه السلام: «إنّ الذي يؤتى إليّ سُمُّ يُدس إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنّهم من أمة جدنا محمّد رسول الله ﷺ، وينتحلون الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمائك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاج ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء، حتّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار»^(٢).

روى ابن عساكر الدمشقي، بسنده عن عاصم بن هاشم، عن جهم بن أبي جهم، قال: لما مات الحسن بن علي بعثت بنو هاشم إلى العوالي صائحاً يصيح في كلّ قرية من قرى الأنصار بموت حسن، فنزل أهل العوالي ولم يتخلف أحد عنه.

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٤٣ - ٤٤.

(٢) در بحر المناقب: ص / ١٢٢.

وفيه أيضاً: أخبرنا أبو الحسين بن القراء، وأبو غالب وأبو عبد الله، -أبناء البناء-، قالوا: أنبأنا أبو جعفر، أنبأنا أبو طاهر، أنبأنا أحمد بن سليمان، أنبأنا الزبير، قال: وحدثني أبو الحسن المدائني، حدثنا أبو اليقظان، قال: قدم البصرة بوفاة الحسن بن علي عبد الله بن سلمة بن سنان أبو المحبق الهذلي..

فنعاه زياد لجلسائه، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي، فنعاه للناس، فبكوا، فسمع أبو بكر البكاء، فقال لميسة بنت شحام - امرأته - وهو مريض، ما هذا؟ قالت: نعي الحسن بن علي فاستراح الناس من شر كثير، قال: ويحك، بل أراحه الله من شر كثير، وفقد الناس خيراً كثيراً^(١).

وروى ابن كثير الدمشقي، عن مساور مولى بني سعد بن بكر، قال: رأيت أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن بن علي عليه السلام وهو ينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس، مات اليوم حبُّ رسول الله ﷺ فابكوه^(٢).

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج / ١٣، ص / ٢٩٧.

(٢) البداية والنهاية: ج / ٨، ص / ٤٦.

وصايا خالدة



قال المحدث الشيخ عباس
القمي قدس سره في وصية
الإمام الحسن عليه السلام: «...اكتب يا

أخي»: «هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي: أوصى أنه
يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه يعبده حق عبادته لا شريك له في
الملك ولا ولي له من الدّل وأنه خلق كلّ شيءٍ فقدره تقديراً وأنه أوّل من عبّد
وأحقّ من حمّد، من أطاعه رشّد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى.

فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أن
تصفح عن مسيئهم وتقبل محسنهم، وتكون لهم خلفاً والداً وأن تدفني مع
رسول الله صلى الله عليه وآله فإنني أحق به وبيته ممن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب
جاءهم من بعده.

قال الله تعالى فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(١).

فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم
الإذن في ذلك من بعد وفاته ونحن مآذون لنا في التصرف فيما ورثناه من

بعده، فإن أبت عليك المرأة، فأنشدك الله بالقرابة التي قرب الله عز وجل منك والرحم الماسة من رسول الله ﷺ أن تهريق في محجمة من دم حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده واحملوا جنازتي وادفونني هناك جنب أمي فاطمة عليها السلام، ثم قبض عليه بعد إتمام وصاياه وذهب إلى رضوان الله ونعيمه»^(١).

وصية ثانية:

روى العلامة الشيخ محمد مهدي المازندراني، وصية الإمام السبط عليه السلام لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، فقال: «أوصيك يا أخي بأهلي وولدي خيراً، واتبع ما أوصى به جدك وأبوك وأمك عليهم أفضل الصلاة والسلام.

يا أخاه: لا تحزن عليّ فإن مصابك أعظم من مصيبي ورزؤك أعظم من رزئي، فإنك تقتل - يا أبا عبد الله الحسين - بشط الفرات بأرض كربلاء عطشاناً لهيفاً وحيداً فريداً مذبحاً يعلو صدرك أشقى الأمة، ويحمم فرسك ويقول في تحممه: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها، وتسبي حريمك، ويؤتم أطفالك، ويسيروا حريمك على الأقتاب بغير وطاء ولا فراش، ويحمل رأسك يا أخي على رأس القنا بعد أن تقتل ويقتل أنصارك فيا ليتني كنت عندك أذب عنك كما يذب عنك أنصارك بقتل الأعداء، ولكن هذا الأمر يكون وأنت وحيد لا ناصر لك منا، ولكن لكل أجل كتاب: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢) فعليك يا أخي: بالصبر على البلاء حتى تلحق بنا، ثم التفت إلى الحاضرين فقال:

(١) بحار الأنوار: ج / ٤٤، ص / ١٥١ - ١٥٢.

(٢) الرعد / ١٣.

أيها الحاضرون اسمعوا وانصتوا ما أقول لكم الآن: هذا الحسين أخي إمام بعدي فلا إمام غيره، ألا فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد والحر والعبد والذكر والأنثى، وهو خليفتي عليكم، لا أحد يخالفه منكم، فمن خالفه كفر وأدخله الله النار وبئس القرار، ونحن ريحانتا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة، فلعن الله من يتقدم أو يقدم علينا أحداً، فيعذبه الله عذاباً أليماً، وإنني ناصّ كما نصّ رسول الله ﷺ على أمير المؤمنين ﷺ، وكما نصّ أبي عليّ، وهو الخليفة بعدي من الله ورسوله، حفظكم الله، استودعكم الله، الله خليفتي عليكم وكفى به خليفة، وإنني منصرف عنكم ولا حق بجدي وأبي وأمّي وأعمامي، ثم قال: عليكم السّلام يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته»^(١).

وصيته الخاصة لولده القاسم ﷺ:

«يا ولدي قاسم، أوصيك أنك إذا رأيت عمك الحسين ﷺ في كربلاء وقد أحاطت به الأعداء، فلا تترك البراز والجهاد لأعداء الله وأعداء رسول الله، ولا تبخل عليه بروحك، وكلما نهاك عن البراز عاوده ليأذن لك في البراز، لتحظى بالسّعادة الأبدية»^(٢).

وصيته ﷺ إلى الحسن البصري:

وقد كان قد كتب له الحسن البصري كتاباً فأجابه ﷺ بهذه الوصية:
 أمّا بعد: «فإنّا أهل بيت كما ذكرت عند الله وعند أوليائه فإمّا عندك وعند أصحابك فلو كنا كما ذكرت ما تقدمتمونا ولا استبدلتم بنا غيرنا، ولعمري لقد

(١) معالي السبطين: ص / ٤٨ - ٤٩، «بتصرف».

(٢) محمّد مهدي المازندراني الحائري، معالي السبطين: ص / ٤٢٠، مؤسسة البلاغ

ضرب الله مثلكم في كتابه حيث يقول: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(١)، هذا لأوليائك فيما سألوا ولكم فيما استبدلتم، ولولا ما أفرد من الاحتجاج عليك وعلى أصحابك ما كتبت إليك بشيء مما نحن عليه، ولئن وصل كتابي إليك لتجدن الحجة عليك وعلى أصحابك مؤكدة حيث يقول الله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢)، فاتبع ما كتبت إليك في القدر فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر، إن الله عز وجل لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة ولا يهمل العباد من الملكة، ولكنه المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم، فإن اتتمروا بالطاعة لن يكونوا عنها صاداً مشبهاً وإن اتتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ما اتتمروا به فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها، ولا كلفهم إيها جبراً، بل تمنيتهم وأعداره إليهم طرقتهم ومكنتهم، فجعل لهم السبيل إلى أخذ ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، ووضع التكليف عن أهل التقصان والزمان، والسلام^(٣).

الإمام هو الوسيلة:

روى شيخ الطائفة الكليني قدس سره، بسنده عن المفضل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لما حضرت الحسن بن علي الوفاة قال: «يا قنبر، انظر هل ترى من وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد عليه السلام؟» فقال: الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم به مني.

(١) البقرة / ٢.

(٢) يونس / ١٠.

(٣) بحار الأنوار: ج / ١٠، ص / ١٣٧، الطبعة الحديثة المصنوعة.

قال: ادع لي محمد بن علي، فأتيته، فلما دخلت عليه قال: هل حدث إلا خيراً؟ قلت أجب أبا محمد، فمجل علي شسع نعله^(١) فلم يسوّه وخرج معي يعدو، فلما قام بين يديه سلم، فقال له الحسن بن علي عليه السلام: اجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام^(٢) يحيي به الأموات^(٣)، ويموت به الأحياء^(٤)، كونوا أوعية العلم ومصاييح الهدى، فإن ضوء النهار بعضه أضوأ من بعض^(٥)، أما علمت أن الله جعل ولد إبراهيم أئمة، وفضل بعضهم على بعض وآتى داوود زبوراً؟ وقد علمت بما استأثر به محمدًا عليه السلام، يا محمد بن علي، إني أخاف^(٦) عليك الحسد، وإنما وصف الله به الكافرين، فقال الله عز وجل: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(٧)، ولم يجعل الله عز وجل للشيطان عليك سلطاناً.

يا محمد بن علي: ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك عليه السلام يقول يوم البصرة: من أحب أن يئرنى في الدنيا والآخرة فليبر محمدًا ولدي! يا محمد بن علي: لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتكم! يا محمد بن علي: أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روعي جسمي إمام من بعدي وعند الله جل

(١) أي: صار تعجيله مانعاً من عقد شسع نعله.

(٢) «كلام» أي الوصية والنص على الخليفة.

(٣) أي: سبب لحياة الأموات بالجهل والضلالة.

(٤) إن لم يقبلوه، وموتهم بكفرهم وجهلهم وضلالتهم.

(٥) هذا رفع ودفع لما استقر في نفوس الجهلة من أن المتشيعين عن أصل واحد في الفضل سواء.

(٦) في إعلام الوري: «لا أخاف» وهو أظهر وأنسب بحال المخاطب بل المخاطب أيضاً.

(٧) البقرة / ١٠٩.

اسمه في الكتاب، وراثه من النبي ﷺ أضافها الله عزّ وجلّ له في وراثه أبيه وأمه، فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمّداً ﷺ، واختار محمّداً عليّاً، واختارني عليّ بالإمامة، واخترت أنا الحسين، فقال له محمّد بن عليّ: أنت إمام وأنت وسيلتي إلى محمّد ﷺ، والله لو ددت أن نفسي ذهبت قبل أن اسمع منك هذا الكلام، ألا وإنّ في رأسي كلاماً^(١) لا تنزفه الدلاء، ولا تغيره نغمة الرياح^(٢)، كالكتاب المعجم^(٣)، في الرق المنمنم^(٤)، أهم بإبدائه فأجدني سُبقت إليه سَبَقَ الكتاب المنزل أو ما جاءت به الرسل، وآته لكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب^(٥) حتّى لا يجد قلماً، ويؤتوا بالقرطاس حُمماً^(٦) فلا يبلغ إلى فضلك، وكذلك يجزي الله المحسنين، ولا قوة إلا بالله.

الحسين أعلمنا علماً، وأثقلنا حلماً، وأقربنا من رسول الله ﷺ رحماً، كان فقيهاً قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله في أحد خيراً ما اصطفى محمّداً ﷺ، فلما اختار الله محمّداً ﷺ، واختار محمّداً

(١) تتوين «كلاماً» للتعظيم وهو عبارة عما يدل على فضل الحسنين (عليهما السلام) ومناقبيهما، وشبهه بالماء لكثرتة وغازرتة، والنزف: النّزح.

(٢) عبّر بالرياح عن الشبهات التي تخرج من أفواه المخالفين.

(٣) معجم «كمكرم»: مقفل.

(٤) الرّق - بالفتح ويكسر - جلد رقيق يكتب فيه، ونمنمه أي: زخرفه ورقشه، أي: الرّق المزين بولاء الأئمة وسائر المعارف.

(٥) والحاصل أنّه كلام من كثرته يكلّ به يد الكاتب لكثرة الحركة حتّى تنفى الأقلام فلا توجد لصرف كلّها في الكتابة وحتّى يؤتى أي الكاتب أو من يؤتى من جانب الكاتب بالقرطاس كلّها مسودة مملوءة بفضائلك.

(٦) جمع الحمة «الحمة» أي الفحمة يشبه بها الشيء الكثير السواد، «مرآة العقول:

عليّاً، واختارك عليّ إماماً، واخترت الحسين، سلّمنا ورضينا، من هو بغيره يرضى؟ ومن غيره كنا نسلم به من مشكلات أمرنا^(١)؟!

مظلوم حتى في تشييعه:

قال ابن عباس: فدعاني الحسين بن علي ﷺ وعبد الله بن جعفر وعلي بن عبد الله بن العباس فقال: اغسلوا ابن عمّكم فغسلناه وحنظناه وألبسناه أكفانه، ثم خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد، وإنّ الحسين أمر أن يفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان وقالوا: «يدفن أمير المؤمنين «عثمان» الشهيد القتل ظلماً بالبقيع بشر مكان ويدفن الحسن مع رسول الله؟ لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفد النبل».

فقال الحسين ﷺ: «أما والله الذي حرّم مكة، للحسن بن علي وابن فاطمة أحق برسول الله ﷺ وبيته ممّن أدخل بيته بغير أذنه، وهو والله أحقُّ به من حمّال الخطايا مسير أبي ذر رحمه الله، الفاعل بعمار ما فعل ويعبد الله ما صنع، الحامي الحمى، المؤوي لطريد رسول الله ﷺ لكنكم صرتم بعده الأمراء وتابعكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء»^(٢).

وفي رواية أخرى إنّ مروان بن الحكم ركب بغلة وأتى عائشة، فقال لها: يا أمّ المؤمنين إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه مع رسول الله فالحقي به وامنيه من أن يدفن معه، قالت: وكيف ألحقه؟ قال: اركبي بغلتي

(١) أصول الكافي: ج / ١، ص / ١٢٩ - ٢٤٠.

(٢) البحار: ج / ٤٤، ص / ١٥١.

هذه^(١)، فنزل عن بغلته وركبتها وكانت تؤزّ الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرضهم على منعه مما هم به^(٢).

قال ابن عباس: وكنت أول من انصرف، فسمعت اللغظ وخفت أن يعجل الحسين علي من قد أقبل ورأيت شخصاً علمت الشر فيه، فأقبلت مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغلٍ مُرَحَّلٍ تقدمهم وتأمهم بالقتال، فلما رأني قالت: إليّ إليّ يا ابن عباس، لقد اجترأت عليّ في الدنيا تؤذونني مرّة بعد أخرى، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب^(٣).

فقلت واسوأناه، يومٌ على بغل ويومٌ على جمل، تريدان أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله وتحولي بين رسول الله وبين حبيبه أن يدفن معه؟ ولنعم ما قال الصقر البصري:

ويوم الحسن الهادي علي بغلكِ أسرعِ

وبايعت ومانعت وخاصمت وقاتلتِ

وفي بيت رسول الله بالظلم تحكمتِ

هل الزوجة أولى بالمواريث من البنتِ

لكِ التُّسع من الثُّمن وبالكلِّ تصرّفتِ

تجمّلتِ تبغلتِ وإن عشتِ تفيلتِ^(٤)

(١) وهذه البغلة كانت للإمام الحسن عليه السلام فعشقها مروان ودبر لها حيلة لأخذها عن طريق شخص واستولى عليها وهي مذكرة في كتب السير.

(٢) البحار: ج / ٤٤، ص / ١٤١.

(٣) البحار: ج / ٤٤، ص / ١٥٢.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج / ٤٤، ص / ٤٥ - ٤٤.

فجاءت إلى قبر رسول الله ﷺ فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يدفن الحسن ها هنا أبداً أو تُجَزَّ هذه، وأومت بيدها إلى شعرها!
وفي رواية مضمونها أنه: رموا جثمان الإمام ﷺ بالسهم حتى أخرج من جنازته سبعون سهماً، فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين ﷺ: «الله الله لا تضيعوا وصية أخي فإنه أقسم عليّ إن أنا منعتُ من دفنه مع جدّه ﷺ أن أحاصِمَ فيه أحداً، ولولا وصيته لرأيتم كيف أدفنه في جنب النبي ﷺ ورغمتُ معطسكم، فعدلوا به إلى البقيع فدفنوه جنب جدّته فاطمة بنت أسد ﷺ»^(١).

فرية الجاني أبو الفرج الأصفهاني:

إنّ من مفتريات الجاني أبو الفرج الأصفهاني على التاريخ كما هو دأبه وديدنه في ترويح الأكاذيب والافتراءات على أهل بيت النبوة والإمامة ﷺ كما في ترجمة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين ﷺ في كتابه الأغاني، وكما في قصة مروان مع السيدة أمّ البنين ﷺ في جلوسها بالبقيع، وهو يريد بذلك أن يمدح بني قومه من آل أمية ليس أكثر من ذلك، وهنا جاء بقصة غريبة عن يوم دفن السبط الأكبر ﷺ حيث قال: لما مات الحسن بن علي، وأخرجوا جنازته حمل مروان سريره، فقال له الحسين: أتحمل سريره؟ أما والله لقد كنت تجرّعه الغيظ، فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال^(٢).

سبحان الله! ما هذا التجريّ والتجني على التاريخ؟ وهل تخفى حقائق الأمويين ودسائسهم وأفعالهم المنكرة الباطلة؟

(١) عبّاس القمي، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، ج / ١، ص / ٤٤٣ - ٤٤٥.

(٢) مقاتل الطالبين.

وما شأن عائشة بالبيت النبوي، هي واحدة من تسعة نساء، كيف استولت على الحجرة النبوية وهي إرث لفاطمة الزهراء عليها السلام؟! روى ابن عساكر الدمشقي، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: سمعت عائشة تقول يومئذ: هذا الأمر لا يكون أبداً! يدفن ببقيع الغرقد، ولا يكون لهم رابعاً! والله أنه لبيتي أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري، وما أثر عليّ عندنا بحسن! وأبان بن عثمان يقول: إن هذا لهو العجيب! يدفن ابن قاتل عثمان مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، ويدفن أمير المؤمنين الشهيد المظلوم ببقيع الغرقد^(١).

روى سبط ابن الجوزي: قال ابن سعد عن الواقدي: لما احتضر الحسن قال: ادفنوني عند أبي - يعني رسول الله ﷺ - فأراد الحسين أن يدفنه في حجرة رسول الله ﷺ، فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص - وكان والياً على المدينة - فمنعوه، وقامت بنو هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو مات ابن موسى أما كان يدفن مع أبيه؟ قال ابن سعد: ومنهم أيضاً عائشة وقالت: لا يدفن مع رسول الله ﷺ أحد^(٢)، وقال الحافظ الخوارزمي: فأوصى الحسن بن علي أن يدفن مع رسول الله ﷺ فمنع ذلك مروان بن الحكم وركبت مواليه بالسلاح، وجعل مروان يقول: «يا رَبِّ هَيْجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دِعَا»، أي دفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن في بيت النبي؟ والله لا يكون ذلك وأنا أحمل السيف. وكادت الفتنة أن تقع، وأبى الحسين إلا أن يدفنه مع النبي ﷺ^(٣)..

(١) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام: ص / ٢٢٤.

(٢) تذكرة الخواص: ص / ٢١٢.

(٣) مقتل الحسين: ج / ١، ص / ١٢٨.

مرافعة ضد عائشة:

لقد ظهر مما تقدم أن عائشة كثيراً ما ادعت: «أن البيت بيتي، لا يدفن فيه أحد»، وقالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ استأذن أزواجه أن يمرّض في بيتي فأذن له»^(١).

وهي بهذا الادعاء منعت الإمام المجتبي ﷺ أن يدفن في حجرة جدّه رسول الله ﷺ، - نعم - البيت بيتها لكن من حيث السكنى والقرار لا من حيث الملكية والتملك، والدليل على ذلك: عدم انتقال حجرات النساء وبيوتهنّ لورثتهن.

روى البخاري: عن عمرو بن ميمون قال: قال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أمّ البنين فقل: يقرأ عليك عمر السّلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنّي لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فمضى فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر السّلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، قالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنّ به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، فقال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي يحب أمير المؤمنين، أدنّت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع، فإذا أنا قضيت فاحملوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين^(٢).

ويرد العلامة الشّيخ عبد الحسين الأميني على هذا القول، بقوله: ليت الخليفة عرفنا ما وجه الاستيذان من عائشة؟ فهل ملكت هي حجرة رسول

(١) صحيح البخاري: ج / ٤ / ص / ٩٩، باب / ما جاء في بيوت أزواج النبي.

(٢) صحيح البخاري: ج / ٢ / ص / ١٦٣ و ج / ٥ / ص / ٢٦٦.

الله ﷻ بالإرث؟ فأين قوله ﷻ المزعوم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة؟» وبذلك زحزحوا عن الصديقة الطاهرة فداً، وبذلك منع أبو بكر عائشة وبقية أزواجه ﷻ لما جئن إليه يطلبن ثمنهن^(١).

وإن كان الخليفة عدل عن ذلك الرأي لما انكشف له من عدم صحة الرواية، فإنّ وريثة ابنة رسول الله كانوا أولى بالإذن، فإنها هي المالكة، وأما عائشة فلها التسع من الثمن، فإن رسول الله ﷻ توفي عن تسع، فكان الذي يلحق عائشة من الحجرة الشريفة التسع من الثمن، وما عسى أن يكون من ذلك لها إلا شبراً أو دون شبر، وذلك لا يسع دفن جثمان الخليفة، وهب أنه كان يضم إلى ذلك نصيب ابنته حفصة، فإن الجميع يقصر عن ذلك المضطجع، فالتصرف في تلك الحجرة الشريفة من دون رخصة من يملكها من العترة النبوية الطاهرة وأمّهات المؤمنين لا يلائم ميزان الشرع المقدس.

ربما يقرأ القارئ في المقام ما جاء به ابن بطال من قوله: «إنما استأذنها عمر، لأنّ الموضوع كان بيتها، وكان لها فيه حق»^(٢).

فيحسب هناك حقاً لأم المؤمنين يستدعي ذلك الاستيذان ويصححه، وأنّ هو إلا حق السكنى ومجرد إضافة البيت إلى عائشة، وهما لا يوجبان الملك، قال ابن حجر: «استدل به وباستيذان عمر لها على ذلك على أنها كانت تملك البيت، وفيه نظر، بل الواقع إنها كانت تملك منفعتها بالسكنى فيه والإسكان ولا يورث عنها، وحكم أزواج النبي كالمعتدات، لأنهن لا يتزوجن بعده ﷻ...»^(٣).

(١) انظر: السيرة الحلبية: ج / ٣، ص / ٣٩٠.

(٢) فتح الباري: ج / ٣، ص / ٢٠٠.

(٣) فتح الباري: ج / ٧، ص / ٥٣.

وقال: «ويؤيده - يعني عدم الملك - أنّ ورثتهن لم يرثن عنهنّ منازلهن، ولو كانت البيوت ملكاً لهن لانتقلت إلى ورثتهن، وفي ترك ورثتهن حقوقهم دلالة على ذلك، ولهذا زيدت بيوتهن في المسجد النبوي بعد موتهنّ لعموم نفعه للمسلمين، كما فعل فيما كان يصرف لهنّ من النفقات، والله أعلم»^(١).

وقال العيني: «في حديث عائشة [لما ثقل رسول الله استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي]: أسدت البيت إلى نفسها، ووجه ذلك أن سكنى أزواج النبي ﷺ في بيوت النبي من الخصائص، فلما استحققت النفقة لحبسهنّ استحققت السكنى ما بقين، فنبّه البخاري بسوق أحاديث هذا الباب وهي سبعة على أنّ بهذه النسبة تتحقق دوام استحقاق سكناهنّ للبيوت ما بقين..»^(٢).

وقال القسطلاني مثل ذلك، قال المصحح: ومن دأب القسطلاني الأخذ من كلام الغير من دون أن ينسب إلى القائل، وكان هذا هو السبب لأن يغض السيوطي منه ويزعم أنّه يأخذ من كتبه ويستمد منها ولا ينسب النقل إليها^(٣).

فالقارئ جدّ عليم عندئذٍ بأنّ أمّ المؤمنين لم يكن لها من حجرة رسول الله ﷺ إلا السكنى فيها كالمعتدّة، وليس لها قط أن تتصرف فيها بما يترتب على الملك، والخطب الفظيع عدّ الحفاظ هذا الاستيذان وهذا الدفن من مناقب الخليفة، ذاهلين عن قانون الإسلام العام في التصرف في

(١) فتح الباري: ج / ٦، ص / ١٦٠.

(٢) عمدة القاري: ج / ٧، ص / ١٣٢.

(٣) إرشاد السّاري: ج / ٥، ص / ١٩٠، وراجع: الكنى والألقاب: ج / ٣، ص / ٥٦.

أموال الناس، ولست أدري بأي حق أوصى الإمام الحسن السبط الزكي - صلوات الله عليه - أن يدفن في تلك الحجرة الشريفة؟ وهل منعه عائشة عن أن يدفن بها، أو أذنت له وما أطيعت؟ - ولا رأي لمن لا يطاع - فتسلح بنو أمية وقالوا: لا ندعه أن يدفن مع رسول الله ﷺ، وكادت أن تقع الفتنة، لم هذه كلها؟ أنا لا أدري^(١).

مناظرة فضال بن الحسن بن فضال الكوفي مع أبي حنيفة:

روى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان قدس سره: في كلام طويل جرى بين فضال الكوفي وبين أبو حنيفة النعمان، فقال له الفضال: .. قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(٢)، منسوخ أو غير منسوخ؟ قال: هذه الآية غير منسوخة، قال: ما تقول في خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ أبو بكر وعمر، أم علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: أما علمت أنهما ضجعا رسول الله في قبره؟ فأبي حجة تريد في فضلها أفضل من هذه؟ فقال له فضال: لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ لقد أساءا إذا رجعا في هبتهما، ونكثا عهدهما وقد أقررت أن قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ غير منسوخة.

فأطرق أبو حنيفة، ثم قال: لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة، فاستحقا الدفن في ذلك الموضع لحقوق ابتيهما.

(١) تاريخ ابن كثير: ج / ٨، ص / ٤٤.

(٢) الفدير: ج / ٦، ص / ١٨٩ - ١٩١.

(٣) الأحزاب / ٥٣.

فقال له فضال: أنت تعلم أنّ النبي ﷺ مات عن تسع حشايا، وكان لهنّ الثُّمن لِمكان ولده فاطمة، فإذا لكّل واحدة منهنّ تسع الثُّمن، ثمّ نظرنا في تسع الثُّمن فإذا هو شبر، والحجرة كذا وكذا طولاً وعرضاً، فكيف يستحقّ الرّجلان أكثر من ذلك؟ وبعد: فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله، وفاطمة بنته مُنعت الميراث؟ فالمناقضة في ذلك ظاهرة من وجوه كثيرة.

فقال أبو حنيفة: نَحَوهُ عني، فإنّه والله رافضيّ خبيث^(١).

ولقد ثبت أنّ رسول الله ﷺ قد جعل كلّ حجرة ملكاً لصاحبتها الساكنة فيها من أزواجه، وهذا أمر كان مقرراً في زمن رسول الله في حال حياته، فلا يحتاج إلى طلب البينة بعد الوفاة.

قال العلامة الحجة الشيخ محمّد حسن المظفر في رده على دعوى تملك عائشة للحجرة: ما أسهل الدّعوى على القوم بلا دليل، فليت شعري بم ثبت التملك الذي زعمه، والتقرر الذي التزمه؟ وغاية ما استدلوا به للتمليك قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢)، حيث أضاف البيوت إليهن، وهو خطأ، لأنّ إضافة البيوت إلى النساء لا تنفيذ إلا الاختصاص من جهة السكّنى، كما قال تعالى في حق المطلقات: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾^(٣)، على أنّه معارض لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾^(٤)، وهو أدل على ملك النبي ﷺ إذ شأن الرجال ملك مساكنهم كما هو

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ص / ٤٤ - ٤٥.

(٢) الأحزاب / ٣٣.

(٣) الطلاق / ١.

(٤) الأحزاب / ٥٣.

الغالب بخلاف النساء، ولاسيما ذوات الأزواج على أن حق الإسكان إنما يكون للمرأة على الزوج، والحجر بعد النبي ليست له، بل لورثته أو للمسلمين، مضافاً إلى أن الكلام ليس في مجرد السكنى، بل في إجراء جميع أحكام الملك: كدفن عائشة أباهما وصاحبه في بيت النبي ﷺ بغير إذنه ولا إذن ورثته ولا المسلمين، وكمنعها الحسن الزكي عليه السلام عن دفنه عند جده عليه السلام وقد جاءت راكبة على بغل، وحولها بنو أمية ومروان، فقال لها ابن عباس:

تَجَمَّلْتِ تَبَغَّلْتِ وَلَوْ عَشْتِ تَفِيلْتِ
لَكَ التُّسْعُ مِنَ الثُّمْنِ وَبِالْكُلِّ تَمَلَّكْتِ

وقال العلامة المظفر قدس سره: قال العلامة الحلبي قدس سره: وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين إن النبي ﷺ أراد أن يشتري موضع المسجد من بني النجار، فوهبوه له، وكان فيه نخل وقبور المشركين، فقلع النخل، وخرّب القبور، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(١)، ومن المعلوم أن عائشة لم يكن لها ولا لأبيها دار بالمدينة ولا أثرها، ولا بيت، ولا آثرة لواحد من أقاربها، وادعت حجرة أسكنها فيها رسول الله ﷺ، فسلمها أبوها إليها، ولم يفعل كما فعل بفاطمة عليها السلام^(٢).

ولنعم ما قال الشيخ كاظم الأزدي رحمة الله عليه:

أَيَّ أُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ أَسَاءَتْ بَيْنَهَا ففَرَّقَتْهُمْ سِوَاهَا

(١) الأحزاب / ٥٣.

(٢) دلائل الصدق: ج / ٣، ص / ٦٠٩ - ٦١٢.

شَتَّتَهُمْ فِي كُلِّ شَعْبٍ وَوَادٍ بِئْسَ أُمَّ عَتَّتْ عَلَيَّ أَبْنَاهَا
 نَسِيتُ آيَةَ التَّبْرِجِ أَمْ لَمْ تَدْرِ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَنْهُ نَهَاها
 حَفِظْتَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ وَمَنْ الذِّكْرُ آيَةً تَنْسَاهَا^(١)

وقد روى المحدث الشيخ عباس القمي قدس سره، عن السيد ابن طاووس في مصباح الزائر، زيارة الجامعة لأئمة المؤمنين عليهم السلام حيث قال: «.. وأنتم بين صريع في المحراب قد فلق السيف هامته وشهيد فوق الجنازة قد سُكَّتْ أكفانه بالسَّهام..»^(٢).

قال المحدث القمي قدس سره: سُكَّتْ - بالشين بعدها الكاف - أي خرقت، وشبكت - بالموحدة بينهما - تصحيف، ففي الحديث: أن رجلاً دخل بيته فوجد حية فشكها بالرمح، أي خرقتها وانتظمها به^(٣).

وهذا الكلام له دلالة واضحة، على أن بنو أمية وبنو العاص وبأمر من عائشة رموا نعش عزيز الزهراء عليها السلام سبط النبي الأكرم عليه السلام بالسَّهام فشُكَّتْ في بدنه حتى استل منها سبعون سهماً، وهذا ما عليه مؤرخو الشيعة.

(١) أحمد معتوق، شرح الأزدية: ص / ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) شرح مفاتيح الجنان للشيخ محمد الهويدي: ص / ٧٤٣، ط / دار املاك بيروت ١٤١٥ هـ.

(٣) الأنوار البهية: ص / ٨١.

وحان موعد الرثاء



فما أن وضع السَّبَط
الأكبر في ملحودة قبره في
البيع الغرقد إلى جانب جدته

فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها، حتى قام شقيقه الحسين عليه السلام برثائه، قال ابن شهر آشوب المازندراني قدس سره: وقال الحسين لما وضع الحسن في لحده:

ورأسك معفورٌ وأنت سليبُ
ألا كل ما أدنى إليك حيبُ
عليك وما هبت صباً وجنوبُ
وما اخضر في دوح الحجاز قضيْبُ
وأنت بعيد والمزار قريبُ
ألا كل من تحت التراب غريبُ
وكل فتى للموت فيه نصيبُ
ولكن من وارى أخاه حريبُ
وليس لمن تحت التراب نسيْبُ

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي
أو استمتع الدنيا لشيءٍ أحبه
فلا زلت أبكي ما تغنست حمامة
وما هملت عيني من الدمع قطرة
بكائي طويل والدموع غزيرة
غريب وأطراف البيوت تحوطه
ولا يفرح الباقي خلاف الذي مضى
فليس حريباً من أصيب بماله
نسيبك من أمسى يناجيك طرفه

وله عليه السلام أيضاً:

إن لم أمتُ أسفاً عليك فقد أصبحت مشتاقاً إلى الموت^(١)
 وروى الشيخ علي بن الشيخ محمد آل سيف الخطي رحمه الله فقال:
 ورجع الحسين عليه السلام إلى منزله وجلس وهو معزّي أخيه الحسن عليه السلام،
 وأقبلت الناس من كلّ جانب ومكان يعزّونه، وبكته نساء أهل بيته ونساء
 بني هاشم، وخرجت أمّ كلثوم وكانت أكبر أخواتها، ترج ذيلها، متجلّلة
 بطرف ردائها، وهي تنشد:

أخي حزني عليك اليوم باق ويوحى في التحسر مثل أمسي
 أخي بالله لا أنساك حتّى أوسدّ في الثرى وأحلّ رمسي
 ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
 ثمّ أقبلت زينب بنت علي عليها السلام وشهقت شهقة كادت روحها أن تخرج
 منها، وبكت بكاءً شديداً حتّى غشي عليها، فلما أفاقت من غشوتها بكت
 وقالت:

أخي إن كنت قد أبكيت عيني فقد أضحككتني زمناً طويلاً
 بكيتك في نساءٍ معولاتٍ وكنت أحق من يُيدي العويلاً
 دفعت بك الخطوب وأنت حيّ فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً
 إذا قبح البكاء على قتيلٍ رأيت بكاءك الحسن الجميلاً

ثمّ قال: إنّ محمد بن الحنفية كان غائباً يوم وفاة أخيه الحسن عليه السلام
 فقدم في اليوم الثالث من وفاته فسمع بموت أخيه الحسن، فبكى بكاءً
 شديداً، ثمّ أتى الحسين عليه السلام وهو في المعزّي، فلما رأى الحسين لم يتمالك

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ٤٠٤، في وفاته وزيارته عليه السلام.

من البكاء حتى غشي عليه زمناً طويلاً، فلما أفاق من غشوته قال: بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله لئن سررتني بحياتك فقد أحزنتني بفقدك، فنعم الكفن كفناً تضمّن جسدك، ونعم القبر قبراً ضمّ جسمك، وكيف لا تكون كذلك وأنت ابن التقي، وخامس أهل العبا، وابن خير الأوصياء، وابن سيدة النساء، حللت من الشرف وسطاً، وتقدّمت فيها فرطاً، فلئن كانت نفوساً غير طيبة بفراقك فإنها غير شاكة في الخير لك، صلوات الله وسلامه عليك يوم تموت، ويوم تبعث حياً، ثم بكى بكاءً شديداً، وأنشأ يقول:

لئن حسنت فيك المرثي ووصفها فقد حسنت من قبل فيك المدائح
 كأن لم يمّت حيّ سواك ولم تقم على أحدٍ إلا عليك النوائح^(١)

وقال سليمان بن قته رثياً للإمام الحسن عليه السلام:

ما كذب الله من نعي حسناً ليس لتكذيب نعيه حسناً
 كنت خليلي وكنّت خالصتي لكلّ حيّ من أهله سكناً
 أجول في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارهم غبناً
 بدلتهم منك ليت أنّهم أضحوا وبيني وبينهم عدناً

وقال دعبل الخزاعي:

تعرّب من قد مضى وإنّ العزاء يسلي الحزن
 بموت النبي وقتل الوصي وذبح الحسين وسم الحسن

وقال منبه الصوفي:

(١) وفاة الحسن بن علي عليه السلام: ص / ٥٥ - ٥٨، «بتصرف»، والخطبة ذكرها أحمد زكي صفوت في كتابه: جمهرة خطب العرب: ج / ٢، ص / ٢١ - ٢٢.

محن الزّمان سحائب متراكمة عين الحوادث بالفواجع ساجمة
 فإذا الهموم تراكمت فسلّها بمصاب أولاد البتولة فاطمة^(١)
 وقال الباعوني الشّافعي: وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث
 على قبره، فقال: إنّ أقدامكم قد نَقَلْت، وإنّ أعناقكم قد حملت إلى هذا
 القبر ولياً من أولياء الله، بشر بقاء الله، وتفتح أبواب السّماء لروحه
 الشّريفة، وتبتهج الحور ببقائه، ويؤنس به سادة أهل الجنة، ويستوحش
 الأرض لفقده، فرحمة الله عليه، ولا زالت سحب الرّضوان وافية إليه، وعند
 الله نحسب المصيبة فيه.

وقال أيضاً: وكتب بعضهم إلى النّاس: قد نعى سليل من سلالة النّبوة،
 وفرع من شجرة الرّسالة، وعضو من أعضاء الرّسول، وجزء من أجزاء
 الوصي والبتول، فكتبْتُ وليتني لا كتبْتُ ما كتبْتُ وأنا ناعي الفضل من
 أوطاره، وداعي المجد إلى معتقه ومداره، ومخبر أنّ شمس الشّرف قد
 وجبت، وآثاره قد مُحيت، والمآثر بعده دامعه، وآمال الإمامة منقطعة،
 وبقايا آثار النّبوة مرتفعة، والدّين منخرم وواجم، ودمعه عليه ساجم،
 وكتبْتُ كتابي هذا وقد شلت يمين المجد، وفقئت عين الحمد، وقصر باع
 الفضل، وكسفت شمس المعالي، وأصبحت الأيام بفقده كالليالي،
 وخسف قمر السّاعي، وتجدد في بيت الرّسالة رزء جدّد المصائب، وأعاد
 النّوائب، فيا لها من مصيبة عمّت، وساءت كلّ دين الإسلام، ويقين من
 الصّالحين والمتقين^(٢)، قال ابن الأثير الجزري: لما مات الحسن عليه السلام أقام

(١) مناقب آل أبي طالب: ج/ ٢، ص/ ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٢) جواهر المطالب: ج/ ٢، ص/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

نساء بني هاشم عليه النّوح شهراً ولبسوا الحداد سنة^(١).

قال ابن سعد: ودفن الإمام الحسن عليه السلام حسب وصيته في بقيع الغرقد^(٢)، والبقيع الغرقد هو مقبرة أهل المدينة، وسمي بذلك لأنه كان فيه غرقد، وهو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك، وهي عند المسلمين من المراكز المهمة والرياض المطهرة المشرفة التي حوت قبور ومراقد كثير من صحابة الرسول الأعظم عليه السلام الأجلاء وفيها مرقد السيدة فاطمة الهاشمية بنت أسد رضوان الله عليها أم أمير المؤمنين عليه السلام، ومراقد الإمام أبو محمد الحسن، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، وأبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، وقبر السيدة فاطمة بنت حزام الكلابية زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وأم العباس وإخوته شهداء الطّف سلام الله عليهم، وقام الوهابيون بتهديم هذه المقبرة وتسويتها خراباً يباباً في النصف الأوّل من القرن العشرين.

روى الزرندي الحنفي قال: ونقل الشيخ أبو محمد صاحب كتاب السنّة الكبيرة: إنّ النّجاشي رثى الحسن بن علي عليه السلام لما مات، فقال:

يا جعد ابكيه ولا تسأمي	بكاء حقّ ليس بالباطل
علي ابن بنت الطاهر المصطفى	وابن ابن عمّ المصطفى الفاضل
كان إذا شبت له ناره	يرفعها بالسند القاتل
لكي يراها يائس مرمل	أو فرد حيّ ليس بالأهل
لن تغلقي باباً على مثله	في الناس من حافٍ ومن ناعل

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج / ٢، ص / ١٥.

(٢) الطبقات الكبرى، ترجمة الإمام الحسن: ص / ٨٥.

أعني فتى أسلمه قومه للزمن المستخرج الماحل
 نعم فتى الهيجاء يوم الوغى والسيد القائل والفاعل^(١)
 وقال المحقق الكمباني في الأنوار القدسية، وهو يصف محنة السبط
 الأكبر عليه السلام، وكيفية شهادته ودفنه بتلك المظلومية الكبرى والرزية العظمى
 بقوله:

وَحِلْمُهُ لَهُ الْمَقَامَ السَّامِي فِي حِلْمِهِ ظَلَّتْ أُولُوا الْأَحْلَامِ
 وَسِلْمُهُ فِي مَوْجِ التَّسْلِيمِ مِنْ نَفْحَاتِ قَلْبِهِ السَّلِيمِ
 رِضَاهُ فِيمَا كَانَ لِلَّهِ رِضَا قَضَى عَلَى حُقُوقِهِ بِمَا قَضَى
 وَصَبْرُهُ الْعَظِيمُ فِي الْهَزَائِرِ يَكَادُ أَنْ يُلْحَقَ بِالْمَعَاجِرِ
 مِنْ حِلْمِهِ أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَا مَا لَا تُطِيقُهُ السَّمَوَاتُ الْعُلَا
 تَبَّتْ يَدَا آكِلَةِ الْأَكْبَادِ أَتَتْ بِرَأْسِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ
 أَتَتْ بِمَنْ لَا تَكْشِفُ النَّسَاءُ عَنْ أَخْبَتَ مِنْهُ فِي الشَّقَاءِ وَالْإِحْنِ
 مَا لِابْنِ هِنْدٍ لَا أَبَا لَهُ أَبِي وَلَايَةَ الْأَمْرِ لِأَصْحَابِ الْعَبَا
 فَأُشْهَرَ الْحَرْبَ عَلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ مُذْ حَارَبَ الْوَصِيَّ بِالنَّصِّ الْجَلِيِّ
 وَسَنَّ سَبَّ سَيِّدِ الْأَكْبَابِ بَغِيًّا عَلَى اللَّهِ عَلَى الْمَنَابِرِ
 وَبَعْدَهُ عَدَا عِنَادًا وَاعْتَدَى عَلَى سَلِيلِهِ سُلَالَةَ الْهُدَى
 فَاسْتَلَبَ الْإِمْرَةَ بِالتَّسْوِيلِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ الْوَجِيِّ وَالتَّنْزِيلِ
 كَيْفَ يَلِيقُ الرَّجْزُ بِالْإِمَارَةِ دُونَ سَلِيلِ الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ

(١) نظم درر السمطين: ص / ٢٠٦.

فَلَا وَرَبِّ الْعَرْشِ لَا يَلِيْقُ
لِكِنَّهُ رَبُّ الزَّمَانِ ذُو غَيْرِ
فَانْتَشَرَ الشَّرُّ وَشَاعَ الْمُنْكَرُ
وَكَمَّ وَكَمَّ مِنْ حُرْمَاتِ هَتِكْتِ
وَمَا جَرَى مِنْهُ عَلَى الْإِمَامِ
وَكَمَّ وَكَمَّ مِنْهُ تَجَرَعَ الْغُصَصُ
وَكَانَ سَهْمُهُ عَقِيْبَ رِحْلَتِهِ
أَيْمَنُ الْحَيِّبُ عَنْ حَبِيْبِهِ
أَيَسْتَبَاحُ قُرْبَهُ لِصَاحِبِهِ
يَا وَيْلَ مَرْوَانَ وَيْلَ عَايِشَةَ
مَا رَاقَبُوا النَّبِيَّ فِي قُرْبَاهُ
وَمَا رَمَوْهُ إِذْ رَمَوْهُ بَلْ رَمَى
لَهْفِي لِآلِ الْمَصْطَفَى الْأَمَاجِدِ
قَوْسُ الْأَلَى وَهَلْ تَرَى مِنَ الْأَلَى
أَوْلَيْكَ الَّذِينَ عَمَدًا كَفَرُوا
هُمْ أَسَسُوا السَّقِيْفَةَ السَّقِيْفَةَ
بِنَاءِ غَدْرِ بِيَدِ مُحْتَالَةٍ
قَضَتْ عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ وَالْهُدَى
قَضَتْ عَلَى الشَّرِيْعَةِ الْغَرَاءِ

بِمَنْصَبِ الْإِمَامَةِ الطَّلِيْقُ
سَاعَدَهُ الْغَدْرُ عَلَيْهِ وَالْقَدْرُ
وَلَيْسَ لِلْمَعْرُوفِ اسْمٌ يُذَكَّرُ
وَمِنْ دِمَاءِ زَاكِيَاتِ سُفِكَتِ
تَنْكُلُ عَنْهُ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ
وَجُرْعَةُ السَّمِّ أَخِيْرَةُ الْقِصَصِ
سِهَامٌ بَغِيْبِهِمْ وَهَتِكُ حُرْمَتِهِ
ظُلْمًا وَلَا مَانِعَ عَنْ رَقِيْبِهِ
وَيُحْرَمُ الْأَقْرَبُ مِنْ أَقَارِبِهِ
لَقَدْ تَحَمَّلَا خَطَايَا فَاحِشَةً
بُعْدًا لِمَنْ أَبْعَدَ مُجْتَبَاهُ
مَنْ كَانَ أَشْقَى مِنْهُمْ وَأَظْلَمًا
رَمَاهُمُ الْكُلُّ بِقَوْسٍ وَاحِدِ
مَنْ وَتَرَ النَّبِيَّ فِيهِمْ أَوْلَا
بِرَبِّهِمْ فَبَدَّلُوا أَوْ غَيَّرُوا
ظُلْمًا وَمَا أَدْرَاكَ مَا السَّقِيْفَةُ
عَلَى أَسَاسِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ
بِضْرِبَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا أَبَدًا
فَاسْوَدَّ مِنْهَا أَفْقُ السَّمَاءِ

قَضَتْ بِجَوْرِهَا عَلَى الْكِتَابِ فَغَيَّبَتْهُ عَنْ أُولِي الْأَبَابِ
قَضَتْ عَلَى سُنَّةِ سَيِّدِ الْوَرَى فَأَصْبَحَتْ إِلَى الْوَرَى كَمَا تَرَى^(١)



الفصل الخامس

- القول الحسن في المأثور عنه صلوات الله عليه
- ذوق الإمام الحسن عليه السلام في الشعر
- من أدب الدعاء
- بعض من احتجاجاته عليه السلام
- الأنوار السننية في المعاجز الحسينية
- الذئاب العاوية من جرائم معاوية
- البدمر السنني من أدب الرثاء الحسيني
- عند سدمرة المنتهى



القول الحسن في المأثور عنه صلوات الله عليه

﴿لطف الله﴾

روى العلامة السيّد
محسن الأمين قدّس سرّه، قال

السبّط الأكبر عليه السلام: «ما فتح الله عزّ وجلّ على أحدٍ باب مسألة فخرن عنه باب الإجابة، ولا فتح على رجل باب عملٍ فخرن عنه باب القبول، ولا فتح لعبيدٍ باب شكرٍ فخرن عنه باب المزيد»^(١).

﴿الجواد﴾

روى فخر الدّين الطّريحي فقال: كان عليه السلام يطوف في بيت الله الحرام فسأله رجل عن معنى الجواد فقال: «إنّ لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوق فإنّ الجواد الذي يؤدي ما افترض عليه، والبخيل الذي يبخل بما افترض عليه، وإن كنت تسأل عن الخالق، فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وإن منع منع ما ليس له»^(٢).

﴿الولاية﴾

روى الشّيخ الصّدوق عن السبّط الأكبر عليه السلام فقال: «إنّ الله تعالى بمنّه

(١) أعيان الشّيعة: ج / ٤، ص / ٨٨.

(٢) مجمع البحرين: مادة «جود».

ورحمته، لما فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليه، بل رحمة منه إليكم، لا إله إلا هو، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتسابقوا إلى رحمته، ولتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمد ﷺ والأوصياء من ولده، كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخل قرية إلا من بابها، فلما منَّ الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم ﷺ قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(١)، وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً، فأمركم بأدائها إليهم، ليحلَّ لكم ما وراء ظهوركم، من أزواجكم وأموالكم، ومأكلكم ومشربكم، ويعرفكم بذلك البركة والنماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، فاعلموا: أن من يبخل، فإنما يبخل على نفسه، إن الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، لا إله إلا هو، فاعملوا من بعد ما شئتم ﴿فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) المائة / ٥.

(٢) الشورى / ٤٢.

(٣) التوبة / ٩.

(٤) علل الشرائع: ص / ٢٤٩ - ٢٥٠.

﴿نحن الأبرار﴾

روى ابن شهر آشوب المازندراني قدس سره، عن الشيرازي في كتابه بإسناده عن الهزيل، عن مقاتل، عن محمد بن الحنفية، عن الحسن بن علي عليه السلام قال: «كُلُّ ما في كتاب الله عزَّ وجلَّ: «إِنَّ الأبرار» فوالله ما أراد به إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة وأنا والحسين، لأنَّ نحن أبرار بأبائنا وأمّهاتنا، وقلوبنا علت بالطاعات والبر، وتبرأت من الدنِّيا وحبِّها، وأطعنا الله في جميع فرائضه، وآمنا بوحدانيته، وصدَّقنا برسوله»^(١).

﴿الشيعة والمحب﴾

قال ورام بن أبي فراس رحمه الله، إنَّ السَّبَط الأكبر عليه السلام قال له رجل: يا بن رسول الله إني من شيعتك! فقال عليه السلام: يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتك، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خير وإلى خير^(٢).

﴿يتيم آل محمد عليه السلام﴾

قال الشَّبلنجي الشَّافعي: سأل رجل الإمام السَّبَط عليه السلام في حاجة، فقال له الإمام عليه السلام: «فَضْلُ كافل يَتِيم آل مُحَمَّد المنقطع عن مواليه، النَّاشِب في رتبة الجهل يخرج من جهله، ويوضِّح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يَتِيم، يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على الشَّهي»، ثم أعطاه ثلاثمائة ألف

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٢.

(٢) مجموعة ورام: ص / ٣٠١.

درهم وعشرين ديناراً^(١).

﴿فضل علي ﷺ في القيامة﴾

روى الشيخ منتجب الدين الرّازي قدّس سرّه، عن الإمام السّبط ﷺ أنّه قال: «كان رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد إذ مرّ به جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، فقال النبي ﷺ: صَلِّ جَنَاحَ أَخِيكَ!»!

ثمّ تقدم النبي فصلياً خلفه، فلما انفتل النبي ﷺ من صلاته أقبل بوجهه عليهما ثمّ قال: يا جعفر، هذا جبرائيل يخبرني عن الديان عزّ وجلّ أنّه قد جعل لك جناحين منسوجين في الجنات، ويسيرك ربك يوم خميس، قال: فقال علي: فذاك أبي وأمّي يا رسول الله، هذا لجعفر أخي، فمالي عند ربي عزّ وجلّ؟ فقال النبي ﷺ: بَخِ بَخِ يَا عَلِي، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقاً يَسْتَغْفِرُونَ لَكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ! قال: فقال علي ﷺ: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله وما ذلك الخلق؟ قال: المؤمنون الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٢)، فهل سبقك أحد بالإيمان؟ يا علي: إذا كان يوم القيامة ابتدرت إليك اثنا عشر ألف ملك من الملائكة فيختطفونك اختطافاً حتّى تقوم بين يدي ربي عزّ وجلّ، فيقول الرّب جلّ جلاله: سل يا علي، فقد آليت على نفسي أن أقضي لك اليوم ألف حاجة، قال: فابدأ بذريتي وأهل بيتي يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: إنهم لا يحتاجون إليك يومئذٍ، ولكن ابدأ بمحبّيك، أو أحبائك وأشياحك.

ثمّ قال النبي ﷺ: والله، ثمّ والله، لو أنّ الرّجل جاء يوم القيامة وذنوبه

(١) نور الأبصار: ص / ١١١.

(٢) الحشر / ١٠.

أكثر من ورق الشجر وقطر المطر وما في الأرض من حجر أو مدر، ثم لقي الله محباً لك ولأهل بيتك لأدخله الله الجنة.

ثم قال النبي ﷺ: والله، ثم والله، ثم والله، لو أن الرجل صام النهار، وقام الليل، وحمل على الجياد في سبيل الله، ثم لقي الله مبغضاً لك ولأهل بيتك لكبه الله على منخره في النار^(١).

﴿الله يباهي بعباده﴾

روى ابن عساكر الدمشقي عن الإمام السبطيني عليه السلام قال: «إن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة فيقول: عبادي جاؤوني شعناً يتعرضون لرحمتي، فأشهدكم أنني قد غفرت لمحسنهم وشفعت في سيئهم، وإذا كان يوم القيامة فمثل ذلك»^(٢).

﴿فضل اللبن للحامل﴾

روى الحر العاملي قدس سره، عن الحسن السبط عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعموا حبالكم اللبن، فإن الصبي إذا عُذِيَ في بطن أمه باللبن اشتد عقله، فإن يك ذكراً كان شجاعاً، وإن ولدت أنثى عظمت عجزتها فتحظى عند زوجها»^(٣).

﴿تعزية﴾

قال ورام ابن أبي فراس: إن الإمام السبط عزى رجلاً قد مات بعض ذويه فقال له: «إن كانت المصيبة أحدثت لك موعظة، وكسبتك أجراً فهو،

(١) الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين صحابياً: ص / ٣٠ - ٣١، حديث / ٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج / ١٢، ص / ٥٢٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج / ١٥، ص / ١٣٦، حديث / ٢٧٤١٨.

وإلا فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك»^(١).

﴿الموت﴾

قال الجاحظ: مرّ الحسن عليه السلام على ميت يراد دفنه فقال: «إنّ أمراً هذا آخره، لحقيق بأن يزهد في أوله، وإنّ أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره»^(٢).

﴿مكارم الأخلاق﴾

روى محمد بن واضح اليعقوبي، قال جابر: سمعت الحسن عليه السلام يقول: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلّة الرّحم، والتّذميم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»^(٣).

﴿الخلق الحسن﴾

روى السيّد شهاب الدّين المرعشي قدّس سرّه: عن الحسن البصري، عن الحسن بن علي، عن أبي الحسن، عن جدّ الحسّن إنّ أحسن الحسّن الخلق الحسّن^(٤).

﴿تفريج كرب المسلم﴾

قال السّبط عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: «من أجرى الله على يديه فرجاً لمسلم فرّج الله عنه كرب الدّنيا والآخرة»^(٥).

(١) مجموعة ورام: ص / ٤١١.

(٢) المحاسن والمساوي: ص / ٢٥٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج / ١، ص / ٢٠١.

(٤) ملحقات إحقاق الحق: ج / ٢٣، ص / ٤٢٨.

(٥) مجموعة ورام: ج / ٢، ص / ٧٤.

﴿العقل والحلم﴾

روى الحسن بن محمد الديلمي، عن الحسن السبط عليه السلام، قال: «اعلموا أن العقل حرز والحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه، والسّفه ضعف، ومجالسة أهل الدنيا شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة، ومن استخفّ بإخوانه فسُدّت مروءته، ولا يهلك إلا المرتابون، وينجو المهتدون الذين لم يتهموا الله في آجالهم طرفة عين، ولا في أرزاقهم، فمروءتهم كاملة، وحيأؤهم كامل، يصبرون حتى يأتي بهم الله برزق، ولا يبيعون شيئاً من دينهم ومروءتهم بشيء من الدنيا، ولا يطلبون شيئاً منها بمعاصي الله، ومن عقل المرء ومروءته أن يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه وإن لم ينزلوها به، والعقل أفضل ما وهب الله تعالى للعبد إذ به نجاته في الدنيا من آفاتهما وسلامته في الآخرة من عذابهما، وقد قيل: إنهم وصفوا رجلاً عند رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن عبادته، فقال صلى الله عليه وآله: انظروا إلى عقله فإنما يجزى العباد يوم القيامة على قدر عقولهم، وحسن الأدب دليل على صحة العقل»^(١).

﴿العقل والهمة والدين﴾

روى العلامة الأمين، عن الحسن السبط عليه السلام، قال: «لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودة لمن لا همة له، ورأس العقل معاشرّة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرِكُ سعادة الدارين، ومن حُرِمَ العقل حرمهُما جميعاً»^(٢).

﴿المروءة والكرم والتجدة﴾

روي أن معاوية قال للإمام السبط عليه السلام: يا أبا محمد، ثلاث خلال ما

(١) إرشاد القلوب: ص / ٢٢٩.

(٢) أعيان الشيعة: ج / ٤، ص / ٨٨.

وجدتُ من يخبرني عنهن، قال: وما هن؟ قال: المروءة والكرم والنَّجدة، فقال عليه السلام: «أما المروءة فإصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكفِّ، وإفشاء السَّلام، والتَّحِبُّ إلى النَّاسِ، والكرم: العطيَّة قبل السَّؤال والتَّبرُّع بالمعروف، والإطعام في المحلِّ، ثم النَّجدة: الذَّبُّ عن الجار، والمحاماة في الكريهة، والصَّبْر عند الشَّدائد»^(١).

﴿قضاء الحوائج أرجح﴾

قال ابن أبي جمهور الإحسائي قدس سره: روي عن مولانا الحسن عليه السلام أنه قال: «إذا تعارض الاعتكاف والاشتغال بقضاء حوائج الإخوان تُرَجِّحها عليه»^(٢).

﴿شاركوا النَّاس في معاشكم﴾

قال ابن واضح اليعقوبي: وقيل للحسن عليه السلام: «من أحسن النَّاس عيشاً؟ قال: «من أشرك النَّاس في عيشه» وقيل: «من شر النَّاس عيشاً؟ قال: «من لا يعيش في عيشه أحد»^(٣).

﴿عليك بثلاث﴾

قال ابن واضح اليعقوبي: وقال الحسن عليه السلام: «فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، وأشد من المصيبة سوء الخلق، والعبادة انتظار الفرغ»^(٤).

(١) تاريخ اليعقوبي: ص / ٢٦٨.

(٢) عوالي اللئالي: ج / ١، ص / ٣٩، ح / ٢٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج / ٢، ص / ١٢٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج / ٢، ص / ١٢٦.

﴿الموت خير لطالب الدنيا﴾

قال المتقي الهندي: روي عن الحسن بن علي عليه السلام، أنه قال: «من طلب الدنيا قعدت به، ومن زهد فيها لم يبال من أكلها، الراغب فيها عبد لمن يملكها أدنى ما فيها يكفي، وكلها لا تغني، من اعتدل يومه فيها فهو مغرور، ومن كان يومه خيراً من غده فهو مغبون، ومن لم يتفقد نقصان عن نفسه فإنه في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له»^(١).

﴿أهمية التفكير﴾

قال محمد بن الحسن الديلمي: قال الحسن السبط عليه السلام: «عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير، ومفاتيح أبواب الحكمة»^(٢).

﴿المؤمن يتزود والكافر يتمتع﴾

قال علي بن عيسى الإربلي رحمه الله: ومن كلامه عليه السلام: «يا ابن آدم عفت عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله سبحانه تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلاً، إنه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً وبينون مشيداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بواراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فخذ مما في يديك لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع» وكان عليه السلام يتلو بعد هذه الموعدة: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٣).

(١) كنز العمال: ج / ١٦، ص / ٢١٤، ح / ٤٤٢٣٦.

(٢) أعلام الدين: ص / ٢٩٧.

(٣) البقرة / ١٩٧.

(٤) كشف الغمة: ج / ١، ص / ٥٧٢.

﴿الاختيار الحسن﴾

قال قطب الدين الراوندي: قال الحسن بن علي عليه السلام: «عجب لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله فيجنب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يريد»^(١).

﴿آثار التقية﴾

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: قال الحسن بن علي عليه السلام: إن التقية يصلح الله بها أمة، لصاحبها مثل ثواب أعمالهم، وإن تركها ربّما أهلك أمة، وتاركها شريك من أهلكتهم، وإن معرفة حقوق الإخوان تحبب إلى الرحمن، وتعظم الزلفى لدى الملك الديان، وإن ترك قضاءها يمقت إلى الرحمن، ويصغر الرتبة عند الكريم الديان^(٢).

﴿فضل العقل﴾

روى السيد المرعشي قدس سرّه: قال الحسن عليه السلام: «إني لأعجب ممّن رزق العقل كيف يسأل الله معه شيئاً آخر»^(٣).

(١) الدعوات: ص / ١٤٤، ح / ٣٧٥.

(٢) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ص / ٣٢١، ح / ١٦٤.

(٣) ملحقات إحقاق الحق: ج / ١١، ص / ٢٢٥.

ذوق الإمام الحسن عليه السلام في الشعر



«حان الرّحيل»

قل للمقيم بغير دار إقامة حان الرّحيل فودّع الأحبابا
إنّ الذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور تراباً^(١)

«الحق أبلج»

الحق أبلج ما تخيل سيّله والحق يعرفه ذوو الألباب^(٢)

«قدم لنفسك»

قدم لنفسك ما استطعت من التّقى إنّ المنية نازل بك يا فتى
أصبحت ذا فرح كأنّك لا ترى أحباب قلبك في المقابر والبلى^(٣)

«هذه هي الدّنيا»

عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى قال: دخل الحسن بن علي الفسرات في
بردة كانت عليه، قال: فقلت له: لو نزعت ثوبك، فقال لي: يا أبا عبد الرّحمن

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٢، ص / ١٤٥.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ج / ٢، ص / ١٥٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ج / ٤، ص / ٢١٩.

إِنَّ لِلْمَاءِ سَكَاناً وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

ذري كدر الدنيا فإن صفاءها تولى بأيام السرور الذواهب
وكيف يعزّ الدهر من كان بينه وبين الليالي محكمات التجارب^(١)

«الظلّ الزائل»

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها إن اغتراراً بظلّ زائل حمق^(٢)

«فيم الكلام»

تفاخرت قريش والحسن بن علي ﷺ حاضر لا ينطق، فقال معاوية: يا
أبا محمّد ما لك لا تنطق؟ فوالله ما أنت بمشوب الحسب، ولا بكليل
اللسان، قال الحسن ﷺ: «ما ذكروا فضيلة إلا لي محضها ولبابها» ثم قال:
فيم الكلام وقد سبقت مبرزاً سبق الجواد من المدى المتنفّس^(٣)

«مهلاً يا معاوية»

روى البيهقي: إن الإمام السبط ﷺ دخل يوماً على معاوية - وكان
عنده عمرو بن العاص، فقال: - «قد جاءكم الفهّ العيّ، الذي كان بين
لحييه عقله»، فالتفت الإمام إلى معاوية قائلاً: «يا معاوية! لا يزال عندك
عبداً راتعاً في لحوم الناس، أما والله لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه
الأمر، وتخرج منه الصدور»، ثم أنشد ﷺ:

أتأمر يا معاوية عبد سهم بثمتي والملا منّا شهود

(١) بحار الأنوار: ج- / ٤٣، ص / ٣٤٠.

(٢) كشف الغمة: ج / ١، ص / ٥٦١.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٢١.

إذا أخذت مجالسها قريش فقد علمت قريش ما تريد
 أنتَ تظللُ تشتمني سفاهاً لضغنٍ ما يزول وما يبيدُ
 فهل لك من أبٍ كأبي تسامي به من تسامي أو تكيّدُ؟
 ولا جدّ كجدّي يا بن حربٍ رسول الله إن ذكر الجدودُ
 ولا أمّ كأمي من قريشٍ إذا ما حصل الحسب التليدُ
 فما مثلي تهكم يا بن حربٍ ولا مثلي يُنهنهُ الوعيدُ
 فمهلاً لا تهج منا أموراً يشيبُ لهولها الطفل الوليدُ^(١)

«إني وجدتك مشتري»

روي أن أعرابياً جاء إلى الإمام الحسن ع وهو يشكو ويقول:
 لم يبق لي شيء يباع بدرهم يكفيك شاهد منظري عن مخبري
 إلا بقايا ماء وجهه صتته عن أن يباع وقد وجدتك مشتري
 فأجابه السبط الأكبر ع:

عاجلتنا فأتاك وابسل برنا طلاً ولو أمهلتنا لم نقصر
 فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ما صتته وكأننا لم نشتر^(٢)

«كرم الإمام ع»

روي العلامة السيد محسن الأمين الحسيني العاملي قدس سره: جاء
 للإمام الحسن ع أعرابي، فقال الإمام ع: «أعطوه ما في الخزانة، فوجد

(١) المحاسن والمساوي: ج / ١، ص / ٦٢.

(٢) الشيخ عبد الرضا الصائغ، بلاغة الإمام الحسن ع: ص / ١٣٩.

فيها عشرون ألف دينار، فدفعها إلى الأعرابي، فقال الأعرابي: يا مولاي
ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشد مدحتي؟ فأنشأ الحسن ﷺ:

نحن أناس نوالنا خِضْلُ يرتع فيه الرّجاءُ والأملُ
تجود قبل السّؤال أنفسنا خوفاً على ماءٍ وجهٍ من يسألُ
لو علمَ البحرُ فضلَ نائلنا لغاص من بعد فيضه خجلاً^(١)

«مرحباً بالسائل»

روى العلامة الشيخ موسى محمّد علي رحمه الله: قيل للحسن رضي
الله عنه: لأي شيء نراك لا ترد سائلاً، وإن كنت على فاقة؟ فقال: «إنسي الله
سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً، وأرد سائلاً، وإن الله تعالى
عوّدي عادة، عوّدي أن يفيض عليّ، وعوّدته أن لا أقبض نعمة على الناس،
فأخشي إن قطعت العادة أن يمنعني العادة وأنشد يقول»:

إذا ما أتاني سائل قلت: مرحباً بمن فضله فرض عليّ معجلُ
ومن فضله فضل على كلّ فاضلٍ وأفضل أيامِ الفتى حين يُسألُ^(٢)

«أسرعت في المنايا»

قال أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان:
وحكى صاحب «العقد» قال: بينا معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له:

(١) أعيان الشّيعّة: ج / ٤، ص / ٨٩ - ٩٠. وعبداه الحنبلي في كتابه: التّبيان في شرح
ديوان المتبّي: ج / ٣، ص / ١٩٦.

(٢) حليم آل البيت (عليه السلام) الإمام الحسن (عليه السلام): ص / ٨٤، عالم الكتب بيروت ١٤٠٥هـ نقلاً
عن كتاب نور الأبصار: ص / ١٢٥، للشبلخي الشافعي.

الحسن بالباب، فقال معاوية: إنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه، فقال له مروان بن الحكم: ائذن له فإنني أسأله عما ليس عنده فيه جواب، قال معاوية: لا تفعل فإنهم قوم ألهموا الكلام، وأذن له، فلما دخل وجلس قال له مروان: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن، إن ذلك من الخوف، قال الحسن: «ليس كما بلغك ولكننا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا، عذبة شفاهنا، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن وقبلهن، وأنتم معشر بني أمية فيكم بغي شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصدائكم، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك».

قال مروان: أما أن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء، قال: «ما هي؟» قال: الغلظة، قال: «أجل، نزع الغلظة من نسائنا ووضعت في رجالنا، ونزعت الغلظة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأموية إلا هاشمي».

فغضب معاوية وقال: قد كنت أخبرتكم فأبيتن حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم، فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول:

ومارستُ هذا الدهر خمسين حجةً وخمساً أرجى قائلًا بعد قائلٍ
فما أنا في الدنيا بلغتُ جسيمها ولا في الذي أهوى كدحتُ بطائلٍ
وقد أشرعت في المنيا أكفها وأيقنتُ آني رهن موتٍ معاجلٍ^(١)

«السخيُّ والبخيلُ»

خلقت الخلائق من قدرة فمنهم سخيٌّ ومنهم بخيلٌ

(١) وفيات الأعيان: ج / ١، ص / ٢٢٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٧هـ.

فَأَمَّا السَّخِيُّ ففِي رَاحَةٍ وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَحَزَنٌ طَوِيلٌ^(١)

«السَّخَاءُ فَرِيضَةٌ»

قال أنس: حَيَّتْ جارية الحسن بن علي بطاقة ربحان فقال لها: أنتِ حرة لوجه الله، فقلت له في ذلك فقال: أدبنا الله تعالى فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾^(٢) وكان أحسن منها إعتاقها، فأنشد قائلاً:

إِنَّ السَّخَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَرِيضَةٌ اللَّهُ يَقْرَأُ فِي كِتَابِ مُحْكَمٍ
وَعَدَ الْعِبَادَ الْأَسْخِيَاءَ جَنَانَهُ وَأَعَدَّ لِلْبِخْلَاءِ نَارَ جَهَنَّمَ
مَنْ كَانَ لَا تَنْدَى يَدَاهُ بِنَائِلٍ لِلرَّاعِبِينَ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُسْلِمٍ^(٣)

«نوع من حياته ﷺ»

وَأَنْشَأَ ﷺ لَمَّا اضْطُرَّ إِلَى الْبَيْعَةِ مَعَ مَعَاوِيَةَ:

أَجَامِلُ أَقْوَاماً حَيَاءً وَلَا أَرَى قُلُوبَهُمْ تَغْلِي عَلَيَّ مَرَاضِيهَا^(٤)

«الصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارِهِ»

وله ﷺ:

لِئِنْ سَأَنْتِي دَهْرٌ عَزَمْتَ تَصْبِرًا وَكُلَّ بَلَاءٍ لَا يَدُومُ يَسِيرًا
وَإِنْ سَرَنِي لَمْ أَبْتَهَجْ بِسُرُورِهِ وَكُلَّ سُورٍ لَا يَدُومُ حَقِيرًا^(٥)

(١) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٣٨٢.

(٢) النساء / ٨٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٣٨٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ج / ٤، ص / ٣٩٦.

(٥) المصدر السابق.

«رثاؤه على أبيه ع»

خل العيون وما أردن من البكاء على عليّ
لا تقبلن من الخليّ فليس قلبك بالخليّ
لله أنت إذا الرّجال تَصْغَصَعَتْ وسط النّديّ
فرجّت غمّته ولم تركزن إلى فشلٍ وعيّ^(١)

«وقال ع في رثاء أبيه المرتضى ع»

أين من كان لعلم المصطفى في الناس بابا؟
أين من كان إذا ما قحط الناس سحابا؟
أين من كان إذا نودي للحرب أجابا؟
أين من كان دعاه مستجاباً ومجاباً؟^(٢)

«عندي شفاء الجهل»

روى المجلسي بسنده عن أبو يعقوب يوسف بن الجراح، عن رجاله، عن حذيفة بن اليمان قال: بينا رسول الله ﷺ في جبل أظنه جرى أو غيره ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ع وجماعة من المهاجرين والأنصار وأنس حاضر لهذا الحديث وحذيفة يحدث به إذ أقبل الحسن بن علي ع يمشي على هدوء ووقار فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال: إن جبرائيل يهديه وميكائيل يسدّده، وهو ولدي والطاهر من نفسي وضيع من أضلاعي، هذا سبطي وقرّة عيني بأبي هو.

(١) علي حيدر المؤيد، الألفين في أحاديث الحسن والحسين ع: ج / ١، ص / ٤١٦.

(٢) المصدر السابق.

فقام رسول الله ﷺ، وقمنا معه وهو يقول له: أنت تفاحتي وأنت حبيبي ومهجة قلبي وأخذ بيده فمشى معه ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله فنظر إلى رسول الله ﷺ وهو لا يرفع بصره عنه، ثم قال: أما أنه سيكون بعدي هادياً مهدياً، هذا هدية من رب العالمين لي، يُنسئُ عني ويعرف الناس آثارِي ويُحبي سنتي، ويتولى أموري في فعله، ينظر الله إليه فيرحمه، رحم الله من عرف له ذلك وبرني فيه وأكرمني فيه، فما قطع رسول الله ﷺ كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجر هراوة له فلما نظر رسول الله ﷺ إليه قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وأنه يسألكم من أمور، إن لكلامه جفوة.

فجاء الأعرابي فلم يُسلم، وقال: أيكم محمد؟ قلنا: وما تريد؟ قال رسول الله ﷺ: مهلاً، فقال: يا محمد لقد كنت أبغضك ولم أرك، والآن فقد ازددت، قال: فتبسم رسول الله ﷺ وغضبنا لذلك وأردنا بالأعرابي إرادة فأوماً إلينا رسول الله أن: اسكتوا!

فقال الأعرابي: يا محمد إنك تزعم أنك نبي، وإنك قد كذبت على الأنبياء وما معك من برهانك شيء؟! قال له: يا أعرابي وما يدريك؟ قال: فخبّرني ببرهانك؟ قال: إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني، قال: أو يتكلم العضو؟ قال: نعم، يا حسن قم! فازدرى الأعرابي نفسه وقال: هو ما يأتي ويقيم صبيلاً ليكلمني، قال: إنك ستجده عالماً بما تريد، فابتدره الحسن رضي الله عنه وقال: مهلاً يا أعرابي.

ما غيباً سألت وابن غبي بل فقيهاً إذن وأنت الجهول
فإن تك قد جهلت فإنّ عندي شفاء الجهل ما سأل السؤل

وبحرراً لا تُقَسِّمُهُ الدَّوَالِي تراثاً كان أورثه الرسول^(١)

«تأبى الأصول»

نُسُودُ أَعْلَاهَا وَتَأبَى أَصُولُهَا فليت الذي يسود منها هو الأصل^(٢)

«فراق الدار»

ولا عن قلى فارت دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري^(٣)

«كسرة وكفن»

لكسرة من خسيس الخبز تشبعتني وشربة من قراح الماء تكفيني

وطرة من دقيق الثوب تسترني حياً وإن مت تكفيني لتكفيني^(٤)

«دعاء»

عندما قتل الإمام علي عليه السلام، قال الإمام الحسن عليه السلام:

خَذَلَ اللَّهُ خَاذِلِيهِ وَلَا أَعْبُدُ مَدَّ عَن قَاتِلِيهِ سَيْفَ فَنَاءٍ^(٥)

«فراق»

قال عليه السلام عندما فارق الكوفة مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام وبقية بني

هاشم عليهم السلام تمثل بهذا البيت:

وَلَا عَن قَلِيَّ فَارَقْتُ دَارَ مَعَاشِرِي هُم مَنَعُونِي ذَمِّي وَذَمَارِي^(٦)

(١) بحار الأنوار: ج/ ٤٣، ص/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢) حسن الشيرازي: كلمة الإمام الحسن: ص/ ٢١١.

(٣) المصدر السابق: ص/ ٢١٢.

(٤) المصدر السابق: ص/ ٢١٢.

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج/ ٢، ص/ ٩٢.

(٦) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج/ ٤، ص/ ٩٤.

«الصلح والحرب»

قال عليه السلام في الصلح والحرب:

وَالصَّلْحُ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعٌ^(١)

«استرزق الرحمن»

قال عليه السلام في الرزق:

اغْنِ عَنِ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ وَاسْتَرْزِقِ الرَّحْمَنَ مِنْ فَضْلِهِ
تَغْنِ عَنِ الْكَاذِبِ وَالْبَصَادِقِ فَلَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ مِنْ رَازِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّاسَ يُغْنَوْنَهُ فَلَيْسَ بِالرَّحْمَنِ بِالْوَائِثِقِ
أَوْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ مِنْ كَسْبِهِ زَلَّتْ بِهِ النِّعْلَانِ مِنْ حَالِقِ^(٢)

«جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله»

قال عليه السلام مفتخراً بأصله ونسبه:

مَنْ كَانَ يَيْأَى بِجَدِّ فَإِنَّ جَدِّي الرَّسُولُ
أَوْ كَانَ يَيْأَى بِأُمِّ فَإِنَّ أُمَّيَ الْبَتُولُ
أَوْ كَانَ يَيْأَى بِزَوْرٍ فَرَوْزُنَسَا جَبْرَيْئِلُ
فَنَحْنُ لَمْ تَبَّأْ إِلَّا بِمَا يُطَاعُ الْخَلِيلُ^(٣)

«المناجاة مع الله»

روي أن الحسن بن علي عليه السلام، كان يخرج كل ليلة إذا انتصف الليل

(١) السيد حسن الشيرازي، كلمة الإمام الحسن: ص/١٤.

(٢) الشبلنجي، نور الأبصار: ص/١٢٢.

(٣) الموفق الخوارزمي، مقتل الحسين(ع): ج/١، ص/١٢٣.

حتى يأتي المسجد فيصلّي ويدعو ويتضرّع إلى الله تعالى، فتبعه بعض شيعته ليلة من الليالي، قال: فلما بلغ الحسن عليه السلام باب المسجد رمى بطرفه نحو السماء، ثم قال: «اللهم غَلَقَتِ الملوكُ أبوابها، وقام عليها رَاسها، وبابك مفتوح لمن دعاك»، ثم دخل المسجد وصلّى ركعتين ورفع رأسه إلى السماء وقال:

ياربّ ياربّ أنتَ مَولاهُ	فارحَمَ عبيداً إليك مَلجأهُ
يا ذا المعالي عليك مُعتمدي	طوبى لِمَن كُنْتَ أَنْتَ مَولاهُ
طوبى لِمَن كانَ خائفاً أرقاً	يَشكوا إلى ذي الجلالِ بِلَواهُ
ومأبىهِ عِلَّةٌ ولا سَقَمُ	أَكثَرُ مِن حُبِّهِ لِمَولاهُ
إذا اشتكى بئهُ وِغَصَتُهُ	أَجابَهُ اللهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
إذا ابتلي بِالظلامِ مُبتَهلاً	أَكْرَمَهُ اللهُ ثُمَّ أَدْنَاهُ
لبيكَ عَبدِي وَأَنْتَ في كَفّي	وَكلما قُلْتَ قَدْ عَلِمَناهُ
صَوْتُكَ تَشْتاقُهُ مَلَأَ كَفّي	فَحسبُكَ الصَّوتُ قَدْ سَمِعَناهُ
دُعَاكَ عِندي يَجُولُ في حُجُبِ	فَحسبُكَ السَّيْرُ قَدْ سَفَرَناهُ
لو هَبَّتِ الرِّيحُ مِن جَوانِبِهِ	خَرَّ صَريعاً لِمَا نَعَشَاهُ
سَلَّني بِلا رَغْبَةٍ ولا رَهَبِ	ولا حِسابِ إني أَنَا اللهُ ^(١)

«غريبُ المعنى»

رُوي أنّ أعرابياً جاء إلى الإمام الحسن عليه السلام وأراد أن يُطاوله بالشعر وغريب معانيه فأنشأ يقول:

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج/٧٧، ص ١٩٢.

هَفَا قَلْبِي إِلَى اللَّهِ — وَ وَقَلَّ وَدَعَّ شَرُّخِيهِ
 وَقَدْ كَانَ أَيْقَاعَ عَفْرَى تَجْرَى — رَارِي ذَيْلِيهِ
 عُمَلَاتٌ وَلَذَاتُ — فَيَا سُقْيَا لِعَضْرِيهِ
 فَلَمَّا عَمَّ الشَّيْبُ — مِنَ الرَّأْسِ نِطَاقِيهِ
 وَأَمْسَى قَدْ عَنَانِي مِنْ — هُ تَجْدِيدُ دُخْرِ ضَائِيهِ
 تَسَلَيْتُ عَنِ اللَّهِ وَ — وَالْقَيْتُ قِنَاعِيهِ
 مِنَ الدَّهْرِ أَعَاجِيْبُ — لِمَنْ يَلْبَسُ حَالِيهِ
 فَلَوْ يَعْمَلُ ذُو رَأْيٍ — أَصْبِيلُ فِيهِ رَأْيِيهِ
 لَأَلْفَى عِبْرَةً مِنْهُ — لَهُ فِي كُلِّ عَضْرِيهِ

فقال له الحسن عليه السلام: قد قلت فأحسنت، فاسمع مني فقال عليه السلام:

فَمَا رَسَمْتُ شَجَانِينَ إِنْ — مَحَا آيَةَ رَسْمِيهِ
 سُفُورٌ دَرَحَ الذَّبِي — لَيْنٍ فِي بَوغَاءِ قَاعِيهِ
 وَمُورٌ حَرَجَفُ تَتْرَى — عَلَى تَلْيِيدِ نُؤْيِيهِ
 وَدَلَاخٌ مِنَ الْمُزْنِ — دَنَانِ وَءِ سَمَاكِيهِ
 أَتَى مُتَعَنَّجَ الرَّوْذِ — يَجُودُ مِنْ خِلَالِيهِ
 وَقَدْ أَحْمَدُ بَرَقَاهُ — فَلا دَمَّ لِرَعْدِيهِ
 وَقَدْ جَلَجَلَ رَعْدَاهُ — فَلا دَمَّ لِرَيْقِيهِ
 تَجْبِيحُ الرَّعْدِ تَجْجَاجُ — إِذَا أَرَحَى نِطَاقِيهِ
 فَأَضْحَى دَارِ سَاقْفَرًا — لِيُنَوِّنَةَ أَهْلِيهِ

فقال الأعرابي: تالله مارأيتُ كالיום مثل هذا الغلام، ولا أغرب منه كلاماً ولا أذرب منه لساناً ولا أفصح منه منطقاً!

فالتفت إليه الحسن عليه السلام فقال يا أعرابي:

عُلامٌ كَرَّمَ الرَّحْمَ ————— نِ بِالتَّطْهِيرِ جَدِّيهِ
كَسَاهُ القَمَرُ القُمَّةَ ————— مُ مِنْ نُسُورِ سَنَائِيهِ
وَلَوُ عَدَدَ طَمَاحٍ ————— نَفَخْنَا عَن عَدَائِيهِ
وَقَدْ أَرْضَيْتَ مِنْ شِعْرِي ————— وَقَوْمَتُ عَرُوضِيهِ

فلما سمع الأعرابي قول الحسن عليه السلام قال: بارك الله فيكما، مثلكما نَجَلَّتُهُ الرجال، وعن مثلكما قامت النساء، فوالله لقد أتيتكما وأنا مبغض لكما وانصرفت وأنا محبٌ لكما راضٍ عنكما فجزاكما الله خيراً^(١).

وأصل القصة أن أعرابياً دخل المسجد الحرام فوقف على الحسن عليه السلام وحواله حلقة فقال لبعض جلساء الحسن من هذا الرجل؟ فقال له: الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال الأعرابي: إياه أردت، فقال: وما تصنع به يا أعرابي؟ فقال: بلغني أنهم أهل بيت حكمة، وأنهم يتكلمون فيعربون في كلامهم وأناي قد قطعت بوادي وقفاراً وأودية وجبالاً وجئت لأطارحه الكلام، وأسأله عن عويص العربية، فقال له جليس الحسن: إن كنت جئت لهذا فابداً بذلك الشاب وأوماً إلى الحسن عليه السلام فوقف عليه وسلم فرد السلام، ثم قال: وما حاجتك يا أعرابي؟ فقال: إني جئتك من الهَرَقْلُ والجُعَلْلُ والأَيْتَمُ والهَيْهَمُ، فتبسّم الحسن عليه السلام وقال: يا أعرابي: لقد

(١) أبي بكر الأصبهاني، كتاب الزهرة: ج/٢، ص/٧٧٧، تحقيق إبراهيم السامرائي،

مكتبة المنار/ الأدرن، ط/٢، سنة (١٩٨٥م).

تكلمت بكلام لا يعقله إلا العالمون! قال الأعرابي وأقول أكثر من هذا فهل أنت مجيبي على قدر ذلك؟ فقال الحسن عليه السلام: قل ماشئت فإني مجيبك عنه! فقال الأعرابي: أنا بدوي وأكثر مقالتي الشعر، وهو ديوان العرب! فقال له الحسن عليه السلام: قل ماشئت فإني مجيبك عنه! فأنشأ الأعرابي يقول:
(الآيات)...

من أدب الدعاء



لقد وردت عنه صلوات
الله وسلامه عليه مجموعة من
الدَّعَوات والحجُب والأحراز

في مجاميع علماء الإمامية من كتبهم في الدَّعاء، وقد آثرنا وتتميماً للفائدة
أن نذكرها كما وردت في المصادر وهي:

«صلاة ودعاء ليوم الجمعة»

هي أربع ركعات، كل ركعة بالحمد مرّة، والإخلاص خمس وعشرون
مرّة، وبعدها الدَّعاء الوارد عنه عليه السلام:

اللهم إني أتقرب إليك بجودك وكرمك، وأتقرب إليك بمحمد عبدك
ورسولك، وأتقرب إليك بملائكتك المقربين وأنبيائك ورسلك، أن تصلي
على محمد عبدك ورسولك وعلى آل محمد، وأن تعطيني عشرين، وتستتر
عليّ ذنوبي، وتغفرها لي، وتقضي لي حوائجي، ولا تعذبني بقبيح كان مني،
فإن عفوك وجودك يسعني أنك على كل شيء قدير^(١).

«قنوت سيدنا الحسن عليه السلام»

يا من بسلطانه ينتصر المظلوم، وبعونه يعتصم المكلوم، سبقت

(١) علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني، جمال الأسبوع بكمال العمل
المشروع: ص / ١٧٥، مؤسسة الأفاق- إيران سنة ١٣٧١هـ.

مَشِيْتُكَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِمَا تَمْضِيهِ خَبِيرٌ، يَا حَاضِرَ كُلِّ غَيْبٍ، وَعَالِمَ كُلِّ سِرٍّ، وَمَلْجَأَ كُلِّ مُضْطَرٍّ، ضَلَّتْ فِيكَ الْفُهُومُ، وَتَقَطَّعَتْ دُونَكَ الْعُلُومُ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الدَّائِمُ الدَّيْمُومُ، قَدْ تَرَى مَا أَنْتَ بِهِ عَلِيمٌ، وَفِيهِ حَكِيمٌ، وَعِنْدَهُ حَلِيمٌ، وَأَنْتَ بِالتَّنَاصُرِ عَلَى كَشْفِهِ وَالْعَوْنِ عَلَى كَفِّهِ غَيْرُ ضَائِقٍ، وَإِلَيْكَ مَرْجِعُ كُلِّ أَمْرٍ كَمَا عَنْ مَشِيَّتِكَ مَصْدَرُهُ، وَقَدْ أَبْنَيْتَ عَنِ عَقُودِ كُلِّ قَوْمٍ، وَأَخْفَيْتَ سِرَائِرَ آخِرِينَ، وَأَمْضَيْتَ مَا قَضَيْتَ، وَأَخْرَجْتَ مَا لَا فُوتَ عَلَيْكَ فِيهِ، وَحَمَلْتَ الْعُقُولَ مَا تَحْمَلْتِ فِي غَيْبِكَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْنَةٍ، وَإِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، الْأَحَدُ الْبَصِيرُ، وَأَنْتَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ التَّوَكُّلُ، وَأَنْتَ وَلِيُّ مَنْ تَوَلَّيْتَ، لَكَ الْأَمْرُ كُلُّهُ، تَشْهَدُ الْإِنْفَعَالُ، وَتَعْلَمُ الْإِخْتِلَالُ، وَتَرَى تَخَاذُلَ أَهْلِ الْخِيَالِ وَجَنُوحَهُمْ إِلَى مَا جَنَحُوا إِلَيْهِ مِنْ عَاجِلٍ فَانَ، وَحَطَامَ عَقْبَاهُ حَمِيمِ أَنْ، وَقَعُودَ مَنْ قَعَدَ، وَارْتِدَادَ مَنْ ارْتَدَ، وَخُلُوبَ مَنْ نُصِّرَ، وَانْفِرَادِي عَنِ الظُّهَارِ، وَبِكَ اعْتَصِمَ، وَبِحَبْلِكَ اسْتَمْسَكَ، وَعَلَيْكَ اتَّوَكَّلَ، اللَّهُمَّ فَقَدْ تَعْلَمُ أَنِّي مَا ذَخَرْتُ جَهْدِي، وَلَا مَنَعْتُ وُجْدِي، حَتَّى انْقَلَّ حُدِّي، وَبَقِيَتْ وَحْدِي، فَاتَّبَعْتُ طَرِيقَ مَنْ تَقَدَّمَ نِي فِي كَفِّ الْعَادِيَةِ، وَتَسْكِينِ الطَّاعِيَةِ عَنِ دِمَاءِ أَهْلِ الْمَشَايِعَةِ، وَحَرَسْتُ مَا حَرَسَهُ أَوْلِيَائِي مِنْ أَمْرِ آخِرْتِي وَدُنْيَايَ، فَكُنْتُ كَكُظْمِهِمْ أَكْظَمُ، وَبِنِظَامِهِمْ أُنْتَظَمُ، وَلَطَرِيقَتِهِمْ أُتَسَمَّمُ، وَبِمِيسْمِهِمْ أُتَسَمَّمُ، حَتَّى يَأْتِي نَصْرُكَ، وَأَنْتَ نَاصِرُ الْحَقِّ وَعَوْنُهُ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى عَنِ الْمَرْتَادِ، وَنَأَى الْوَقْتِ عَنِ إِفْنَاءِ الْأَضْدَادِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامْرُجِهِمْ مَعَ النَّصَابِ فِي سَرْمَدِ الْعَذَابِ، وَأَعِمِّ عَنِ الرَّشْدِ أَبْصَارَهُمْ وَسَكْعَتَهُمْ فِي غَمْرَاتِ لِدَانِهِمْ، حَتَّى تَأْخُذَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ غَافِلُونَ، وَسُحْرَةً

وهم نائمون، بالحق الذي تظهره، واليد التي تبطش بها، والعلم الذي تبديه، إنك كريم عليم^(١).

«قنوت آخر له ﷺ»

اللهم إنك الرب الرؤوف، الملك العطوف، المتحنن المألوف، وأنت غياث الحيران الملهوف، ومرشد الضال الكفوف، تشهد خواطر أسرار المسترّين كمشاهدتك أقوال الناطقين، أسألك بمغيبات علمك في بواطن أسرار المسترّين إليك، أن تصلي علي محمد وآله صلاة يسبق بها من اجتهد من المتقدمين، ويتجاوز فيها من يجتهد من المتأخرين، وأن يصلّ الذي بيننا وبينك صلة من صنعه لنفسك، واصطنعته لغيرك، فلم تتخطفه خاطفات الظنن، ولا واردات الفتن، حتى نكون لك في الدنيا مطيعين، وفي الآخرة في جوارك خالدين^(٢).

«تسبيح الحسن بن علي ؑ في اليوم الرابع»

سبحان من هو مطلع على خوازن القلوب، وسبحان من هو محصي عدد الذنوب، سبحان من لا يخفى عليه خافية في السموات والأرض، سبحان المطلع على السرائر، عالم الخفيات، سبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، سبحان من السرائر عنده علانية، والبواطن عنده ظواهر، سبحان الله وبحمده^(٣).

(١) علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات: ص / ٤٧ - ٤٨، ط الحجرية.

(٢) المصدر السابق: ص / ٤٨.

(٣) سعيد بن هبة الله الراوندي، سلوة الحزين وتحفة الدليل «دعوات الراوندي»

«دعاؤه عليه السلام في قنوت الوتر»

عن أبي الحوراء، عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر: اللهم اهْدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، أنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت^(١).

«صلاة ودعاء في المصائب»

قال علي بن عيسى الإربلي قدس سره: وقيل: إنه كان يقول لأولاده: يا بني إذا أصابتكم مصيبة من الدنيا أو نزلت بكم فاقة فليتوضأ الرجل، فيحسن وضوءه، وليصل أربع ركعات أو ركعتين فإذا انصرف من صلاته فليقل: يا موضع كل شكوى، يا سامع كل نجوى، يا شافي كل بلاء، يا عالم كل خفية، يا كاشف ما يشاء من بلية، ويا نجى موسى، ويا مصطفى محمد ويا خليل إبراهيم أدعوك دعاء من اشتدت فاقته، وضعفت قوته وقلت حيلته، دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه إلا أنت يا أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

قال علي بن الحسين: لا يدعو بها أحد أصابه بلاء إلا قرأ الله تعالى عنه^(٢).

«حجاب الحسن بن علي عليه السلام»

اللهم يا من جعل بين البحرين حاجزاً وبرزخاً، وحجراً محجوراً، يا ذا القوة والسلطان، يا علي المكان، كيف أخاف وأنت أمني، وكيف أضام وعليك متكلي، غطني من أعدائك بستر، وأفرغ علي من صبرك، وأظهرني على

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج / ١، ص / ١٩٩.

(٢) كشف الغمة: ج / ٢، ص / ١٨٩ - ١٩٠، دار الأضواء بيروت ١٤٢١هـ.

أعدائك بأمرك، وأيدني بنصرك، إليك الملجأ، ونحوك الملجأ، فاجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، يا كافي أهل الحرم من أصحاب الفيل، والمرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، ارم من عاداني بالتنكيل، اللهم إني أسألك الشفاء من كل داء، والنصر على الأعداء، والتوفيق لما تحب وترضى، يا إله من في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، بك استكفي وبك استعفي، وبك استشفي، وعليك أتوكل، فسيكفيهم الله وهو السميع العليم^(١).

«ما تعلمه من أبيه من الدعاء»

يا عدتي عند كربتي، يا غياثي عند شدتي، يا وليي في نعمتي، يا منجي في حاجتي، يا مفزعي في ورطتي، يا منقذي من هلكتي، يا كالئي في وحدتي، اغفر لي خطيئتي، ويسر لي أمري، واجمع لي شملي، وأنجح لي طلبتي، وأصلح لي شأني، والغني ما أهمني، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، ولا تفرق بيني وبين العافية أبداً ما أبقيتني، وفي الآخرة إذا توفيتني، برحمتك يا أرحم الراحمين^(٢).

«ومن دعاء له ﷺ»

يا من إليه يفرّ الهاربون، وبه يستأنس المستوحشون، صل على محمد وآله، واجعل أنسي بك فقد ضاقت عني بلادك، واجعل توكلّي عليك فقد مال عليّ أعداؤك، اللهم صلى على محمد وآل محمد، واجعلني بك أصول، وبك أجول، وعليك أتوكل، وإليك أنيب، اللهم وما وصفتك من صفة، أو دعوتك من دعاء، يوافق ذلك محبتك ورضوانك ومرضاتك،

(١) مصباح الكفعمي: ص / ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) المصدر السابق: ص / ٣٠٣ - ٣٠٤.

فأحيني على ذلك، وأمتني عليه، وما كرهت من ذلك فخذ بناصيتي إلى ما تحب وترضى بؤتُ إليك ربي من ذنوبي، واستغفرك من جرمي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا هو الحليم الكريم، وصلى الله على محمد وآله، واكفنا مهمّ الدنيا والآخرة في عافية يا رب العالمين^(١).

«ومن دعائه ﷺ»

اللهم إنك الخلف من جميع خلقك، وليس في خلقك خلف منك، إلهي من أحسن فبرحمتك، ومن أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن رفدك ومعونتك، ولا الذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك، إلهي بك عرفتك، وبك اهتديت إلى أمرك، ولولا أنت لم أدر ما أنت، فيا من هو هكذا ولا هكذا غيره، صلّ على محمد وآل محمد وارزقني الإخلاص في عملي والسعة في رزقي، اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك، إلهي أطعتك ولك المنّة عليّ في أحبّ الأشياء إليك، الإيمان بك والتصديق برسولك، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك الشّرك بك والتكذيب برسولك، فاغفر لي ما بينهما يا أرحم الرّاحمين^(٢).

«دعاء لقضاء الحوائج»

ودعاء آخر علمه أمير المؤمنين لابنه الحسن ﷺ، إذا قصدت إنساناً لحاجة ما أكتب ذلك وأمسكه في يدك اليمنى وتذهب أين شئت، «اللهم إني أسألك يا الله يا واحد يا أحد يا وتر يا نور يا صمد، يا من ملأت أركانه السموات والأرض أن تسخر لي قلب فلان بن فلان كما سخرت الحية لموسى بن عمران ﷺ

(١) ابن طاووس، مهج الدعوات: ص / ١٤٣.

(٢) مهج الدعوات: ص / ١٤٤، الطبعة القديمة.

وأسألك أن تسخر لي قلبه كما لينت الحديد لداود عليه السلام وأسألك أن تذلل لي قلبه كما ذللت نور القمر لنور الشمس، يا الله هو عبد ابن أمتك وأنا عبدك ابن أمتك، أخذت بقدميه وبناصيته، فسخره لي حتى يقضي حاجتي هذه وما أريد، إنك عل كل شيء قدير، وهو على ما هو فيما هو لا إله إلا هو الحي القيوم»^(١).

«دعاؤه عليه السلام لما أتى معاوية»

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله العظيم الأكبر، اللهم سبحانه يا قيوم، سبحانه الحي الذي لا يموت، أسألك كما أمسكت عن دانيال أفواه الأسود وهو في الجب فلا يستطيعون إليه سبيلاً إلا بإذنك، أسألك أن تمسك عني أمر هذا الرجل وكلّ عدو لي في مشارق الأرض ومغاربها من الإنس والجن، خذ بأذانهم وأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم وجوارحهم، واكفني كيدهم بحول منك وقوة، وكن لي جاراً منهم، ومن كلّ جبار عنيد، ومن كلّ شيطان مريد لا يؤمن بيوم الحساب، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

«دعاؤه في ليلة القدر»

يا باطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه، ويا باطناً ليس يخفى، ويا ظاهراً ليس يُرى، يا موصوفاً لا يبلغ بكيئوته موصوف ولا حدّ محدود، ويا غائباً غير مفقود، ويا شاهداً غير مشهود، يطلب فيصاب، ولم يخُل منه

(١) مهج الدعوات: ص / ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) الأعراف / ١٩٦.

(٣) التوبة / ١٢٩.

(٤) مهج الدعوات: ١٤٣.

السّموات والأرض وما بينهما طرفة عين، لا يدركُ بكيف، ولا يؤيّنُ بأين ولا بحيث، أنت نور النّور، وزبّ الأرباب، أحطت بجميع الأمور، سبحان من ليس كمثلته شيء وهو السّميع البصير، سبحان من هو كذا ولا هكذا ولا غيره «ثمّ تدعو بما تريد»^(١).

«دعاؤه ﷺ لما دخل على ملك الروم»

الحمد لله الذي لم يجعلني يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً، ولا عابد الشمس والقمر، ولا الصّنم والبقر، وجعلني حنيفاً مسلماً ولم يجعلني من المشركين، تبارك الله ربّ العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين^(٢).

«دعاؤه إذا أحزنه أمر»

يا كهيعص، يا نور يا قدوس يا خير، يا الله يا رحمن - ردّها ثلاثاً - اغفر لي الذّنوب التي تحلّ النّقم، واغفر لي الذّنوب التي تغير النّعم، واغفر لي الذّنوب التي تهتك العصم، واغفر لي الذّنوب التي تنزل البلاء، واغفر لي الذّنوب التي تعجل الفناء، واغفر لي الذّنوب التي تقطع الرّجاء، واغفر لي الذّنوب التي تردّ الدّعاء، واغفر لي الذّنوب التي تمسك غيث السّماء واغفر لي الذّنوب التي تظلم الهواء، واغفر لي الذّنوب التي تكشف الغطاء^(٣).

(١) ابن طاووس، إقبال الأعمال: ص / ٢١١.

(٢) بجار الأنوار: ج / ١٠، / ١٣٢ - ١٣٣.

(٣) ابن طاووس: المجتبي: ص / ٦١.

«احتجاجه على عمرو بن العاص»

روى الجاحظ عن الإمام

الحسن عليه السلام أنه قال: «قد



بعض من احتجاجاته عليه السلام

علمت قريش بأسرها أنني منها في عزّ أرومتها، لم أطع على ضعف، ولم أعكس على خسف، أعرف نسبي وأدعى لأبي، أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فحجّ قصد، ولا حللت راية مجد، أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح، فإنه طال ما تأخر شأوك واستسر داؤك، وطمح بك الرجال إلى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك، أما والله لتوشكن يا بن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا ينجيك منه الروغان إذا التقت حلقتا البطان»^(١).

«احتجاجه عليه السلام على عبد الله بن الزبير»

روى الجاحظ عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال لابن الزبير: «أما والله لولا أن بني أمية تسبني إلى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا ولكن سأبين لك ذلك لتعلم أنني لست بالعي ولا الكليل اللسان، إياي تعير وعليّ تفتخر، ولم يكن لجذك بيت في الجاهلية ولا مكرمة إلا تزوجه عمتي صفية بنت عبد المطلب،

(١) المحاسن والأضداد: ص / ٨٥، دار صعب- بيروت «١٩٦٩م» تحقيق: فوزي عطوي.

فبذخ على جميع العرب بها وشرف بمكانها، فكيف تفاخر من هو في القلادة واسطتها ومن الأشراف سادتها، نحن أكرم أهل الأرض زناً، لنا الشرف الثاقب، والكرم الغالب، ثم تزعم أنني سلمت الأمر، فكيف يكون ذلك ويحك؟ كذلك وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين ﷺ وخيرة الإماء، لما أفعل ذلك جناً ولا ضعفاً، ولكنه بايعني مثلك وهو يطلبني برّة ويداجيني المودة، ولم أثق بنصرته لأنكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول؟ وقد بايع أبوك أمير المؤمنين ﷺ ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه، واختدع حشية من حشايا رسول الله ﷺ ليضل بها الناس فلما دلف نحو الأعنة ورأى بريق الأستة، قتل مضيعة لا ناصر له، وأتى بك أسيراً قد وطأتك الكماة بأظلافها، والخيول بسنابكها، واعتلاك الأستر، فغصصت بريقك، وأقعيت على عقبيك، كالكلب إذا احتوشته الليوث، فنحن - ويحك - نور البلاد وأملاكها، وينا تفخر الأمة، وإلينا تلقى مقاليد الأزمة، أتصول وأنت تختدع النساء؟ ثم تفخر على بني الأنبياء، لم تزل الأقاويل منا مقبولة، وعليك وعلى أهلك مردودة، دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين ﷺ فسار إلى أهلك وطلحة حين نكثنا البيعة، وخذعنا عرس رسول الله ﷺ، فقتل أبوك وطلحة، وأتى بك أسير تبصص بذنك، فناشدته الرّحم أن لا يقتلك فعفا عنك فأنت عتاقة أبي، وأنا سيّدك وسيّد أهلك، فذق وبال أمرك.

ثم التفت إلى معاوية وقال: «أنظر هل أكعب عن محاوره أحد ويحك أتدري من أي شجرة أنا وإلى من أنتمي؟ انته قبل أن أسمك بميسم تتحدث به الرّكبان في الآفاق والبلدان»^(١).

«احتجاجه عليه السلام على جماعة في مجلس معاوية»

قال الجاحظ: إن الحسن عليه السلام كلم نقرأ في محضر معاوية حيث افتخروا عليه بالمآثر المكذوبة، وهم عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وزباد بن أبيه، فبعثوا إليه فجاء عليه السلام ومعه ابن عباس فتكلموا بما تكلموا فقال عليه السلام: «من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحجّة، ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا، ويصوّر الباطل بصورة الحق!»

ثم وجه خطابه إلى عمرو بن العاص فقال: «يا عمرو افتخار بالكذب وجرأة على الإفك ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة، أبعديها مرة وأمسك عنها أخرى فتأبى إلا أنّهما كافي الضلالة، أتذكر مصابيح السّجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد، وحقوق الأقران، وأبناء الطعان، وريع الضيفان، ومعدن النبوة ومهبط العلم؟ وزعمتم أنّكم أحمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال وتساورت الأقران واقتحمت اللّيوث، واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها، وافترت عن نابها، وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم، ومنّ النبي صلى الله عليه وآله على ذراريكم، فكنتم لعمرى في ذلك اليوم غير مانعي لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب».

ثم التفت إلى مروان فقال له: «وما أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريش وأنت طليق وأبوك طريد، يقتلب من خزاية إلى سواة، ولقد جيء بك، إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلما رأيت الضّرغام قد دُميت برائته واشتبتك أنيابه، كُنْتَ كما قال القائل:

لَيْتُ إِذَا سَمِعَ اللَّيْوْثَ زَنْبِيهِ بَصَبَصْنَ ثُمَّ قَذَفْنَ بِالْأَبْعَارِ

فلما منّ عليك بالعفو وأرخی خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت

بريقك، لم تقعد معنا مقعد أهل الشكر، ولكن تساوينا وتجارينا ونحن ممن لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية!

ثم وجه عليه السلام خطابه إلى زياد فقال له:

«وما أنت يا زياد وقريشاً، لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً، ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمك بغياً تداولها رجال قريش وفجار العرب، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والذآ فادعاك هذا - وأشار إلى معاوية - بعد ممات أبيه، ما لك والافتخار؟!

تكفيك سمية، ويكفينا رسول عليه السلام وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبه، وعمي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة!

ثم التفت إلى ابن عباس قائلاً: «يا ابن العم إنما هي بغات الطير انقض عليها أجدل»^(١).

«احتجاجه عليه السلام على مروان بن الحكم»

«ويك يا مروان، لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها، هبلتك أمك، لنا الحجج البوالغ، ولنا عليكم إن شكرتم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار، فشتان ما بين المنزلتين، تفتخر بني أمية وتزعم أنهم صبر في الحرب أسدً عند اللقاء، ثكلتك الثواكل، أولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب، أما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال، ولا حادوا في الأبطال، كالليوث الضارية الباسلة الحنقة، فعندها

(١) المصدر السابق: ص / ٧٩ - ٨٠.

وليت هارباً وأخذت أسيراً، فقلدت قومك العار، لأنك في الحروب خوَّار،
 أتَهْرِيقُ دمي؟ فهلا أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح
 الجمل، وأنت تَنغُو نُغَاءَ النَّعْجَةِ، وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء، ما
 دفعت عنهم بسهم، ولا منعت دونه بحرب، قد ارتعدت فرائصك، وغشي
 بَصْرُكَ، واستغث العبد بربه فأنجيتك من القتل، ثم جعلت تبحث عن دمي
 وتحض علي قتلي، ولو رام ذلك معاوية معك لذبح ابن عفان وأنت معه،
 أقصرُ يداً، وأضيقُ باعاً، وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك، ثم تزعم أنني
 ابتليت بحلم معاوية، أما والله لهو أعرف بشأنه، وأشكر لنا إذا وليناه هذا الأمر،
 فمتى بدا له فلا يَغْضِيَنَّ جفنه على القذى معك فوالله لأعنفن أهل الشام
 بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه، ثم لا ينفك عند ذلك الروغان والهرب
 ولا تنتفع بتدريجك الكلام، فنحن ممن لا يُجهل أباًؤنا الكرام القدماء الأكابر،
 وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل، انطلق إن كنت صادقاً»^(١).

«احتجاج السبط عليه على الحاكم الأول»

روى الشيخ عبد الله البحراني قدس سره، عن الشعبي قال: قام
 الحسن بن علي عليه إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر فقال له: «انزل
 عن منبر أبي!» فقال أبو بكر: صدقت، والله آتة لمنبر أبيك لا منبر أبي...^(٢)

(١) المصدر السابق: ص / ٨٤.

(٢) عوالم العلوم: ص / ٢٤٦.

الأنوار السنية في المعاجز الحسينية



«ردّه عليه السلام على الأعرابي المُحَرَّم»

روى الحسين بن حمدان

الخصيبي، قال: حدثني جعفر

ابن أحمد القصير البصري، عن محمد بن عبد الله بن مهران الكرخي، عن محمد بن صدقة العنبري، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر «الجعفي» عن أبي عبد الله عليه السلام: أن أعرابياً بدوياً خرج من قومه حاجاً محرماً فورد على دحي نعام فيه بيض فأخذه فاشتواه وأكل منه وذكر أن الصيد حرام في الإحرام فورد المدينة، فقال الأعرابي: أين خليفة رسول الله ﷺ فقد جنيت جناية عظيمة؟ فأرشد إلى أبي بكر، فورد عليه الأعرابي وعنده ملاً من قريش فيهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة، فسلم الأعرابي عليهم وقال: يا قوم أين خليفة رسول الله ﷺ؟ فقالوا هذا خليفة رسول الله، فقال له: أفتني، فقال له أبو بكر: قل يا أعرابي، فقال: إني خرجت من قومي حاجاً محرماً فأتيت على دحي فيه بيض نعام فأخذه واشتوته وأكلته فماذا لي من الحح؟ وما عليّ فيه أحلال ما حرم عليّ من الصيد أم حرام؟

فأقبل أبو بكر على من حوله، فقال حوارى رسول الله ﷺ وأصحابه: أجيئوا الأعرابي، قال له الزبير من دون الجماعة: أنت خليفة رسول الله ﷺ، فأنت أحق بإجابته، فقال أبو بكر: يا زبير حُبّ بني هاشم في صدرك، فقال: وكيف لا وأمي صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ؟ فقال الأعرابي: ذهبت فتياي وتنازع القوم فيما لا جواب فيه، فصاح: يا أصحاب رسول الله ﷺ استرجع بعد محمّد دينه فيرجع عنه؟! فسكت القوم، فقال له الزبير: يا أعرابي ما في القوم إلا من يجهل ما جهلت، قال له الأعرابي: ما أصنع؟ قال له الزبير: لم يبق في المدينة من تسأله بعد من ضمّه هذا المجلس إلا صاحب الحقّ الذي هو أولى بهذا المجلس منهم.

قال الأعرابي: فترشدني إليه؟ قال له الزبير: إنّ إخباري يسرّ قوماً ويسخط قوماً آخرين، قال الأعرابي: وقد ذهب الحقّ وصرتم تكرهونه فقال عمر: إلى كم تطيل الخطاب يا بن العوام؟ قوموا بنا والأعرابي إلى عليّ فلا نسمع جواب هذه المسألة إلا منه.

فقاموا بأجمعهم والأعرابي معهم، حتّى صاروا إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فاستخرجوه منه، وقالوا للأعرابي: اقصص قصتك على أبي الحسن، فقال الأعرابي: فلم أرشدتموني إلى غير خليفة رسول الله ﷺ؟

فقالوا: ويحك يا أعرابي خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر وهذا وصيّته في أهل بيته وخليفته عليهم وقاضي دينه ومنجز عداته وإرشاد علمه، فقال: ويحكم يا أصحاب رسول الله ﷺ والذي أشرتُم إليه بالخلافة، ليس فيه من هذه الخلال خلّة واحدة؟ فقالوا: ويحك يا أعرابي سل عمّا بدالك، ودع ما ليس من شأنك.

فقال الأعرابي: يا أبا الحسن يا خليفة رسول الله ﷺ إني خرجتُ من قومي محرماً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: تريد الحج فوردتَ على دحى وفيه بيض نعام فأخذته واشتوته وأكلته.

فقال الأعرابي: نعم يا مولاي، فقال له: وأتيت تسأل عن خليفة رسول الله ﷺ، فأرشدتَ إلى مجلس أبو بكر وعمر وأبدتَ بمسألتك فاختمهم القوم ولم يكن منهم من يجيبك عن مسألتك؟

فقال: نعم يا مولاي، فقال له: يا أعرابي الصبي الذي بين يدي مؤدبه صاحب الذؤابة فإنه ابني الحسن، فسله فإنه يفتيك.

قال الأعرابي: إننا لله وإننا إليه راجعون مات دين محمد ﷺ بعد موته وتنازع القوم وارتدوا..

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام حاش لله يا أعرابي، ما مات دين محمد ﷺ ولن يموت.

قال الأعرابي: أفمن الحق أن أسأل خليفة رسول الله ﷺ وحواريه وأصحابه فلا يفتوني ويحيلوني عليك فلا تجيبني وتأمرني أن أسأل صبياً بين يدي المعلم، لعله لا يفصل بين الخير والشر؟!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا أعرابي ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١)، فأسأل الصبي فإنه يُنبئك.

فمال الأعرابي إلى الحسن عليه السلام وقلمه في يده يخط في صحيفته خطأً، ويقول مؤدبه: أحسنت أحسنت أحسن الله إليك يا حسن.

فقال الأعرابي: يا مؤدّب يحسن الصّبي فتعجب من إحسانه وما أسمعك تقول له شيئاً حتى كأنه مؤدّبك.

قال: فضحك القوم من الأعرابي وقالوا إليه: ويحك يا أعرابي سل وأوجز، قال الأعرابي: فديتك يا حسن إنّي خرجتُ من قومي حاجاً محرماً فوردت على دحى فيه بيض نعام فشويته، وأكلته عامداً وناسياً.

فقال له الحسن عليه السلام: زدت في القول يا أعرابي، قولك عامداً لم يكن هذا من مسألتك، هذا عبث.

قال الأعرابي: صدقت ما كنت إلا ناسياً، فقال له الحسن عليه السلام وهو يخط في صحيفته: يا أعرابي خذ بعدد البيض نوقاً فاحمل عليها فنيقاً فما نتجت من قابل فاجعله هدياً بالغ الكعبة فإنه كفارة فعلك.

فقال الأعرابي: فديتك يا حسن إن من النّيق من يزلقن^(١)، فقال الحسن عليه السلام: يا أعرابي إن من البيض ما يمرقن^(٢).

فقال الأعرابي: إن هذا الصّبي مُحدق في علم الله مُغرق، ولو جاز أن يكون ما قلته، لقلت: إنك خليفة رسول الله ﷺ، فقال له الحسن عليه السلام: يا أعرابي أنا الخلف من رسول الله ﷺ وأبي أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة، فقال الأعرابي: وأبو بكر ماذا؟ فقال الحسن: سلهم يا أعرابي، فكبر القوم وعجبوا بما سمعوا من الحسن عليه السلام.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي جعل فيّ وفي ابني هذا ما جعله في داوود وسليمان إذ يقول الله عزّ وجلّ من قائل ﴿فَفَهَّمْنَاهَا

(١) أزلقنت الإبل: ألقنت ولدها قبل تمامه.

(٢) مرقت البيضة: فسدت فصار ماءً.

سُلَيْمَانَ ﴿٢﴾^(١).

«صيرورة الرجل امرأة وإرجاعه رجلاً»

روى القطب الراوندي قدس سره، قال: روي أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: إن الحسن بن علي عليه السلام رجلٌ عَيّ، وإنّه إذا صعد المنبر ورمقوه بأبصارهم خجل وانقطع، لو أذنت له.

فقال له معاوية: يا أبا محمّد لو صعدت المنبر ووعظتنا.

فقام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر جدّه فصلّى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب وابن سيّدة النّساء فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنا ابن رسول الله، أنا ابن نبي الله، أنا ابن السّراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، أنا ابن من بعث إلى الجن وإلى الإنس، أنا ابن خير خلق الله بعد رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقي، أنا أحد سيّدي شباب أهل الجنة، أنا ابن الرّكن والمقام، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المشعر والعرفات، فغاضه معاوية فقال: خذ في نعت الرّطب ودع ذا، فقال: الرّيح تنفخه، والحرّ ينضجه، ويرد الليل يطيّبه، ثمّ عاد فقال: أنا ابن الشّفيق المطاع، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة، أنا ابن من خضعت له قريش، أنا ابن إمام الخلق وابن محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فخشي معاوية أن يفتن به النّاس فقال: يا أبا محمّد انزل فقد كفى ما

(١) آل عمران / ٣٣.

(٢) الهداية الكبرى: ص / ١٨٧.

جری، فنزل فقال له معاوية: ظننت أن ستكون خليفة وما أنت وذاك، فقال الحسن عليه السلام: «إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة رسول الله، ليس الخليفة من سار بالجور وعطل السنة واتخذ الدنيا أباً وأمّاً، مَلَكَ ملكاً متّع به قليلاً، ثم ينقطع لذته وتبقى تبعته.

وحضر المحفل رجل من بني أمية وكان شاباً فأغلظ على الحسن كلامه وتجاوز الحد في السب والشتم له ولأبيه، فقال الحسن عليه السلام: «اللهم غير ما به من النعمة واجعله انثى ليعتبر به»، فنظر الأموي في نفسه وقد صار امرأة، قد بدل الله له فرجه بفرج النساء وسقطت لحيته.

ثم قال له الحسن عليه السلام: «أغرّبي ما لك بمحفل الرجال فإنك امرأة، ثم إن الحسن عليه السلام سكت ساعة ثم نفص ثوبه ونهض ليخرج، فقال له ابن العاص: اجلس فأني أسألك مسائل، فقال عليه السلام: سل عما بدا لك، قال عمرو: أخبرني عن الكرم والتجدة والمروءة، فقال عليه السلام: «أما الكرم فالتبرع بالمعروف والإعطاء قبل السؤال، وأما التجدة فالذب عن المحارم والصبر في المواطن والمكاره، وأما المروءة فحفظ الرجل دينه وإحرازه نفسه من الدنس وقيامه بأداء الحقوق وإفشاء السلام، ونهض فخرج، فعذل معاوية عمراً وقال له: أفسدت أهل الشام، فقال عمرو: إليك عني إن أهل الشام لم يحبوك محبة إيمان ودين إنما أحبوك للدنيا ينالونها منك والسيف والمال بيدك فما يُغني عن الحسن كلامه، ثم شاع أمر الشاب الأموي وأتت زوجته إلى الحسن عليه السلام فجعلت تبكي وتتضرع فرق لها ودعا له فجعله الله تعالى كما كان^(١).

(١) الخرائج والجرائح: ج / ١، ص / ٢٣٦.

«علوه ﷺ في الهواء وغيوبته في السماء»

روى محمد بن جرير الطبري رحمه الله: قال: وحدثنا أبو محمد، قال: حدثنا وكيع عن الأعمش، عن مروان، عن جابر، قال: رأيت الحسن بن علي وقد علا في الهواء وغاب في السماء، فأقام بها ثلاثاً، ثم نزل بعد الثلاث وعليه السكينة والوقار، فقال: بروح آبائي نلت ما نلت^(١).

«تلبية النخلة له»

روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن محمد البلوي، ثم الأنصاري قال: قال عمارة بن زيد: سمعت إبراهيم ابن سعد يقول: سمعت محمد بن إسحاق يقول: كان الحسن والحسين ﷺ طفلان يلعبان فرأيت الحسن وقد صاح بنخلة فأجابته بالتلبية وسعت إليه كما يسعى الولد إلى والده^(٢).

«إخراجه من الصخرة عسلاً»

روى محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو محمد سفيان عن أبيه، قال: أخبرنا الأعمش، عن كثير بن سلمة، قال: رأيت الحسن بن علي ﷺ في حياة رسول الله ﷺ قد أخرج من صخرة عسلاً ما ذياً فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته قال: أتكررون لابني هذا؟ وإنه سيد ابن سيد يصلح الله به بين الفتيين وتطيعه أهل السماء في سمائه وأهل الأرض في أرضه^(٣).

(١) دلائل الإمامة: ص / ٦٤.

(٢) دلائل الإمامة: ص / ٦٣.

(٣) المصدر: ص / ٦٤.

«الطير تظله وتجيئه»

روى محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد، قال: حدثنا سلمة بن محمد، قال: أخبرنا محمد بن علي الجاشي، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبي عروبة سعيد بن أبي سعيد، عن أبي سعيد الخدري، قال: رأيت الحسن بن علي عليه السلام وهو طفل والطير تظله ورأيته يدعو الطير فتجيئه^(١).

«إتيانه عليه السلام بالمطر والبرد واللؤلؤ»

عن محمد بن جرير الطبري، قال: حدثنا أبو محمد بن سفيان، عن أبيه، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن منصور، قال: رأيت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد خرج مع قوم يستسقون فقال للناس: أيما أحب إليكم المطر، أم البرد، أم اللؤلؤ؟ فقالوا يا بن رسول الله ما أحببت.

فقال: على أن لا يأخذ أحد منكم لذيابه شيئاً فأتاهم بالثلاث ورأيناه يأخذ الكواكب من السماء، ثم يرسلها فتطير كالعصافير إلى مواضعها^(٢).

«إنه عليه السلام أرى أصحابه، معاوية وعمرو بن العاص وأصحابه

بظهر الكوفة وهما بمصر ودمشق»

روى محمد بن جرير الطبري، قال: وحدثنا أبو محمد، قال: حدثنا عمارة بن زيد، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال حدثنا محمد بن جرير، قال: أخبرنا ثقيف البكاء، قال: رأيت الحسن بن علي عليه السلام عند منصرفه من

(١) دلائل الإمامة: ص / ٦٤.

(٢) دلائل الإمامة: ص / ٦٤.

معاوية، وقد دخل عليه حجر بن عدي، فقال: السّلام عليك يا مدّل المؤمنين، فقال: مهّ ما كنت مدّلهم، بل أنا معزّ المؤمنين، وإنّما أردت الإبقاء عليهم، ثمّ ضرب برجله في فسطاطه، فإذا أنا في ظهر الكوفة، وقد خرق إلى دمشق ومضى حتّى رأينا عمرو بن العاص بمصر ومعاوية بدمشق، فقال: لو شئت لنزعتهما ولكن هاه هاه ومضى محمّد ﷺ على منهاج وعلي ﷺ على منهاج وأنا أخالفهما لا يكون ذلك مني^(١).

«الموائد التي نزلت عليه ﷺ من السّماء مع الملائكة»

روى محمّد بن جرير الطّبري، قال أبو جعفر: حدثنا أبو محمّد سفيان، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا أبو موسى، قال: حدثنا قبيصة بن إيّاس، قال: كنت مع الحسن بن علي وهو صائم ونحن نسير معه إلى الشّام وليس معه زاد ولا ماء ولا شيء إلا ما هو عليه راكب، فلما أن غاب الشّفق وصلى العشاء فتحت أبواب السّماء وعُلّق فيها القناديل ونزلت الملائكة ومعهم الموائد والفواكه وطسوت وأباريق وموائد تنصب ونحن سبعون رجلاً فنقل من كلّ حارٍ وبارد حتّى امتلأنا، ثمّ رفعت علي هيبتها لم تنقص^(٢).

«إخراجه البحور والسّفن والسّماء منها»

قال أبو جعفر الطّبري: حدثنا أبو محمّد سفيان، عن أبيه، عن الأعمش، عن مورك، عن جابر، قال: قلت للحسن بن علي ﷺ أحبُّ أن تُريني

(١) المصدر: ص / ٦٤.

(٢) دلائل الإمامة: ص / ٦٥.

معجزة تحدث بها عنك ونحن في مسجد رسول الله، فضرب برجله الأرض حتى أراني البحور وما يجري فيها من السفن، ثم أخرج من سمكها فأعطانيه، فقلت لابني محمد: أحمله إلى المنزل فحمله فأكلنا منه ثلاثاً^(١).

«دفعه ﷺ إلى البيت إلى الهواء»

قال أبو جعفر الطبري: حدثنا سفيان عن أبيه، عن الأعمش، عن القاسم بن إبراهيم الكلابي، عن زيد بن أرقم، قال: كنت بمكة والحسن بن علي ﷺ بها، فسألناه أن يرينا معجزة تحدث بها عندنا بالكوفة، فرأيته وقد تكلم ورفع البيت حتى علا به في الهواء وأهل مكة يومئذ معتمرون مكبرون، ثم ردنا إلى الموضع فمن قائل يقول: ساحر، ومن قائل يقول: أعجوبة، فجاء خلق كثير تحت البيت، والبيت في الهواء، ثم رده^(٢).

«إخباره بما في بقرة حبلى ووصفه»

قال أبو جعفر الطبري: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد البلوي، قال: حدثنا عمار بن زيد المدني، حدثني إبراهيم بن سعد وإبراهيم بن مسعر كلاهما عن محمد بن إسحاق صاحب المغازي، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عباس، قال: مرّت بالحسن بن علي ﷺ بقرة فقال: هذه حبلى بعجلة أنثى لها عُرّة في جبهتها ورأس ذنبها أبيض، فانطلقنا مع القصاب حتى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها، فقلنا له: أو ليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٣)، فكيف علمت بهذا؟

(١) المصدر: ص / ٦٥.

(٢) المصدر: ص / ٦٦.

(٣) لقمان / ٣٤.

فقال عليه السلام: إنا نعلم المكنون المخزون المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمّد وذريته عليهم السلام ^(١).

«إحياء ميّت»

عن أبي جعفر الطّبري قال: روى علي بن أبي حمزة، عن علي بن معمر، عن أبيه، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء النَّاس إلى الحسن فقالوا له: أرنا ما عندك من عجائب أبيك التي كان يريناها، قال: وتؤمنون بذلك؟ قال كلهم: نعم نؤمن به والله، قال: فأحيا لهم ميّتاً بإذن الله تعالى! فقالوا بأجمعهم: نشهد بأنك ابن أمير المؤمنين حقاً وإنه كان يرينا مثل هذا كثيراً ^(٢).

«معرفة عليه السلام بالأسود صاحب الدهن وما ولد له»

روى محمّد بن يعقوب «الكليني»: عن الحسين بن محمّد، عن مُعلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن علي بن السّنعمان، عن صندل، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسن بن علي إلى مكة سنة ماشياً فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم، فقال: كلا إذاً هذا المنزل فإنه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشتر منه ولا تماكسه.

فقال له مولاه: بأبي أنت وأمي ما قدّامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدّواء، فقال: بلى إنّه أمامك دون المنزل، فسارا ميلاً فإذا هو بالأسود.
فقال الحسن عليه السلام لمولاه: دونك الرّجل فخذ منه الدهن وأعطه الثّمن،

(١) دلائل الإمامة: ص / ٦٧.

(٢) دلائل الإمامة: ص / ٦٨.

فقال الأسود: يا غلام لمن أردت هذا الدهن؟ فقال: للحسن بن علي، فقال: انطلق بي إليه، فانطلق به فأدخله إليه، فقال له: بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك تحتاج إلى هذا أو ترى ذلك ولست أخذ له ثمناً، إنما أنا مولاك ولكن ادع الله أن يرزقني ذكراً سوياً يحبكم أهل البيت فإنني خلفت أهلي وهي تمخض.

فقال: انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا^(١)، قال أبو جعفر الطبري^(٢): فرجع الأسود فإذا أهله قد وضعت غلاماً سوياً، فعاد إلى الحسن فأخبره بذلك ودعا له وقال له خيراً، ومسح الحسن رجله بذلك الدهن، فما برح من مجلسه حتى سكن ما به ومشى على رجله.

«إعطاء الرطب من النخلة اليابسة»

روى محمد بن الحسن الصفار، الهيثم بن النهدى، عن إسماعيل بن مهران، عن عبد الله الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خرج الحسن بن علي عليه السلام في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته فنزلوا في منهل من تلك المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن عليه السلام تحت نخلة، وفرش للزبير بحذائه تحت نخلة أخرى، قال: فقال الزبير ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه، فقال له الحسن عليه السلام: وإني لتشتهي الرطب؟ فقال الزبير: نعم، فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه فاخضرت النخلة، ثم صارت إلى حالها

(١) الكافي: ج / ١، ص / ٤٦٣، ح / ٦.

(٢) دلائل الإمامة: ص / ٦٨.

فأورقت أو حملت رطباً فقال الجمال الذي اکتروا منه: سحر والله هذا! قال: فقال الحسن عليه السلام: ويلك ليس بسحر، ولكن دعوى ابن نبي مستجابة، قال: فصعدوا إلى النخلة فصرموا ما كان فيها فكفاهم^{(١)(٢)}.

«معرفة بلغات من كان بمدینتین بالمشرق والمغرب»

روى محمد بن يعقوب الكليني: عن أحمد بن محمد، ومحمد بن محمد بن الحسن، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الحسن بن علي عليه السلام قال: إن الله مدینتین إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد، وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع، وفيهما ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليها حجة غيري وغير أخي الحسين^(٣).

(١) صرموا: أي قطعوا.

(٢) بصائر الدرجات: ج/ ٥، ص/ ٢٤٦، باب/ ١٤، حديث/ ١٠.

(٣) الكافي: ج/ ١، ص/ ٤٦٢، ح/ ٥.

الذئاب العاوية من جرائم معاوية



إنّ الكثير من حقائق
التأريخ التي حاول البعض
سترها أو التّغاضي عنها، كان

لا بد لها، وبلطف من الله سبحانه أن تكون ظاهرة ناصعة للناس والأجيال
تأخذ منها الدّروس والعبر، ولكي نضع الأمور مواضعها حتّى تكون نظرتنا
للتأريخ نظرة احترام وتقدير.

وحثّى يمكن التّمييز بين الخبيث والطّيب كان للتأريخ مواقف من
الأشخاص والجماعات موافقاً لهذا التّمييز رغم تسلط قوى الشرّ في أكثر
حقب التأريخ واستخدامهم للسلطة في تشويه الحقائق وإظهارها بغير
مظهرها، إلا إنّنا نرى إنّ واقع التّمييز لا بد وأن يحصل ويعطي مدلولاته
المعرفية ذلك للإرادة الإلهية في إظهار حقائق الأمور، وشخصية مثل
شخصية معاوية وهو مؤسس الكيان الأموي لا بد لها أن تأخذ مساحة
ليست بالقصيرة من اهتمام التأريخ وواضعيه.

فكانت من نتائجها آراء متباينة وأفكاراً متضاربة حول هذه الشخصية
أوجبت دخول الكثير من الباحثين في صراع كبير حول تقييم حاله
والتعرف عليه.

ولقد كنا نرتأي أنّ معاوية في غنى عن إضافة القول في جرائمه ومخاريقه، لما عرفته الأمة من نفسيته الموبوءة، وأعماله الوبيلة، وجرائمه الموبقة الجمة، ورتائله الكثيرة، ونسبه الموسوم، وأصله اللثيم، ومحتده الدني، وإنّ من يضع فيه المدائح تندى جبهته عن سردها لمثله، غير أنّنا وجدنا الأمل قد أكدي، والظن قد أخفق، وإنّ القحّة والصلف لم يدعا لأولئك الوضاعين حدّاً يقضون عليه، وفي هذه السطور الخجلى بين أنامل القارئ الكريم حاولنا أن نذكر يسيراً من جرائمه وموبقاته لإيقاف القارئ على حقيقة الحال فيما عزّوه إليه من الثناء، غير مكترئين لهلجة ابن كثير، والهتاف الذي سمعه بعض السلف على جبل بالشام - ولعل الهتاف هو الشيطان -: «من أبغض معاوية سحبته الزبانية إلى جهنم الحامية، يرمى به في الحامية الهاوية!»

ولا معتدين برأي سعيد بن المسيب: «من مات محباً لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب»^(١).

ثمّ إنّ معاوية لم يبرح مستصغراً كلّ كبيرة في توطيد سلطانه، مستسهلاً دونه كلّ صعب، فكان من الهين عنده في ذلك كلّ بائقة، ومنها دأبه على سفك دماء الشيعة - شيعة الإمام الطاهر - في أقطار حكومته، وفي جميع مناطق نفوذه، واستباحة أموالهم وأعراضهم، وقطع أصولهم بقتل ذراريهم وأطفالهم، ولم يستثن النساء، وهم المعنيون بثناء صاحب الرسالة ﷺ^(٢).

(١) تاريخ ابن كثير: ج / ٨، ص / ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري: ج / ٣٠، ص / ١٤٦، والفضول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ص / ١٢٤، ومناقب الخوارزمي: ص / ١١، ج / ١٢٠.

وَهَبَ أَنْ هَذَا الثَّنَاءُ لَمْ يَصْدُرَ مِنْ مَصْدَرِ النَّبْوَةِ، أَوْ أَنَّ رَوَايَتَهُ لَمْ تَبْلُغْ ابْنَ أَكْلَةَ الْأَكْبَادِ، فَهَلْ هُمْ خَارِجُونَ عَنِ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ الْمَحْرَمِ لِلنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْحَرَمَاتِ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ؟ وَهَلْ اقْتَرَفُوا إِثْمًا لَا يَغْفَرُ أَوْ عَثَرُوا عَثْرَةً لَا تَقَالُ غَيْرَ وَلَا يَتَّهَمُ لِإِمَامٍ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خِلَافَتِهِ، وَحَثَّ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَى إِتْبَاعِهِ وَوَلَاتِهِ إِثْرَ مَا نَزَلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ وَلايَتِهِ؟ أَوْ أَنَّ ابْنَ صَخْرٍ حَصَلَ عَلَى حُكْمٍ لَمْ يَعْرِفْهُ الْمُسْلِمُونَ يَعْارِضُ كُلَّ تَلَكُمِ الْأَحْكَامِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟ أَوْ أَنَّهُ لَا يَتَحَوَّبُ بَارْتِكَابِ الْمَوْبِقَاتِ فَيَبْلُغُ فِي الدَّمَاءِ وَلَوْغًا؟

ومن أبرز هؤلاء الذناب الذين كانوا يأترون بأوامر معاوية ابن أكلة الأكباد، ويريقون دماء شيعة علي بإشارة من إصبه، أو بغمزة من عينيه أو حاجبيه هم:

- ١- بسر بن أرطاة الفهري.
- ٢- عمرو بن العاص.
- ٣- أبو الأعور السلمي.
- ٤- الوليد بن عقبة.
- ٥- عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
- ٦- مروان بن الحكم.
- ٧- سمرة بن جندب.
- ٨- الضحاك بن قيس الفهري.
- ٩- عمرو بن سعيد بن العاص.

١٠ - المغيرة بن شعبة.

١١ - زياد بن سمية.

١٢ - عبيد الله بن زياد.

ولأجل أن يعطي الشريعة لأعماله وجرائمه القذرة بحق عليّ ﷺ وشيعته، وجه خطاباً عاماً إلى جميع ولاته في الأقطار ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي فقال: ... كتب [معاوية] إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإن هذا أحب إليّ، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله، ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الدّيوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفّع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره^(١)..

وها هو جيش بسر بن أرطاة يغير على القرى والمدن ويعيث في الأرض فساداً كما بيّنا في فصول سابقة، وكيف أنه ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس، بيديه القذرتين لعنة الله عليه وعلى من أمره.

ولقد دعا أمير المؤمنين على بسر لعنه الله فقال: «اللهم اسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله» فأصابه ذلك وفقد عقله، وكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زُقّ منفوخ فلا

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ٢، ص / ١٥.

يزال يضربه حتى يسأم^(١).

كان بسر بن أرطأة قاسي القلب، فظاً سفاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره معاوية أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهلهم على طاعة عليّ إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاء لهم، وأنتك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا.

١ - «من هو بسر بن أرطأة»

قال الدارقطني: بسر بن أرطأة لم تكن له استقامة^(٢)..

وقال ابن عبد البر القرطبي: إنه لم يسمع من النبي ﷺ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو صغير..

وكان يحيى بن معين يقول: لا تصح له صحبة، وكان يقول فيه: كان بسر بن أرطأة رجل سوء^(٣)..

وقال ابن حجر العسقلاني: ولاء معاوية اليمن وكانت له بها آثار غير محمود^(٤).

وقال ابن أبي الحديد: ... كان قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره معاوية^(٥).

(١) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني: ج / ١٥، ص / ٤٤ - ٤٧.

(٢) أسد الغابة: ج / ١، ص / ١٧٩.

(٣) الاستيعاب: ص / ٢٤١ - ٢٤٦.

(٤) تهذيب التهذيب: ج / ١، ص / ٤٣٥.

(٥) شرح نهج البلاغة: ج / ٢، ص / ٦.

وقال ابن عبد البر القرطبي: وفي هذه الخرجة أغار بسر بن أرطأة على همدان، وقتل وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام، وقتل أحياء من بني سعد.

حدثنا أحمد بن عبد الله.. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة.. حدثنا زيد بن الحباب.. عن أبي الزباب وصاحب له، إنهما سمعا أبا ذر رضي الله عنه يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها أطال قيامها وركوعها وسجودها، قال: فسألناه، ممّ تعوذت وفيم دعوت؟ فقال: تعوذت بالله من يوم البلاء يُدركني، ويوم العورة، فقلنا: وما ذاك؟ قال: أما يوم البلاء فتلتقي فتیان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضاً، وأما يوم العورة، فإن نساء من المسلمات لیسبین، فيكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشترت على عظم ساقها، فدعوت الله ألا يدركني هذا الزمان ولعلكما تدركانه، قال: فقتل عثمان ثم أرسل معاوية بسر بن أرطأة إلى اليمن، فسبى نساء مسلمات، فأقمن في السوق^(١)، وهذا غيض من فيض جرائم هذا اللعين، عليه وعلى معاوية الزنيم لعائن الله.

قال ابن أبي الحديد: وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرّق قوماً بالنار، فقال يزيد بن مفرغ:

إلى حيث سار المرء بسراً بجيشه فقتل بسر ما استطاع وحرّقا

قال: ثم خرج بسر من صنعاء، فأتى أهل جيشان وهم شيعة لعلي عليه السلام فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ثم رجع إلى صنعاء، فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس لأن ابني عبيد الله بن عباس كانا مستترين في بيت

(١) الاستيعاب: ج / ١، ص / ٢٤٢.

امرأة من أبنائهم تعرف بابنة يزرع^(١).

٢- «من هو عمرو بن العاص؟»

قال الزمخشري: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة من عنزه فسييت، فاشتراها عبد الله بن جدعان، فكانت بغياً ثم عتقت، ووقع عليها أبو لهب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل، في طهر واحد، فولدت عمراً.

فادعاه كلهم، فحكمت فيه أمه فقالت: هو للعاص، لأن العاص كان ينفق عليها، وقالوا: كان أشبه بأبي سفيان^(٢).

وقال ابن أبي الحديد: روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب أن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان أبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل، فقيل: لتحكم أمه؟! فقالت: أنه من العاص بن وائل فقال أبو سفيان: أما إني لا أشك إني وضعت في رحم أمه، فأبت إلا العاص، فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً، فقالت: إن العاص بن وائل كثير النّفقة عليّ، وأبو سفيان شحيح ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمر بن العاص حيث هجاه مكافياً له عن هجاء رسول الله ﷺ:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك منه بينات الدلائل
ففاخر به أما فخرت ولا تكن تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل
وأنّ التي في ذاكياً عمرو حكمت فقالت رجاء عند ذاك لنائل

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ٢، ص / ١٧.

(٢) العقد الفريد / ج / ١، ص / ٢٢٥، وبلاغات النساء: ص / ٤٣.

من العاص عمرو تخبر النَّاسَ كلما تجمعت الأقسام عند المحافل^(١)

وقال ابن الجوزي: .. كانت النَّابغة أم عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرّيات بمكة فَوَقَعَ عليها العاص بن وائل في عدة من قريش منهم أبو لهب وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب من طهر واحد^(٢)!

وقد لعنه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم العن عمرو بن العاص»^(٣)، وأخرج أحمد، وأبو يعلي، ونصر بن مزاحم في كتاب صفين من طريق أبي برزة الأسلمي، والطبراني في الكبير من طريق ابن عباس: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

يزال حوارياً تلوح عظامه زوى الحرب عنه أن يجنّ فيقبرا
وفي لفظ ابن عباس:

ولا يزال جوادي تلوح عظامه

فقال النبي ﷺ: «انظروا من هما»؟ قال: فقالوا: معاوية وعمرو بن العاصي، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «اللهم اركسهما ركساً، ودعهما إلى النار دعاً» وفي لفظ ابن عباس: «اللهم اركسهما في الفتنة ركساً»^(٤)، ولقد كان لهذا الزنيم بن الزانية مواقف معادية منذ صدر الإسلام وحتى وفاته،

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ٢، ص / ١٠٠ - ١٠١.

(٢) تذكرة الخواص: ص / ١٨٦.

(٣) منتخب كنز العمال: ج / ٥، ص / ٢٣٥.

(٤) مسند أحمد: ج / ٤، ص / ٤٢١، مسند أبي يعلي الموصلي: ج / ١٢، ص / ٤٢٩،

ح / ٧٤٢٦، وقعة صفين: ص / ٢٤٦، المعجم الكبير للطبراني: ج / ١١، ص / ٣٢،

ح / ١٠٩٧٠.

للإسلام وصاحب الرسالة وعترته الأطهار ولشيعتهم، ذكرها أرباب التواريخ والسير وأشبعوها بحثاً وتحقيقاً منذ ذهابه إلى الحبشة ليأتي بجعفر والمهاجرين الأوائل مروراً بمعركة بدر وأحد والخندق وصفين، ومنها تحريضه وتأليبه للناس على قتل عثمان بن عفان وغيرها من مساوئه لعنة الله عليه، وفي هذا المجال يستحضرني حديثاً نقله ابن حجر: عن شداد بن أوس أنه دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه، فجلس بينهما، قال: أتدرون ما أجلسني بينكما، إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتموهما جميعاً، ففرقوا بينهما فما اجتمعوا إلا على غدر» فأحببت أن أفرق بينكما.

وهذا فيه غاية الذم لمعاوية^(١).

٣- «من هو أبو الأعور السلمي؟»

قال ابن الأثير: «أبو الأعور» عمرو بن سفيان السلمي.. لا تصح له صحبة ولا رواية، من أصحاب معاوية وخاصة، وشهد معه صفين وكان أشد من عنده على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان علي يدعو عليه في القنوت^(٢)...

وكان أبو الأعور مع أبي سفيان يقودان جبهة الشرك، وكان أول قتيل من المسلمين في حرب أحد قتله أبو الأعور السلمي^(٣).

(١) تطهير الجنان: ص / ٤٢، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ج / ٧، ص / ٢٤٨،

ورواه الطبراني.. وبقية رجاله ثقة.

(٢) أسد الغابة: ج / ٥، ص / ١٢٨.

(٣) المغازي: ج / ٢، ص / ٤٤٣.

وكان أبو الأعور سبب الفتنة في قتل عثمان.. في قصة مفصلة^(١) وفي معركة صفين، قال معاوية: أين أهل الأردن؟ فخرجوا في راياتهم عليه أبو الأعور سفيان بن عمرو السلمي^(٢).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صلى الغداة قنت فقال: «اللهم العن معاوية وعمراً وأبا الأعور، وحبیب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة»^(٣).

٤ - «من هو الوليد بن عقبة»

قال أبو الفرج الأصفهاني: إن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم، فجيء بي إليه وأنا مخلق فلم يمسنني^(٤)، قال الثقفى: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، هو الذي سماه الله في كتابه فاسقاً، وهو أحد الصبية الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنار^(٥)..

قال ابن كثير: وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه بعد وقعة بدر من بين الأسرى صبراً على يديه، فقال: يا محمد من للصيبة؟ فقال: «لهم النار»! فأنزل الله في الوليد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾^(٦).

(١) البداية والنهاية: ج / ٧، ص / ١٩٦.

(٢) وقعة صفين: ص / ٢٢٦.

(٣) أنساب الأشراف: ج / ٣، ص / ١٢٦.

(٤) الأغاني: ج / ٥، ص / ١٤٢.

(٥) الفارات: ص / ٣٥.

(٦) الحجرات / ٦.

(٧) البداية والنهاية: ج / ٨، ص / ٢٢٤.

قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ مصداقاً في إيمانه وهو علي بن أبي طالب، ﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(١)، منافقاً في إيمانه وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٢).

وقال المسعودي:..وصرف «عثمان» عن الكوفة الوليد بن عقبة، وولاه سعيد بن العاص وكان السبب في صرف الوليد [بن عقبة] وولاية سعيد- على ما روي- إنَّ الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من أوّل الليل إلى الصّباح، فلما أذن المؤذنون بالصّلاة خرج متفضلاً في غلائله، فتقدم المحراب في الصّبح، فصلّى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل: إنّه قال في سجوده وقد أطال: اشرب واسقني! فقال له بعض من كان خلفه في الصّف الأوّل: ما تريد لا زادك الله من خير، والله لا أعجب إلا ممّن بعثك إلينا والياً علينا أميراً^(٣).

وقال أبو الفرج الأصفهاني: كان الوليد بن عقبة زانياً شريب خمر فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصّبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثمّ التفت إليهم وقال لهم: أزيدكم؟ وتقياً في المحراب! وقرأ بهم في الصّلاة وهو رافعٌ صوته:

عَلَّقَ الْقَلْبَ الرَّبَابَا بَعْدَ مَا شَابَتْ وَشَابَا^(٤)

ثمّ قال أبو الفرج: قدم سعيد بن العاص الكوفة فقال: اغسلوا هذا المنبر، فإنّ الوليد كان رجساً نجساً، فلم يصعد حتّى غسل، عيباً على

(١) السّجدة / ١٨.

(٢) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس: ج / ٣، ص / ٢٣١.

(٣) مروج الذهب: ج / ٢، ص / ٢٤٤.

(٤) الأغاني: ج / ٥، ص / ١٢٦.

الوليد^(١)، وكان لعنة الله عليه يقاتل علياً أمير المؤمنين في صفين، وكان اللعين ابن اللعين ممن جدّ واجتهد في إطفاء نور الله مع جماعة معاوية.

قال نصر بن مزاحم: إن علياً مرّ على جماعة من أهل الشام بصفين، فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ويقصبونه «العيب والشتم» فأخبروه بذلك، فوقف في ناس من أصحابه فقال: «أنهدوا إليهم وعليكم السكينة وسيما الصالحين ووقار الإسلام، والله، لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجلّ قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة، وأبو الأعور السلمي، وابن أبي معيط، شارب الحرام، والمجلود حراً في الإسلام وهم أولاد يقومون فيقصبونني، ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله ولا إله إلا الله، وقديماً عاداني الفاسقون، إن هذا هو الخطب الجليل.

إن فساقاً كانوا عندنا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الأمة فاشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، فاستمالوا أهواءهم بالأفك والبهتان، وقد نصبوا لنا الحرب وجدّوا في إطفاء نور الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ اللهم فإنهم قد ردّوا الحق فافضض جمعه وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت ولا يعزّ من عاديت»^(٢).

٥- «من هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح؟»

قال ابن حجر: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاة، وكانت أمه أشعرية.

(١) نفس المصدر: ج / ٥، ص / ١٤٥.

(٢) وقعة صفين: ص / ٣٩١.

قال ابن حبان كان أبوه من المنافقين الكفار هكذا، وروي عن الحاكم بن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة أمن النبي ﷺ الناس كلهم إلا أربعة نفر وامرأتين: عكرمة وابن خطل ومقيس ابن صبابه وابن أبي سرح، فذكر الحديث، وقال: فأما عبد الله فاخْتَبَأَ عند عثمان فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ وهو يبائع الناس فقال: يا رسول الله بايع عبد الله فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال: ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأني كفت يدي عن مبايعته فيقتله.

وعن ابن عباس قال: كان عبد الله بن أبي سرح يكتب النبي ﷺ فأزله الشيطان فلحق الكفار فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل، وشهد صفين وعاش إلى سنة سبع وخمسين^(١).

وعن ابن سعد قال: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أسلم.. ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتدًا، فاهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح^(٢).

وقال ابن عبد البر القرطبي: عبد الله بن سعد بن أبي سرح: كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد مشركًا، فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، وقتل عبد الله بن خطل، ومقيس بن حبابه، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر، جعل عمرو بن العاص يطعن على عثمان أيضاً ويؤلب عليه، ويسعى في فساد أمره، فلما بلغه قتل عثمان وكان معتزلاً بفلسطين قال: إني إذا نكأت قرحة أدميتها، أو نحو هذا، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن

(١) الإصابة: ج / ٣، ص / ٢١٦.

(٢) الطبقات الكبرى: ج / ٧، ص / ٣٤٤.

- سعد بن أبي سرح وكان ذلك بدء الشّر بين عثمان وعمرو بن العاص^(١).
قال ابن سعد: غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح وأمر - رسول الله -
بقتل ستة نفر وأربع نسوة:
- ١ - عكرمة بن أبي جهل.
 - ٢ - هبّار بن الأسود.
 - ٣ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح.
 - ٤ - مقيس بن صبابة الليثي.
 - ٥ - الحويرث بن نقيذ.
 - ٦ - عبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي.
 - ٧ - هند بنت عتبة.
 - ٨ - سارة مولاة عمرو بن هاشم.
 - ٩ - فَرْتَنَا.
 - ١٠ - قرية^(٢).

قال نصر بن مزاحم: .. وقال عبد الله بن أبي سرح - وهو أخو عثمان
من الرّضاعة -: امنعهم الماء إلى الليل^(٣) - أي: امنع الماء عن المسلمين
حتّى يهلكوا.

وهنا، تظهر الصّورة واضحة جلية لهذا المشرك المرتد، حيث كان من
قادة معاوية بن أبي سفيان في صفين فقد أخفى ظاهرياً محاربة الإسلام

(١) الاستيعاب: ج / ٣، ص / ٥١.

(٢) الطبقات الكبرى: ج / ٢، ص / ١٠٣.

(٣) وقعة صفين: ص / ١٦١.

فترة وعاد للنيل من الإسلام وقادته عندما استلم قيادة الدولة الإسلامية علي بن أبي طالب.

وقال الثقفى: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب: «سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.. فقد وصل إلي كتابك.. تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلاً من قديد في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء متوجهين إلى المغرب، وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصدّ عن سبيله وبغاهها عوجاً، فدع عنك ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وخلّهم وتركا، فهم في الضلال وتجوّاهم في الشقاق، إلا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم اجتماعها على حرب النبي ﷺ قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه، وجحدوا فضله، وبادروه العداوة ونصبوا له الحرب، وجهدوا كلّ الجهد، وجرّوا عليه جيش الأحزاب»^(١).

٦ - «من هو مروان بن الحكم؟»

قال سبط ابن الجوزي: وكان مروان لا يعرف له أب وإنما نسب إلى الحكم كما نسب عمرو إلى العاص^(٢).

وقال ابن عبد البر القرطبي: مروان بن الحكم الأموي توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين ولم يره لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قد نفى أباه الحكم إليها، فلم يزل بها حتى ولي عثمان بن عفان، وكتب له، فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان، ونظر إليه علي يوماً، فقال له: ويلك وويل أمة محمّد منك، ومن بنيك إذا ساءت درعك.

(١) الغارات: ص / ٢٩٧.

(٢) تذكرة الخواص: ص / ١٨٩.

وكان مروان يقال له: خيط باطل، وضُرب به يوم الدار على قفاه، فجرى لقبه، فلما بويغ له بالإمارة، قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم، وكان لا يرى رأي مروان: [الطويل]:

فوالله ما أدري وإني لسائلٌ حَلِيلَةٌ مضروب القفا كيف يصنعُ
لحا الله قوماً أمروا خيط باطلٍ على الناس يُعطي ما يشاءُ ويمنعُ^(١)

قال سبط ابن الجوزي: قال الأصمعي: أما قول الحسين يا بن الداعية إلى نفسها، فذكر ابن إسحاق: إن أم مروان اسمها أمية وكانت من البغايا في الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تُعرف بها وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء، وكان مروان لا يُعرف له أب، وإنما نُسب إلى الحكم كما نُسب عمرو إلى العاص.

وأما قوله: يا بن طريد رسول الله، يشير إلى الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أسلم الحكم يوم الفتح وسكن المدينة وكان ينقل أخبار رسول الله ﷺ إلى الكفار من الأعراب وغيرهم ويتجسس عليه.. قالت - عائشة لمروان - أخرج يا بن الزرقاء إني أشهد على رسول الله ﷺ إنه لعن أباك وأنت في صلبه^(٢).

ولقد كان هذا الطريد اللعين هو المتآمر على قتل عثمان وإذكاء روح الفتنة بين المسلمين بكتاب زوره على عثمان، حيث قال المسعودي في الثورة على عثمان: كان السبب فيه مروان بن الحكم، فنزلوا في الموضوع المعروف بذي الخشب، فلما علم عثمان بنزولهم بعث إلى علي بن أبي

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج / ٣، ص / ٤٤٤.

(٢) تذكرة الخواص: ص / ١٨٩.

طالب فأحضره وسأله أن يخرج إليهم فكان بينهم خطب طويل، فأجابوه إلى ما أراد وانصرفوا.

فلما صاروا إلى الموضوع المعروف بحسّ إذا هم بـغلام على بعير وهو مقبل من المدينة، فتأملوه فإذا هو ورش غلام عثمان، فقرّوه فأقرّ وأظهر كتاباً إلى ابن أبي سرح صاحب مصر [وفيه] «إذا قدم عليك الجيش فاقطع يد فلان، واقتل فلان، وافعل بفلان كذا، واحصي أكثر من في الجيش وأمر فيها بما أمر» وعلم القوم أنّ الكتاب بخط عثمان فحاصروه في داره^(١)، قال ابن كثير، في حوادث سنة ٣٥هـ مقتل عثمان:

دخلت نائلة «زوجته» على عثمان فقالت: أتكلم أو أسكت؟ فقال: تكلمي، فقالت: سمعت قول علي أنه ليس يُعاوذكُ، وقد أطعت مروان حيث شاء، قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتتبع سنة صاحبك من قبلك فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة^(٢).

نعم، أيها القارئ الكريم، لقد أجمع هذا الملعون نيران الفتنة بين المسلمين حتى جعل المسلمين يقتلون عثمان، وتقطع أصابع يد زوجته، ثم بعد حين يرفعوا قميصه وأصابع يد نائلة ويطالبوا بدمه لعنة الله عليهم أجمعين، وصار هذا القميص سبّة ومثلاً عبر القرون إلى يومنا هذا.

ولقد اشترك هذا اللعين في حرب الجمل محرضاً عائشة الغبية الخبيثة التي تعرف مروان حق معرفته، ولكنها سمعت كلامه وأتت بمعيته إلى

(١) مروج الذهب: ج / ٢، ص / ٣٥٢.

(٢) البداية والنهاية: ج / ٧، ص / ١٩٣.

البصرة، حتى قتل طلحة غدرًا! قال الحافظ ابن حبان: وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم من ورائه، فأثبتته فيه وقتله، وحمله إلى البصرة فمات فيها.

وكان عليُّ ينادي مناديه «لا تقتل مدبراً» ولا تدف على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن، ولم يقتل بعد أن واحداً^(١) قال المسعودي: وكان مروان أول من أخذ البيعة بالسيف كرهاً!^(٢) قال ابن كثير: وكانت وفاته بدمشق عن إحدى، وقيل: ثلاث وستين سنة!^(٣)

٧- «من هو سمرة بن جندب؟»

قال ابن حجر العسقلاني: سمرة بن جندب، قال ابن عبد البرمات بالبصرة سنة ثمان وخمسين، سقط في قدرٍ مملوءة ماءً حاراً. فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ ولأبي هريرة وثالث معهما، يعني: أبا مخدورة، آخركم موتاً في النار!^(٤)

قال ابن أبي الحديد: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية أنزلت في علي عليه السلام «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ

(١) السيرة النبوية: ص / ٥٢٥ - ٥٢٦.

(٢) مروج الذهب: ج / ٢، ص ٩٥.

(٣) البداية والنهاية: ج / ٨، ص / ٢٨٥.

(٤) تهذيب التهذيب: ج / ٤، ص / ٢٣٧.

لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ^(١) وَأَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ نَزَلَتْ فِي ابْنِ مَلْجَمٍ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢).

فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربعمئة ألف فقبل!^(٣)

قال البلاذري: كان سمرة بن جندب - في البصرة - يحدث أحداثاً عظيمة من قتل الناس وظلمهم، أعطى رجل زكاة ماله ثم صلى ركعتين فأمر به سمرة فقتل! فقال أبو بكر ما شأن هذا؟ فأخبروه فقال: لقد قتلته سمرة عند أحسن عمله؟ فقال: هذا عمل أخيك زياد هو يأمرني بهذا، فقال: أنت وأخي في النار، أنت وأخي في النار، وتلا أبو بكر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

وعن أبي المعلى الجتاني عن أبيه، قال: كنت واقفاً على رأس سمرة بن جندب فقدم إليه بضعة عشر رجلاً، يسأل الرجل منهم ما دينك؟ فيقول: الإسلام ديني، ومحمد نبيي، فيقول: قدماه فاضربا عنقه، فإن يك صادقاً فهو خير له!!!

أقول: إن ما فعله في عصرنا هذا من الوهابيين والتكفيريين وأمثالهم وأضرابهم من قتل الناس على طريقة معاوية وعماله أخزاهم الله، قد أساء للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ، فعندما يقتلون بريئاً، يقولون: إن كان مجرمًا ومشركاً فقد أرحنا العباد منه، وإن كان محسناً وصاحب ورع ودين، فقد

(١) البقرة / ٢٠٤.

(٢) البقرة / ٢٠٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: ج / ١، ص / ٣٦١.

أرحناهُ وأدخلناه الجنة!!!

بالله عليك أيها القارئ: ماذا يقول العالم لأمثال هؤلاء الجنة؟

وروي عن أنس بن سيرين قال: استخلف زياد سُمرة على البصرة وخرج إلى الكوفة فجاء إلى الكوفة وقد قتل ثمانية آلاف، فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت بريئاً؟

فقال: لو قتلت مثلهم لم أخف أن أقتل بريئاً!!^(١)

ثم تعال واقراء عن استهتارهم بأرواح الناس ودمائهم، ما رواه البلاذري، عن المدائني، حدثنا عوف قال: أقبل سمرة من المرير فخرج رجل من بعض الأزقة فتلقي الخيل، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة، ثم مضت الخيل، ومرّ به سمرة وهو يتشطح في دمائه، فقال: ما هذا؟ فقيل: رجل أصابته أوائل خيل الأمير، فقال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أستتنا.

وروي عن المدائني عن أبي السوار العدوي، قال: قتل سُمرة بن جندب من قومي في غداة واحدة: سبعة وأربعين رجلاً كلهم قد جمع القرآن^(٢).

وأخيراً كيف يموت هؤلاء الجنة المجرمون؟ قال ابن سعد: سمعتُ أبا يزيد المدني قال: لما مرض سمرة بن جندب مرضه الذي مات فيه أصابه برد شديد فأوقد له نار فجعل كانوناً بين يديه وكانوناً خلفه وكانوناً عن يمينه وكانوناً عن يساره، قال: فجعل لا ينتفع بذلك ويقول: كيف أصنع بما في جوفي؟ فلم يزل كذلك حتى مات^(٣).

(١) أنساب الأشراف: ج / ٥، ص / ٢٢٠.

(٢) أنساب الأشراف: ج / ٥، ص / ٢٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ج / ٦، ص / ١٠٩.

٨- «من هو الضحّاك بن قيس الفهري؟»

قال ابن عبد البر القرطبي: الضحّاك بن قيس ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسبع سنين ونحوها، وينفون سماعه من النبي ﷺ. وكان على شرطة معاوية، ثم صار عاملاً له على الكوفة، ولاء عليها معاوية سنة «٥٣هـ»، وقتل الضحّاك بن قيس بمرج راهط^(١).

قال البلاذري: وجّه معاوية الضحّاك بن قيس الفهري وأمره أن يمرّ بأسفل واقصة فيغير على الأعراب ممن كان على طاعة علي وعلي غيرهم ولا يقيم لخيّل أن سرّحت إليه، وإن عرضت له قاتلها، وكانت تلك أوّل غارات معاوية، فأقبل الضحّاك إلى القطقطانة فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف، وجعل يأخذ أموال الناس من الأعراب وغيرهم ويقتل من ظنّ أنّه على طاعة عليّ أو كان يهوي هواه، حتّى بلغ الثعلبية، وأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ صار إلى القطقطانة منصرفاً، ولقيه بالقطقطانة على طريق الحاج عمر بن عميش بن مسعود ابن أخي عبد الله بن مسعود فقتله - فلما ولاء معاوية الكوفة كان يقول: يا أهل الكوفة أنا أبو أنيس قال ابن عميس: يُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ لَا يَهَابُ الْقَتْلَ وَسَفَكَ الدَّمَاءَ.

فلما بلغ عليّاً خبره قام في أهل الكوفة خطيباً فدعاهم إلى الخروج لقتال عدوهم^(٢).

وقال نصر بن مزاحم المنقري: وكان علي عليه السلام إذا صلّى الغداة والمغرب وفرغ من الصلوة يقول: «اللهم العن معاوية، وعمراً، وأبا موسى،

(١) الاستيعاب: ج / ٢، ص / ٢٩٧.

(٢) أنساب الأشراف: ج / ٥، ص / ٤٣٩.

وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد^(١).

٩ - «من هو عمرو بن سعيد بن العاص؟»

قال ابن عساكر الدمشقي: عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أبو أمية الأموي المعروف بالأشدرق.

ولاه معاوية ويزيد المدينة، ثم أنه بعد ذلك طلب الخلافة، قال الزمخشري: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليرعفن جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا، فرؤي عمر بن سعيد بن العاص يرفع على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعاfeه على درج المنبر^(٢)، وذكر ذلك الهيثمي^(٣).

قال محمد بن عقيل العلوي: ولي معاوية عمرو بن سعيد بن العاص المتكبر المشهور على مكة المشرفة وهو الجبار الذي رعب على منبر النبي ﷺ، وذكر أبو عبيدة في كتاب المثالب وأبو جعفر في تاريخه أن عبيد الله بن زياد كتب إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو والي المدينة الشريفة يشره بقتل الحسين ﷺ فقرأ كتابه على المنبر وأنشد رجزاً ثم أوماً إلى القبر الشريف وقال: يا محمد يوم بدر فأنكر عليه قوم من الأنصار.

وعمره هذا هو الذي يقال له الأشدرق، وهو المدعو بلطيم الشيطان، قتله عبد الملك غدرأ بدمشق، «وما ظالم إلا سيلى بظالم»^(٤).

(١) وقعة صفين: ص / ٥٥٢.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: ج / ٤، ص / ١٣٤.

(٣) مجمع الزوائد: ج / ٥، ص / ٢٤٠.

(٤) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ص / ٧٥، دار الثقافة: إيران قم ١٤١٢هـ.

١٠ - «من هو المغيرة بن شعبة؟»

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: كان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النَّزْر منها يرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب عليه السلام ويروى أنه لما مات ودفنوه أقبل رجل راكب ظليم فوقف قريباً منه ثم قال: أمن رسم دار من مغيرة تُعرف عليها زواني الإنس والجن تعزفُ فإن كنت قد لاقيت فرعون بعدنا وهامان فاعلم أن ذا العرش منصفُ قال: فطلبوه فغاب عنهم ولم يره أحد فعلموا أنه من الجن^(١).

قال الثَّقفي: عن جندب بن عبد الله قال: ذُكر المغيرة بن شعبة عند علي عليه السلام وَجَدَّه مع معاوية فقال: وما المغيرة إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة المظمئيين إليه [من قومه فتك بهم] وركبها منهم فأتى النبي صلى الله عليه وآله كالعائد بالإسلام، والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً، إلا وآته كان من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة يجانبون الحق، ويسعرون نيران الحرب «ويؤازرون الظالمين، إلا أن ثقيفاً قوم غُدْر، لا يُعرفون بعهد يبغيضون العرب» كأنهم ليسوا منهم^(٢).

قال الواقدي: قتل المغيرة بن شعبة ثلاث عشر رجلاً، وأخذ أمتعتهم وأموالهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله هذا غدر^(٣).

قال ابن الأثير: ولاءه عمر بن الخطاب البصرة ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنا فعزله^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ١، ص / ٢٦٠، وفي أنساب الأشراف: ج / ١٢، ص / ٣٤٤.

(٢) الفارات: ص / ٣٥٤.

(٣) المغازي: ج / ٢، ص / ٥٩٥.

(٤) أسد الغابة: ج / ٤، ص / ٤٠٧.

قال ابن عساكر: إن معاوية بن أبي سفيان ولى المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، ثم دعاه فتكلم كلاماً يوصيه فيه منها: أنه قال له: ولست تاركاً إيصائك بخصلة لا تتحم عن شتم علي وذمه والعيب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم^(١).

وقال البلاذري: حدثني المدائني عن كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أظهر بشتم عليّ وتنقصه^(٢).

وقال ابن الأثير: واستعمل معاوية المغيرة على الكوفة.. وكان يكثر سبّ عليّ على منبر الرّي^(٣).

قال ابن أبي الحديد: قال أبو جعفر وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعنا صريحاً على منبر الكوفة، وكان بلغه عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمته بأحجاره، يعني: واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكره ونكل زياد عن الشهادة، فكان يبغضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه، قال: وقد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الرمح عند ذكر علي عليه السلام فيسبه ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول: وما بلغني أنه لم يخالف إلى ما نهى عنه وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق، قال: وقد كان في المحدثين من يبغضه عليه السلام، ويروي فيه الأحاديث المنكرة، منهم: حريز بن عثمان كان يبغضه ويروي فيه أخباراً مكذوبة، وقد روى المحدثون أن حريزاً رؤي

(١) تهذيب تاريخ دمشق: ج / ٢، ص / ٢٧٣.

(٢) أنساب الأشراف: ج / ٥، ص / ٣٠.

(٣) الكامل في التاريخ: ج / ٢، ص / ٤٥٢.

في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال: كاد يغفر لي لولا بغض علي^(١).

١١ - «من هو زياد بن سمية؟»

قال ابن عبد ربه الأندلسي: كانت سمية أم زياد قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة، وكان طبيباً يعالجه، فولدت له على فراشه نافعاً، ثم ولدت أبا بكرة، فأنكر لونه، قيل له: إن جاريتك بغي، فانتفى من أبي بكرة ومن نافع، وزوجها عبيداً: عبداً لابنته، فولدت على فراشه زياداً، وكانت البغايا في الجاهلية لهن رايات يُعرفنَّ بها ويتجيهن الغثيان، استلحق معاوية زياداً وشهد له الشهود بذلك، وهذا خلاف حكم رسول الله ﷺ في قوله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»^(٢).

وقال أيضاً في باب الأدعياء: أول دعي كان في الإسلام زياد بن عبيد^(٣).

قال ابن كثير: وفي سنة ٤٤ هجرية استلحق معاوية زياد بن أبيه فألحقه بأبي سفيان، وقد كان الحسن البصري ينكر هذا الاستلحاق ويقول: قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»^(٤).
قال البلاذري: وولى معاوية زياداً البصرة^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة: ج / ١، ص / ٣٦٠.

(٢) العقد الفريد: ج / ٥، ص / ٦.

(٣) نفس المصدر: ج / ٦، ص / ١٤٢.

(٤) البداية والنهاية: ج / ٨، ص / ٣١.

(٥) أنساب الأشراف: ج / ٥، ص / ٢٢٩.

قدم زياد الكوفة حين أتته ولايتها وهو بالبصرة.

فلما قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة لم يحمد الله فيها ولم يصل على محمد، وأرعد فيها وأبرق، وتوعد وتهدد، وأنكر كلام من تكلم، وحذّره، ورهبهم، وقال: قد سميت الكلبة، على المنبر، الصلعاء، فإذا أوعدتكم أو وعدتكم، فلم أف لكم بوعدى ووعدى، فلا طاعة لي عليكم، وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون علياً على المنبر فيردون اللعن عليهم ويتكلمون في ذلك^(١).

أقول: وكان هذا دأبهم في الرد على ولاية معاوية وهم يحصبونهم الحصباء، وكان من صفاته، أنه أول من شدد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، وجرّد سيفه، وأخذ بالظنّة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس خوفاً شديداً^(٢).

وقال الطبري: لما مات المغيرة جُمعت العراق لزياد، فأتى الكوفة فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شرطة البصرة، ثم ذكرت أنّكم أهل حق، وأنّ حقكم طالما دفع الباطل، فأتيتكم في أهل بيتي، فالحمد لله الذي رفع مني ما وضع الناس، وحفظ مني ما ضيعوا.. حتّى فرغ من الخطبة، فحُصّب على المنبر، فجلس حتّى أمسكوا، ثم دعا قوماً

(١) تاريخ اليعقوبي: ج / ٢، ص / ١٤٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ج / ٢، ص / ٤٧٤.

من خاصته، وأمرهم، فأخذوا أبواب المسجد، ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم جلسه، ولا يقولن: لا أدري من جليسي؟ ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد، فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منّا من حَصَبِكَ، فمن حَلَفَ خلّاه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتّى صار إلى ثلاثين، ويقال: بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان^(١).

وقال البلاذري: قال المدائني: قال الحسن: أيّ سائسٍ كان زياد لولا إسرافه على نفسه في العقوبات وسفك الدماء^(٢).

قال أبو الفرج الأصفهاني: قال أبو مخنف عن أبي إسحاق قال: أدركت الناس يقولون: أوّل ذلّ دخل الكوفة: قتل حجرٍ، ودعوة زياد، وقتل الحسين^(٣).

١٢ - «من هو عبيد الله بن زياد؟»

هو عبيد الله بن زياد وابن مرجانة، ومرجانة إحدى فاحشات البصرة ومن ذوات الرّايات حملت بعبيد الله ونسبته إلى زياد بن سمية، وإنّ تسميته بابن مرجانة لأجل التنقيص والتّعير والذّم له، بالرّغم من أنّ أباه «زياداً» والذي كان غير معروف الأب ولهذا سُمّي بزياد ابن أبيه، وكانت ولادته سنة «٣٩هـ» قال سراقّة الباهلي:

لعن الله حيث حلّ زياداً وابنه والعجوز ذات البعول
قال بعض المؤرخين: إنّ المراد من العجوز ذات البعول هي مرجانة،

(١) تاريخ الطّبري: ج / ٥، ص / ٢٣٥.

(٢) أنساب الأشراف: ج / ٢، ص / ٢٢٧.

(٣) الأغاني: ج / ١٧، ص / ١٥٣.

وكما قال الإمام أبو عبد الله الحسين ﷺ في إحدى خطبه يوم عاشوراء: «ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد ركّز بين اثنتين بين السّلة والدّلة وهيّات منّا الدّلة»، هذه العبارة تشير بكلّ وضوح إلى أنّ عبيد الله بن مرجانة هو ابن زنا، وكذلك أبوه.

ولد ابن مرجانة حسب بعض الأقوال سنة «٢٨ أو ٢٩ هـ» وفي سنة «٦٠ هـ» تولى ولاية العراقين، وضمّ إلى ولايته أيضاً خراسان وأذربيجان والبحرين وعمان والهند وأكثر المناطق الإيرانية^{(١)(٢)}.

قال الهيثمي: عن الحسن قال: قدم علينا عبيد الله بن زياد أميراً أمره علينا معاوية، فتقدّم علينا غلاماً سفيهاً يسفك الدماء سفكاً شديداً وفينا عبد الله بن مغفل المزني صاحب رسول الله ﷺ وكان من السبعة الذين بعثهم عمر بن الخطاب يفقهون أهل البصرة، فدخل عليه ذات يوم فقال له: انتهِ عما أراك تصنع فإنّ شر الرّعاء الحطمة.

فقال له: ما أنت وذاك إنّما أنت حثالة من حثالات أصحاب محمد ﷺ.

قال: وهل كانت فيهم حثالة، لا أمّ لك، بل كانوا أهل بيوتات وشرف ممن كانوا منه، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما من إمام ولا والٍ بات ليلة سوداء غاشاً لرعيته إلا حرّم الله عليه ريح الجنّة»^(٣).

قال ابن عساكر الدمشقي: عن الحسن قال: ثقل معقل بن يسار، فدخل

(١) راجع: شفاء الصدور، لأبو الفضل الكلانري: ص / ١٥٦.

(٢) وهذا الرّأي في ولادته مغاير لما قلناه، وكان عمره «٢١» سنة يوم قتل الحسين ﷺ.

(٣) مجمع الزوائد

إليه عبید الله بن زیاد يعودہ، فقال: هل تعلم یا معقل آتی سفکت دمأ؟! قال: هل تعلم إتی دخلت فی شیء من أسعار المسلمین؟ قال: ما علمت، أجلسونی، ثم قال: اسمع یا عبید الله حتی أحدثك شیئاً لم أسمعہ من رسول الله ﷺ مرّة، ولا مرّتين: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من دخل فی شیء من أسعار المسلمین لِيُعَلِّبَهُ عليهم كان حقاً على الله أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة» قال: أنت سمعته من رسول الله؟ قال: نعم، غير مرّة ولا مرّتين! وقال: قدم علينا عبید الله بن زیاد أميراً، أمره علينا معاوية، فقدم علينا غلاماً سفياً يسفك الدماء سفكاً شديداً.

وفينا عبد الله بن مغفل المزني صاحب النبي ﷺ، وكان من التسعة رهط الذين بعثهم عمر بن الخطاب يفتقرون أهل البصرة في الدين، فدخل عليه ذات يوم فقال له: إنته عما أراك تصنع، فإن شر الرعاء الحطمة، فقال له: ما أنت وذاك، إنما أنت حثالة من حثالات أصحاب محمد ﷺ، فقال له: وهل كان فيهم حثالة لا أم لك؟ بل كانوا أهل بيوتات وشرف ممن كانوا منه، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما من إمام، ولا والٍ بات ليلة سوداء غاشاً لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»!

ثم خرج من عنده حتى أتى المسجد فجلس فيه، فما لبث الشيخ أن مرض مرضه الذي توفي فيه!

فأتاه عبید الله بن زیاد يعودہ، فقال له: أتعهد إلينا شيئاً نفعل فيه الذي تحب، قال: أو فاعل أنت؟ قال: نعم، قال: فإني أسألك ألا تصلي عليّ، ولا تقم على قبري، وأن تخلي بيني وبين أصحابي حتى يكونوا هم الذين يلون ذلك مني!

قال: فكان عبيد الله بن زياد رجلاً جباناً يركب في كل غداة، فركب ذات يوم فإذا الناس في السك ففرع، فقال: ما هؤلاء؟ قالوا: مات عبد الله بن مغفل صاحب النبي ﷺ فوق حتى مرّ بسريه^(١).

ليس من الغريب إذا سمعنا أنه استطاع أن يحشد أكثر من ستين ألفاً لمقاتلة الإمام الحسين عليه السلام وذلك لنفوذه وسيطرته على الكثير من البلدان والمدن الإسلامية!

ويذكر التاريخ بأن ابن زياد كان يُعدّ العُدّة لحرب الدّيلم، فلما أمر بمقاتلة الإمام الحسين عليه السلام قدّم هذا على ذلك، فلعنة الله عليه وعلى جنوده!^(٢)

قال مغيرة: قالت مرجانة لابنها عبيد الله: يا خبيث، قتلت ابن رسول الله ﷺ، لا تدخل الجنة أبداً^(٣)!!!

وقتل عبيد الله بن زياد في سنة ٦٧ هجرية، على يد إبراهيم بن مالك الأشر، بأمر من المختار الثقفي رضوان الله عليهما.

وجاء في كتاب الصحيح من سيرة الإمام الحسين عليه السلام صفحة: ١٦٤^(٤): أما صفاته النفسية فكان من أبرزها القسوة والتلذذ بسفك الدماء، وقد أخذ امرأة من الخوارج فقطع يديها ورجليها، وأمر بعرضها في السوق!

(١) مختصر تاريخ دمشق: ج / ١٦، ص / ٣١٧.

(٢) شفاء الصدور: ص / ١٥٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ج / ١٦، ص / ٣١٨.

(٤) تأليف: السيد مرتضى العسكري ومحمد باقر القرشي والسيد هاشم البحراني.

ووصفه الحسن البصري: بأنه غلام سفيه، سفك الدماء سفكاً شديداً! ويقول فيه مسلم بن عقيل: «ويقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة، وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً»!!!

وكان متكبراً لا يسمع من أحد نصيحة، وقد دخل عليه الصحابي عائذ بن عمرو فقال: «أي بني إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن شر الدعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم»، فلذعه قوله وصاح به: «اجلس إنما أنت من نخالة أصحاب رسول الله ﷺ!»!

فانكر عليه عائذ وقال: «وهل كان فيهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم».

وعرف في أثناء ولايته على البصرة بالغش للرعية والخديعة لها، وقد نصحه معقل بن يسار أن يترك ذلك وقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيته ويموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»!

هذه بعض نزعاته وصفاته النفسية، أما صفاته الجسدية فقد كان فيها: اللكنة: ونشأ الطاغية في بيت أمه مرجانة، ولم تكن عربية فأخذ لكتنها، ولم يكن يفهم اللغة العربية، فقد قال لجماعة: «افتحوا سيوفكم» وهو يريد سلّوا سيوفكم، وإلى هذا يشير يزيد بن المفزع في هجائه له:

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكلّ أمرك للضياح

وجرت بينه وبين سويد مشادة فقال له عبيد الله: «اجلس على أستاذ

الأرض».

فسخر منه سويد وقال: «ما كنت أحسب أن للأرض أستا».

وكان لا ينطق بالحاء وقد قال لهانيء: «أهروري ثائر اليوم» يريد أحروري، وكان يقلب العين همزة، كما كان يقلب القاف كافاً، فقد قال يوماً: «من كاتلنا كاتلناه» يريد: من قاتلنا قاتلناه.

نهمه في الطعام: ويقول المؤرخون: إنه كان نهماً في الطعام فكان في كل يوم يأكل خمس أكلات آخرها جنبه بغل ويوضع بين يديه بعدما يفرغ عناق أوجدي، فيأتي عليه وحده!

وكذلك كان مسرفاً في النساء، فقد بنى ليلة قدومه إلى الكوفة بأم نافع بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط!
هذه بعض صفاته الجسمية.

ولايته على البصرة: وأسند إليه معاوية إمارة البصرة وولاه أمور المسلمين، وكان في ميعة الشباب وغروره وطيشه، وقد ساس البصرة كما ساسها أبوه، فكان يقتل على الظنة والتهمة، ويأخذ البريء بالسقيم والمقبل بالمدير.

وقد وثق به معاوية وارتضى سيرته، وكتب إليه بولاية الكوفة، إلا أنه هلك قبل أن يبعث إليه بهذا العهد.

أحقاد يزيد على ابن مرجانة: وكان يزيد ناقماً على ابن مرجانة، كأشد ما يكون الانتقام، لأمر كان من أهمها: أن أباه زياداً كان من المنكرين على معاوية ولايته ليزيد، لاستهتاره، وإقباله على اللهو والمجون، وقد أراد يزيد أن يعزل عبيد الله من البصرة، ويجرده من جميع الامتيازات إلا أنه لما أعلن

الإمام الحسين عليه السلام الثورة وبعث سفيره مسلماً لأخذ البيعة من أهل الكوفة، أشار عليه سرجون بأن يقره على ولاية البصرة ويضم إليه الكوفة، ويندبه للقضاء على الثورة فاستجاب له يزيد، وقد خلص العراق بأسره لحكم ابن زياد، فقبض عليه بيد من حديد، واندفع كالمسحور للقضاء على الثورة ليحرز بذلك ثقة يزيد به، وينال إخلاص البيت الأموي له.

البدر السني من أدب الرتاء الحسني



شكلت أحداث تاريخ
الأئمة المعصومين عليهم السلام
منعطفات حادة وخطرة، كانت

لها أبلغ الأثر في تاريخ المسلمين الشيعة، حيث أدت مظلوميتهم ومظلومية
أتباعهم من تشريد وقتل أو تعذيب بشتى الصنوف، مما ألهب قرائح الشعراء
من أتباعهم وذلك بنظم القصائد الرثائية في حقهم.

وقد اضطلع هؤلاء الشعراء بدور مهم في مسيرة التاريخ طيلة القرون،
واعتبروا هؤلاء الشعراء بأنهم ضمير الأمة المتقيظ ونبضها المتدفق، بما
أعطاهم الله عز وجل من الطاقات الخلاقة، وخيال الإبداع والأسلوب
الساحر، حيث الحضور الدائم لهم في طول التاريخ وعرضه، محاولين
بشعرهم تذكير الناس على عظم مصائب العترة وظلاماتهم بيد أعدائهم.

وقد أولى الأئمة الطاهرين عليهم السلام بالشعراء اهتماماً بالغاً، وبشعرهم و
بتأييدهم المستمر لكونهم الوسيلة الإعلامية في تلك العصور.

ففي الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «من قال فينا بيت
شعر بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة».

وعنه صلوات الله عليه أنه قال: «ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتى يؤيد

بروح القدس» وعن الإمام الضّامن الرّضا من آل محمّد صلوات الله عليهم أنّه قال: «ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلا بنى الله تعالى له مدينة في الجنة أوسع من الدّنيا سبع مرّات يزوره فيها كلّ ملك مقرب وكلّ نبي مرسل».

ونحن أمام مجموعة عابقة من القصائد التي نظمها بعض الشعراء الموالين في حق سيدنا ومولانا مهجة قلب الزهراء البتول وبهجة قلب المصطفى الرسول السبط الأكبر الإمام أبي محمّد الحسن المجتبي الطهر الأطهر صلوات الله عليهم أجمعين أحببنا أن نختم بها كتابنا وهي مسك الختام نسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبل من الناظمين والقارئین بأحسن القبول وأن يكتبها في سجل أعمالنا الباقيات الصالحين إنه ولي حميد.

قال الرّكي الألمعي المرحوم الشيخ سلمان بن المرحوم الحاج أحمد عبّاس البحراني الملقب بالتاجر، يرثي الإمام السّبط الأكبر عليه السلام:

أقصري عن ملامتي وعتابي	لست تدرين يا أميم ما بي
لو تذوقين ما أذوق من الوجد	لما لمت فاشربي من شرابي
ثم ما شئت فاعذري أو فليسومي	واقرعي بالعتاب والعذل بابي
أولم تنظري برأسي اشتعال الشّـ	يب مثل المصباح أو كالشّهاب
يا أميم ابيضت من الحزن عيني	فارفقي بي وراقبي في شبابي
أو فكفي عن الملام فأتي	لأخوزفرة وحلف اكتتاب
إنّ رزئي بالسّبط رزءٌ عظيم	ومصاب مرّ المذاق كصاب
قيل في نافع من السّم ذافته	إليه ضغائن الأحزاب
ففضى بعد قذف أحشاه في	الطّشت شهيداً تنعاه أي الكتاب
ونعاه جبريل في الحجب للأمر	سلاك والأنبياء بأي انتحاب

وبعجوا السما الطيور صغت شجواً
 ويكاه المحراب والمسجد الأعظم
 والحسين الشهيد ممّاه
 شق جيب الفؤاد والصبر حزناً
 ومشى خلف رأسه حاسر
 لأبيه وفاطم وأبيها
 وبنو هاشم تحفّ كما حقت
 بحسين وبالسرير الذي قد
 فجرى ما جرى من ألم فاقنع
 ركبت بغلها وجاءت وقد وطأ
 وقفتم موقفاً به غضب الله
 أنا والله لا أحل لكم أن
 أرى يحرم الشهيد من الدفن
 وتروني أرضى بأن تدفنوا فيه
 ووراها مروان يزعجها وهو
 لهف نفسي له على النعش محمولاً
 ندبته الوفود مذرت الدار
 والضيوف العفاة عفرت الأ

وقال المرحوم الأديب السيد رضي بن العلامة السيد محمد الهندي

التجني رحمه الله، رثياً للسبط الأكبر الإمام الحسن ﷺ:

لتحول بين الجفن والوسن
 فقد الأنيس ووحشة الدمن
 منها الفؤاد رمية المحن
 حتى طفقت أهيم في وطني
 وأصون لؤلؤه عن الثمن
 فدع الفؤاد يذوب بالحزن
 ورميت منه بجانب خشن
 جنبي ولولا الحلم لم يلن
 يجزون بالسوء عن الحسن
 ينفك في حرب مع الزمن
 مضر الكرام وخير مؤتمن
 وابن النبي وسبطه الحسن
 يطوي الفؤاد بها على شجن
 بين البغيات وطالب الفتن
 ومشكك بالحق لم يدن
 يمتاز صفوهم من الأجن
 نصحواله في السر والعلن
 من لاعج للحقد مكتمن
 يمان مثل الروح للبدن
 من كاظم للغيط ممتحن
 أذن بمن ساواه في المحن

يادمع سُحَّ بوبلك الهتن
 كيف العزاء وليس وجدي من
 بل هذه قوس الزمان غدا
 واستوطنت قلبي نواييه
 وأذلت دمعاً كنت أحبسه
 ما الصبر لي سهلاً فأركبه
 ما للزمان إذا استلنت قسا
 وكان ذنبي إن ألت له
 أم دهرنا كيينه عادته
 أم كل من تنميه هاشم لا
 أونظرت إلى صفى بني
 شبل الوصي ونجل فاطمة
 كم ذاق بعد أبيه من غصص
 حشدت لنصرته الجنود وهم
 ومحكم ومؤمل طمعاً
 حتى إذا امتحن الجموع لكي
 نقضوا موافقهم سوى نفر
 وبما عليه ضلوعهم طويت
 نسبوا إليه الشرك وهو من الإ
 جذبوا مصلاه فداه أبي
 ما أبصرت عين ولا سمعت

شتم الوصي أبيه في أذن
وأعزهم عبادة الوثن
بالحلم محتفظاً على السنن
من دوح أحمد أيما غصن
وجداً على قلب ابنها الحسن
حزناً عليه كواكب الدجن
مقتادة للبغي في شطن
شحت من الشحاء والإحن
الهادي وأدنت منه كل دني
وسع العدى تسعان من ثمن
حاطت ذوو الأحقاد والضعن
للنبل يثبت منه في الكفن
حاشاه من فشل ومن وهن
خير البقاع بأشرف المدين
بحشاه زند الهمة والحزن
من أعين نابت عن المزن
وردي الهنا وقد فقدت هني
مستودع في التراب مرتهن

يرعى عداه بعينه ويعي
ويرى أذل الناس شيعته
وقد ارتدى بالصبر مشتملاً
حتى سقوه السم فاقطعوا
سماً يقطع قلب فاطمة
فمضى شهيداً صابراً فهوت
وتجهزت للجنود عائشة
ياللورى لصدور طائفة
أقصت حشا الزهراء عن حرم
أفسح أثمان تضيق وقد
الله من صبر الحسين به
تركوا جنازة صنوه غرضاً
وتصدّه عنهم وصيته
فمضى به نحو البقيع إلى
وأراه والأرزاء مورية
ودعا وأدمعه قد انحدرت
أطيب بعدك مجلس لي أم
أفديك من ثاؤ بحضرته

وقال الشيخ سليمان البلادي البحراني شاعر العترة عليه وعليهم سلام

الله في رثاء السبط الأكبر

وفقد الأحيّة بالمنجع
 وربيع خلا ببلًا مفضّع
 محب نعا وحيب نعي
 وجاف الجنوب عن المضجع
 فما أنت أول من دعي
 فقد يجعل الشيب بالمزمع
 ولا في الكنانة من أهزع
 بني الوحي أهل الكسا أودع
 عليهم فمافات عن مسمع
 وجرع ما كان لم يجرع
 إلى أن قضت من أذى أفضع
 إلى المرتضى من بلى أشنع
 يد الجور للحسن اللوذعي
 وتلك عصا قط لم تقرع
 على طامع طلب المطمع
 ضغائن في أخبث المزرع
 يحرك سلسلة المصرع
 من الغدر شعواء لم تقلع
 كشيش الأفاعي ولم يربع
 خلاف الرسول زياد الدعي
 إلى جرحه تبّ من الكع

لك الخير ما الوجد للأربع
 فدع عنك ذكرى حيب خلا
 فلم تبين ذنيك إلا على
 فعنها تجاف فتلك الغرور
 وتب قبل فجثة داعي الحمام
 أفق أيها الغمر من سكرة
 ولم يبق للسهم من منزع
 تأسّ ولا تأسّ إلا على
 ألم تَعِ أذناك ما قد جرى
 فلم يصف للمصطفى مورد
 وبضعة الطهر كم كابدت
 وكما أظهرت ضعف ما أضمرت
 وأن تنس لا تنس ما أسست
 فتى العلم والحلم لا بالعصا
 وموسع رحب العطا أن يضق
 أجاشت عليه جيوش الخطوب
 عليه الطريد ونغل الطليق
 له الويل أشعى له غارة
 يكش عليه هواناً به
 وأغرى به الكلب مُستلحقاً
 إلى أن توصل جراحة

فكفر فضفاضة يتقي
ولا زال يجهد في قتله
يهمّ الهموم ويسقي السّموم
إلى أن قضى نجبه شاكراً
لقد قطع السّم أحشاءه
فقطع أحشاء دين الهدى
فيا عصب الدّين شقوا القلوب
ويا راعيّة ربّع الهدى
على رزؤ فقدانه فاسجعي
وساجعة الأيك لين الحنين
ففرخ نبيك أولى بأن
ويا مزن العلم لا تهمعي
ويا أجبل الحلم قد دكدكت
ويا مقلّة الحق لا تبصري
فذا رزؤه أوقر الكائنات
ويا أرض عيني لا تبليعي
وغرّ أخي الوفد ركب العطا
فقد فقد الضيف والماملون

بها الفتك في موضع المجمع
وعن ذاك بالغصب لم يقنع
ومن سطوة الله لم يخشع
إلى الله من سمّه المنقوع
فيا حرقى كبدي قطّعي
فشمل الهدى بعد لم يجمع
ب على الحسن الأروع الأورع
ومأوى التّقى الأوسع الأمتع
فما في المروّة أن تهجعي
على فقد إلك بالمبتقع
يطلّ عليه دم الأدمع
ويا أنجم الجود لا تطلع
قواك فسيخي عليه قعي
ويا أذنّ الدّين لا تسمعي
ولم يبق للصبر من موضع
لماك وعن ذا الكرى أقلعي
بتصويح مربعه المربع
ثمّال السّوابغ والجُوع

وقال بعض الشعراء راثياً للإمام السّبط الأكبر ﷺ:

الله أكبر أي يوم شجونٍ فيه أستبيح حريم هذا الدّين

وقنا الهدى في كفّ شر لعين
 والسّدّين آبَ بصفقة المغبون
 ثبتت له في عالم التّكوين
 رجساً على الإيمان غير أمين
 وتفننوا في الظّلم أي فنون
 كانوا اشتروا منه عذاب الهون
 إن جاءهم في محكم التّيين
 ماذا يقاسي من قديم ضغون
 واستعملوا الشّورى وكلّ خئون
 وهو المنيع حمى وليث عرين
 في خنجر فانهار خير طعين
 حلم يخف لديه كلّ رزين
 آل النّبي تشيب كلّ جنين
 وهو المهيمن من بني ياسين
 وهو الإمام جليس دار شجون
 محناً تطبق سهلها بحزون
 في أمر ملتحف الضّلال أفين
 كبد لها قد ذاب قلب الدّين
 الحسن الرّكزي بزفرة وحنين
 أخشى انخلاع فؤادها المحزون

يومٌ به غصن السّقيفة يانع
 يومٌ به غلب الشّقاء على التّقى
 يومٌ به غصبوا الرّكزي خلافةً
 غدرت به عصب التّفاق وبايعت
 نقضوا ولاء محمّد في آله
 ما حاذروا غضب الإله وبئسما
 قد أظهروا ما أضمروا لمحمّد
 والهفتاه على ابن بنت محمّد
 نبذوه والقرآن خلف ظهورهم
 هجموا عليه فاستبيح حريمه
 طعنوه لا طعنت قنا بأس لهم
 قد غرّهم ما كان أغراهم به
 الله أي رزية طرقت على
 مثل ابن فاطم والهداية شرعة
 سلبوه سلطان الإمامة فاغتدى
 ما زال مضطهداً يقاسي منهم
 حتّى قضى صبراً بسمّ جعيّدة
 متنخعاً قطعاً له في الطّشت من
 قم وانع للزهراء مهجة قلبها
 واكتم حديث الطّشت عنها إنّها

حتى إذا حملت جنازته بدت
منعوه من حرم النبي مخافة
ولما دروا من أنه روح له
ما شيعوه وإنما قد شيعته
نثلوا عليه كنائناً من حقدهم
لهفي لنعشك والعداة تنوشه
نعش عليه الله صلى والملا
أخي أما الحزن بعد فسرمداً

وقال المرحوم السيد مهدي الأعرجي رحمه الله راثياً السبط الأكبر ﷺ:

ما سال دمعي للخليط المزمع
كلا ولا هاجت بلا بل صبوتي
كلا ولا إني تذكرت الغضا
لكن أذاب حشاشتي فرط الأسى
لهفي على الحسن الزكي وقد قضى
قد عاش بعد أبيه وهو مكابد
ما بين مرتاب وبين مشكك
يرنو العدى تؤذيه وهو بمنظر
أفديه من متحمل غيظ العدى
شاء الإله بأن يرى بين الورى
حتى قضى بالسّم بين أمية

كلا ولا وجدي لتلك الأربع
لحمائم فوق الأراكة سُجّع
فطفقت أظفي جمره بالأدمع
لحشاشة ذابت بسّم منقع
من سم «جعدة» في حشى متقطع
غصصاً تشيب لها نواصي الرّضع
ومؤمل نحو المطامع مُسرع
منهم ومن شتم الوصي بمسمع
صبراً لكاسات الرّدى متجرع
عانٍ إلى أمر «الدّعِي ابن الدّعِي»
بحشى كظيم منهم متوجّع

ولجده جاؤا به ليجددوا
«فأتت على بغلٍ» تمنع دفنه
بيت النبي على «فلان» موسع
فأتى الحسين إلى «البقيع» بنعشه
حتى إذا وراه هاج به الأسى
ويقول والأشجان تملأ صدره
وانصاع يرثيه بلوعة ثاكل
أأخي لا يحلو لعيني مجلس
بالمصطفى المختار عهد مودع
لم لا «أباها» قبل ذا لم تمنع
وعلى الزكي يكون غير موسع
والحزن يسعر منه بين الأضلع
فغدا يخطُّ ترابه بالإصبع
ويئن أنه واله مُتَفَجِّع
تبدو عليه كآبة المسترجع
ويطيب لي إن لم تكن فيه معي

عند سدرۃ المنتهى



الحسن وما أدراك من هو

الحسن؟!

إنه المذكور في كتاب الله

الحكيم^(١).

وذكره الحبيب المصطفى ﷺ وأخيه الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

هو وأخيه عليه السلام: «سيد شباب أهل الجنة»^(٣).

وهو المجتبي، والسبط، وريحانة المصطفى، والتقي، والزكي،

والولي، والوزير، والقائم، والحجة، الأمين، والبر، والأثير، والزاهد^(٤).

(١) في مواطن كثيرة منها: آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وسورة الدهر، وغيرها.

(٢) في المئات من الأحاديث، منها: حديث الثقلين المتواتر المشهور عند كل الفرق الإسلامية بطرقه المختلفة.

(٣) رواه من الخاصة: الصدوق في الأمالي، والمفيد في الأمالي، والطوسي في الأمالي، والطبرسي في الاحتجاج ومن العامة ذكره: أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والنسائي في فضائل الصحابة، والحاكم الحسكاني في المستدرک على الصحيحين، وابن أبي شيبه في المصنف وغيرهم الكثير..

(٤) انظر: الطبري في دلائل الإمامة: ص / ١٦٣، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ج / ٣، ص / ١٩٢، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج / ٤٤، ص / ١٣٥، باب / ٢٢، والحسين بن حمدان في الهداية الكبرى: ص / ١٨٣.

سيدي يا أبا محمّدة: لعلي فرحت حينما دونت عن حياتك ومظلوميتك في هذه الأوراق؟

ماذا صنعت، وماذا كتبت، وماذا لملت من هنا وهناك؟

كنت أفكر أنني بهذا العمل هو أن أؤدي بعضاً من حقوق الإمامة والولاية المفروض عليّ طاعته، ولكن أني لي أن أصِل إلى كنه معرفتك والوغول إلى جلالك وجمالك ورياضك المترعة.

لقد عشت شهوراً بين أكداس التأريخ وصفحاته أبحث عن كلّ شاردة وواردة، علّني أحصل على جواب شافٍ لما قدمته لهذه الأمة المرحومة وأنت تقودها بعلمك الزباني إلى ساحل النجاة، وتحجم عن إهراق ملء محجمة دماً.

يا للكوثر المهذور ظلماً وعدواناً، وأنا أنظر إلى سيول الدماء التي تهراق باسم الدين والتوحيد من الفئات الضالة المتسرّبة بشباب الإسلام، وهي تقوم بوظيفة قتل شيعتكم ومواليكم بالنيابة عن أمريكا وبريطانيا وإسرائيل.

يا للعار ويا للهزيمة لهذه الأمة التي مارعت حرمة نبيها في عترته.

وأنت يا سيدي أيها الممتحن، الحق كلّ الحق بما تمثله من امتداد لرسالة جدك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ولم ترصّ أن يُهراق من أجلك قطرة دم لإنسانٍ مسلمٍ موحّد.

يا لإنسانيتك ونبلك وغيرتك وشرفك.

أيها المقتول بيد أولاد الزواني والعواهر والطلقاء.

وها أنا يا سبط الحبيب، جئت استجديك علني أحظى بصدقة من
يديك الكريمتين تتصدق بها على هذا العبد الأبق الجاني لتنقذه من برائث
الشياطين والمردة.

وأنت أيها المسموم: باب للوجود والكرم والعطاء الغزير، وهل ينفد
الكوثر من خيره؟

وها أنا ذا يا سيدي: أرفع بضاعتي المزجاة لساحة قدسك، علك تنظر
نظرة عطف واسترحام إلى هاتين اليدين المرتجفتين وتقبل منهما هذه
البضاعة، فتصدق يا سيدي بجلودك ومثك وكرمك وإحسانك وعطفك إن
الله يجزي المتصدقين.

وها أنا يا سيدي: رحلت بعيداً جداً، ولم التجئ إلا إلى بابك
وحصنك، حيث عدت أدراجي طمعاً لما أعددت له لمحبيك واللاجئين إلى
حصنك، أيها الشفيق المرتجى، يا وصي رسول الله وخليفته في أرضه،
وحجته على عباده، يا سيدنا ومولانا، إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك
إلى الله وقدمناك بين يدي حوائجنا، يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله.

ما خاب من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقة
أو لست القائل:

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجهه من يسأل
لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل؟

يا عزيز قلب الزهراء فاطمة ؑ:

أنا لست أقل من ذلك الأعرابي الذي جاء إليك برقعة وخاطبك بها:
 لم يبق عندي ما يُباعُ بدرهم يكفيك رؤية منظري عن مخبري
 إلا بقايا ماءٍ وجهِ صنته أفلا أبيع وقد وجدتكَ مشتري
 فيا سيدي يا حبيب المصطفى، اشفع لجميع مواليك ومحبيك
 والبالذلين ما لديهم في سبيل إظهار مظلوميتك ونصرتك، فإن لم نكن أهلاً،
 فأنت أهل لذلك.

وإن لم نكن معك في حياتك، فها نحن مؤمنون بما جئت به من رسالة
 جدك الحبيب المصطفى وأبيك المرتضى وأمك الزهراء.
 وها نحن نقف في الصف الذي أنت فيه قائداً، إماماً مظلوماً على مر
 التاريخ، وها هم أولئك المعاندون الذين وقفوا مع أبناء آكلة الأكباد،
 يظهرون من جديد ويقاتلون من أجل إطفاء أنواركم الإلهية: «ويأبى الله إلا
 أن يتم نوره ولو كره المشركون».

وكتب خادم تراب زائريك
 عبد الرسول الموسوي الكاظمي
 ليلة النصف من شعبان/ عام ١٤٣٤ هـ
 من جوار حرم مولانا زينب الكبرى
 عقيلة الهاشميين ولبوة الطالبين
 صلوات الله وسلامه عليها

مصادر الكتاب

(أ)

- ١- الاحتجاج - للطبرسي
- ٢- الاختصاص - محمد بن محمد النعمان
- ٣- الاستيعاب - ابن عبد البر القرطبي
- ٤- الأربعين حديثاً - متجب الدين الرازي
- ٥- الإرشاد - محمد بن محمد بن النعمان المفيد
- ٦- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ العسقلاني
- ٧- أعلام الدين - محمد بن الحسن الديلمي
- ٨- أعلام الوري بأعلام الهدى - الطبرسي
- ٩- أعيان الشيعة - محسن الأمين
- ١٠- الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني
- ١١- الأمالي - الصدوق
- ١٢- أحمد معتوق - شرح الأزرية
- ١٣- أحكام القرآن للجصاص
- ١٤- الأخبار الطوال - للدينوري
- ١٥- أسباب النزول - الواحدي النيسابوري
- ١٦- أسس التقدم عند مفكري الإسلام - الدكتور فهمي جدعان

- ١٧- اقبال الأعمال - علي بن موسى بن طاووس
 ١٨- الألفين - علي حيدر المؤيد
 ١٩- الأمالي - محمد بن محمد النعمان
 ٢٠- الإمام الحسن بهجة قلب المصطفى - أحمد الرحماني الهمداني
 ٢١- الإمام الحسن القائد والتاريخ - فؤاد الأحمد
 ٢٢- الإمام الحسن القائد والأسوة - الشيخ حسين سليمان
 ٢٣- الإمامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري
 ٢٤- انجيل متى
 ٢٥- انجيل يوحنا
 ٢٦- الانتصار - للعاملي
 ٢٧- الأنوار البهية - عباس القمي
 ٢٨- الأنوار القدسية - محمد حسين الكمباني

(ب)

- ٢٩- بحار الأنوار
 ٣٠- البدء والتاريخ - أحمد بن سهل البلخي المقدسي
 ٣١- بشارة المصطفى
 ٣٢- بشارات الأسفار بمحمد وآله الأطهار
 ٣٣- بصائر الدرجات - ابن فروخ الصّفار
 ٣٤- بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصّفار
 ٣٥- بطل العلقمي - عبد الواحد المظفر
 ٣٦- بلاغة الإمام الحسن - عبد الرضا الصّافي

٣٧- البيان والتبيين - لأبي عمرو الجاحظ

(ت)

٣٨- تاج الموالي - العلامة الطبرسي

٣٩- تاريخ الأمة العربية - محمد أسعد طلس

٤٠- تاريخ الأمم والملوك - الطبري

٤١- تاريخ الخلفاء - للسيوطي

٤٢- تاريخ دمشق - ابن عساكر

٤٣- تاريخ الإسلام السياسي - حسن إبراهيم

٤٤- تاريخ اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي

٤٥- التبيان في شرح ديوان المتنبي - عبداه الحنبلي

٤٦- تحف العقول - ابن شعبة الحراني

٤٧- تذكير الخواص - سبط ابن الجوزي

٤٨- التفسير - الإمام العسكري

٤٩- تفسير ابن أبي حاتم

٥٠- تفسير الإمام الحسن العسكري

٥١- تفسير البيان - للطوسي

٥٢- تفسير الثعلبي

٥٣- تفسير جامع البيان - للطبري

٥٤- تفسير فرات الكوفي

٥٥- تفسير الفخر الرازي

٥٦- تفسير الدر المنثور - السيوطي

- ٥٧- تفسير العز بن عبد السلام
 ٥٨- تفسير النقي
 ٥٩- تفسير القرطبي
 ٦٠- تفسير القمي - علي بن إبراهيم
 ٦١- تنوير المقباس - عبد الله بن عباس
 ٦٢- تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني
 ٦٣- تهذيب الأحكام - الطوسي
 ٦٤- تهذيب تاريخ دمشق - ابن عساكر
 ٦٥- تهذيب الكمال - للمزي

(ث)

- ٦٦- الثاقب في المناقب - ابن حمزة الطوسي

(ج)

- ٦٧- جامع أحاديث الشيعة - البروجردي
 ٦٨- جامع البيان - للطبري
 ٦٩- جمال الأسبوع - علي بن موسى بن طاووس
 ٧٠- الجمع بين الصحيحين - للحميدي
 ٧١- جمهرة خطب العرب - أحمد زكي صفوة
 ٧٢- جنات الخلود - محمد رضا الإمامي الخاتون آبادي
 ٧٣- الجوهرة في نسب الإمام علي - للبري
 ٧٤- الجواهر السننية - الحر العاملي
 ٧٥- جواهر المطالب - للباعوني الشافعي

(ح)

- ٧٦- الحسن بن علي ريحانة رسول الله - زينب محمد عيسى العاملي
 ٧٧- الحسن بن علي - كامل سليمان
 ٧٨- حياة الحيوان - محمد بن موسى الدميري
 ٧٩- حلية الأولياء - أبو نعيم الأصفهاني
 ٨٠- حليم آل البيت - موسى محمد علي المصري
 ٨١- حياة الإمام الحسن - باقر شريف القرشي
 ٨٢- حياة الإمام الرضا - جعفر مرتضى العاملي
 ٨٣- الحياة السياسية للإمام الحسن - جعفر مرتضى العاملي

(خ)

- ٨٤- الخرائج والحرائج - قطب الدين الراوندي
 ٨٥- الخلفاء الراشدين - عبد الرسول الموسوي «مخطوط»

(د)

- ٨٦- الدرر المكنونة في الإمام والإمامة - حسن الطباطبائي

الميرجهاني

- ٨٧- در بحر المناقب - ابن حسنويه الحنفي الموصلية
 ٨٨- دعائم الإسلام - القاضي النعماني
 ٨٩- الدعوات - قطب الدين الراوندي
 ٩٠- دعوات الراوندي - سعيد بن هبة الله الراوندي
 ٩١- دلائل الإمامة - للطبري
 ٩٢- دلائل الصديق - محمد حسن المظفر

(ذ)

٩٣- ذخيرة المآل - العلامة العجيلي

٩٤- الذرية الطاهرة - الدولابي

(ر)

٩٥- ربيع الأبرار - الزمخشري

٩٦- الرسالة القشيرية - عبد الكريم النيشابوري الشافعي «ت/ ٤٦٥»

٩٧- روضة الشهداء - حسين واعظ

٩٨- روضة الكافي - محمد بن يعقوب الكليني

٩٩- روضة الواعظين - الفتال النيسابوري

١٠٠- الرياض النضرة - محب الدين الطبري

(س)

١٠١- سر السلسلة العلوية - أبو نصر البخاري

١٠٢- السلسلة الصحيحة - للألباني

١٠٣- السنن ابن ماجه

١٠٤- سنن الترمذي

١٠٥- سنن النسائي

١٠٦- السنن الكبرى - البيهقي

١٠٧- السياسة الملتزمة في نهج الإمام الحسن - السيد محمد الموسوي

١٠٨- السياسة من واقع الإسلام - صادق الشيرازي

(ش)

١٠٩- شرح إحقاق الحق - المرعشي النجفي

١١٠- شرح الأخبار - القاضي النعمان المغربي

- ١١١- شرح التجريد- للعلامة القوشجي
 ١١٢- شرح مفاتيح الجنان- محمد هويدي
 ١١٣- شرح مسلم- للنووي
 ١١٤- الشريعة- للأجري
 ١١٥- الشفا بتعريف حقوق المصطفى- القاضي عياض
 ١١٦- شواهد التنزيل- الحاكم الحسكاني
 ١١٧- شيخ المضيرة- محمود أبو رية المصري
 ١١٨- الشيعة والحاكمون- محمد جواد مغنية

(ص)

- ١١٩- صحيح ابن حبان
 ١٢٠- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج
 ١٢١- الصلح بين الإمام الحسن ومعاوية- حسن المصطفوي
 ١٢٢- صلح الإمام الحسن- راضي آل ياسين
 ١٢٣- الصواعق المحرقة-

(ط)

- ١٢٤- الطبقات الكبرى- ابن سعد

(ع)

- ١٢٥- العدد القوية- علي بن يوسف الحلبي
 ١٢٦- العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسي
 ١٢٧- عقائد الإمامية- محمد رضا المظفر
 ١٢٨- العقائد النسفية- لسعد الدين التفتزاني

- ١٢٩- عقيدة الشيعة المستشرق دوايت م.
 ١٣٠- علل الشرائع- الصدوق
 ١٣١- عوالم العلوم- عبد الله البحراني
 ١٣٢- عوالي اللآلي- ابن أبي جمهور الإحسائي

(غ)

- ١٣٣- غاية المرام- السيد هاشم البحراني
 ١٣٤- الغارات- إبراهيم بن هلال الثقفى
 ١٣٥- الغيبة- للنعماني
 ١٣٦- الغيبة- للشيخ الطوسي

(ف)

- ١٣٧- الفائق في غريب الحديث- الزمخشري
 ١٣٨- فرائد السمطين- للحمويني
 ١٣٩- الفرج بعد الشدة- للتنوخي
 ١٤٠- الفصول المختارة- محمد بن النعمان المفيد
 ١٤١- الفصول المهمة- ابن الصباغ المالكي
 ١٤٢- فيض القدير- للمناوي محمد بن عبد الرؤوف

(ق)

- ١٤٣- قادتنا كيف نعرفهم- السيد هادي الميلاني
 ١٤٤- قيسات من نور الإمام الجواد- حسن الشمري الحائري
 ١٤٥- القرآن الكريم
 ١٤٦- قرب الإسناد- أبو العباس عبد الله الحميري القمي
 ١٤٧- قوت القلوب- أبو طالب المالكي المكي «ت/٣٨٠هـ»

(ك)

- ١٤٨- كامل الزيارات
 ١٤٩- الكامل في التاريخ- ابن الأثير الجزري
 ١٥٠- الكافي- محمد بن يعقوب الكليني
 ١٥١- كتب وشخصيات- السيد قطب
 ١٥٢- كشف الغمة- علي بن عيسى الإربلي
 ١٥٣- كفاية الأثر- علي بن محمد الخزاز القمي
 ١٥٤- كفاية الطالب- الكنجي الشافعي
 ١٥٥- كلمة الإمام الحسن- حسن الشيرازي
 ١٥٦- كنز العمال- المتقي الهندي

(ل)

- ١٥٧- لسان العرب- ابن منظور

(م)

- ١٥٨- المبسوط- للسرخسي
 ١٥٩- المجتبى- علي بن موسى بن طاووس
 ١٦٠- المجتبى بين وميض الحروف ووهج القافية- «ملتقى القطيف

الثقافي»

- ١٦١- مجمع الأمثال- أحمد بن محمد بن أحمد الميداني
 ١٦٢- مجمع البحرين- فخر الدين الطريحي
 ١٦٣- مجمع الزوائد- للهيتمي
 ١٦٤- المجموع- النووي

- ١٦٦- مجموعة ورام- ورام بن أبي فراس
- ١٦٧- المحاسن والأضداد- الجاحظ أبو عمرو
- ١٦٨- المحاسن والمساوي- البيهقي الشافعي
- ١٦٩- المحاسن والمساوي- للجاحظ أبو عمرو
- ١٧٠- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر- محمد بن مكرم بن منظور
- ١٧٢- مدينة المعاجز- السيد هاشم البحراني
- ١٧٣- مرآة العقول- محمد باقر المجلسي
- ١٧٤- مرآة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح- الملا علي القاري
- ١٧٥- مروج الذهب ومعادن الجوهر- علي بن الحسين المسعودي
- ١٧٦- مسار الشيعة- محمد بن محمد النعمان
- ١٧٧- المستطرف من كل فن مستظرف- الأبيهي
- ١٧٨- مستدرك سفينة البحار- علي النمازي الشاهرودي
- ١٧٩- مستدرك وسائل الشيعة- الميرزا حسين التوري
- ١٨٠- المستدرك على الصحيحين
- ١٨١- المسند- أبو داود الطيالسي
- ١٨٢- المسند- أبي يعلي الموصلي
- ١٨٣- المسند- أحمد بن حنبل
- ١٨٤- المصباح- للكفعمي
- ١٨٥- المصنف- ابن أبي شيبة
- ١٨٦- معالي السبطين- مهدي المازندراني الحائري
- ١٨٧- معاني- للنحاس

- ١٨٨- معاني الأخبار- الصدوق
 ١٨٩- المعجم الأوسط- للطبراني
 ١٩٠- معجم البلدان- ياقوت الحموي
 ١٩١- المعجم الكبير- للطبراني
 ١٩٢- المغني- ابن قدامة
 ١٩٣- من حياة الإمام الحسن- السيد محمد الشيرازي
 ١٩٤- مناقب أمير المؤمنين- أحمد بن حنبل
 ١٩٥- مناقب آل أبي طالب- ابن شهر آشوب المازندراني
 ١٩٦- مناقب الصحابة- أحمد بن حنبل
 ١٩٧- المناقب- للخوارزمي
 ١٩٨- المنتخب- فخر الدين الطريحي
 ١٩٩- منتهى الآمال- عباس القمي
 ٢٠٠- منهاج الأصول- للقاضي البيضاوي
 ٢٠١- منية المرید - الشهيد الثاني
 ٢٠٢- مقاتل الطالبين- أبو الفرج الأصفهاني
 ٢٠٣- مقتل الحسين- الحافظ الخوارزمي
 ٢٠٤- الملاحم والفتن- السيد ابن طاووس
 ٢٠٥- ملحقات إحقاق الحق- المرعشي النجفي
 ٢٠٦- مهج الدعوات- علي بن موسى بن طاووس
 ٢٠٧- موسوعة سيرة أهل البيت- باقر شريف القرشي
 ٢٠٨- موسوعة الأنوار- أحمد بن عزيز الفالي

(ن)

- ٢٠٩- ناسخ التواريخ - ميرزا محمد تقي سبهر لسان الملك
 ٢١٠- النصائح الكافية - محمد بن عقيل الحضرمي
 ٢١١- نظم درر السمطين - الزرندي الحنفي
 ٢١٢- النقض - الشيخ عبد الجليل القزويني
 ٢١٣- نور الأبصار - الشبلنجي الشافعي
 ٢١٤- نور الثقلين تفسير - العروسي الحويزي

(هـ)

- ٢١٥- الهداية الكبرى - الحسين بن حمدان الخصيبي

(و)

- ٢١٦- وسائل الشيعة - الحر العاملي
 ٢١٧- وفاة الحسن بن علي - محمد آل سيف الخطي
 ٢١٨- وفيات الأعيان - شمس الدين ابن خلكان



فهرس المحتويات

٥	شكر وامنتان.....
٧	الإهداء.....
١١	سُفْنُ النَّجَا.....
١٣	صلاة دائمة.....
١٥	المقدمة.....
١٧	البطاقة الشخصية.....

٢٣	الفصل الأول.....
٢٨	- ولادته المباركة.....
٣١	- من آداب المولود في الإسلام.....
٣٧	- الإمام الحسن من شجرة الجنة.....
٣٩	- النصوص على إمامته.....
٤٣	- دلالة إمامته.....
٤٥	- الإمام السبّط في القرآن الحكيم.....
٥٨	- السبّط الأكبر في أحاديث جدّه المصطفى ﷺ.....

٦٩	الفصل الثاني.....
٧١	- السبّط الأكبر: في مدرسة النبوة.....
٨٥	- السبّط الأكبر: أخلاقه وسجاياه.....
٩٤	- السبّط الأكبر: في زهده وعبادته.....

- ٩٧ - السبب الأكبر: زوجاته وأبناءه
- ١٢١ - السبب الأكبر: ومظلوميته مع طلقاء آل أبي سفيان
- ١٣٩ - السبب الأكبر: وإيذاء أبناء الطلقاء له

١٤٥ الفصل الثالث

- ١٤٧ - عودٌ على بدء
- ١٦٦ - من هو معاوية
- ١٧٣ - من هو حبر الأمة
- ١٧٥ - رسائل الإمام وتعبثته للجيوش
- ١٨٥ - تخلف الناس واختلاف كلمتهم
- ١٩٠ - مظلوم التاريخ وخيانة ذوي القربى
- ٢٠٣ - وقفة مع العلامة المظفر قدس سره
- ٢١٥ - وقفة مع المجدد الشيرازي قدس سره

٢٢١ الفصل الرابع

- ٢٢٢ - من جرائم بسر بن أرطاة
- ٢٣٥ - لمحة من سياسة معاوية
- ٢٣٩ - وجاء يوم الصلح
- ٢٧٠ - مظلوم التاريخ
- ٢٩٠ - ودنت ساعة الرحيل
- ٢٩٦ - وصايا خالدة
- ٣١٢ - وحان موعد الرثاء

٣٢١ الفصل الخامس

- ٣٢٢ - القول الحسن في المأثور عنه صلوات الله عليه
- ٣٢٣ - ذوق الإمام الحسن ع في الشعر

- من أدب الدعاء ٣٤٧
- بعض من احتجاجاته ~~عليه~~ ٣٥٥
- الأنوار السنّية في المعاجز الحسنية ٣٦٠
- الذّئاب العاوية من جرائم معاوية ٣٧٣
- البدر السنّي من أدب الرّثاء الحسني ٤٠٦
- عند سدره المنتهى ٤١٦
- مصادر الكتاب ٤٢١
- فهرس المحتويات ٤٣٣



ما نشره المركز الثقافي الحسيني

في القضايا الحسينية وما يمت لها بصلة
لسماحة السيد عبد الرسول الموسوي الكاظمي

- ١- كربلاء وعاشوراء: (طهران: ١٩٩٠م).
- ٢- هل أتاك حديث العباس: (قم المقدسة: ١٩٩٥).
- ٣- العقد الفريد في معاجز الإمام الشهيد: (قم المقدسة: ١٩٩٥م).
- ٤- باقة عطرة من حياة أم البنين: (طهران: ١٩٩٧م).
- ٥- حدثني عن الحسين عليه السلام: (دمشق: ٢٠٠١م).
- ٦- عاشوراء ومحدثوا السنة: (بيروت ط ١/٢٠٠٣م، ط ٢/٢٠٠٤م).
- ٧- دماء الأشجار في مصائب أبي الأحرار عليه السلام: (بيروت: ٢٠٠٣م).
- ٨- ثقافة عاشوراء في رؤى المرجعية الرشيدة: (بيروت: ٢٠٠٤م).
- ٩- أربعون حديثاً في فضائل البكاء على الإمام الحسين عليه السلام: (بيروت: ٢٠٠٠م).
- ١٠- الانتصار لمراكب الأنصار: (بيروت: ٢٠٠٥م).
- ١١- عاشوراء في الكتاب والسنة: (بيروت: ٢٠٠٦م).
- ١٢- رؤى مسيحية في الإمام الحسين عليه السلام: (بيروت: ٢٠٠٨م).
- ١٤- الإمام الحسين عليه السلام كل شيء: (بيروت: ٢٠١٢م).
- ١٥- نحن نسأل والإمام الحسين عليه السلام يجيب: (بيروت: ٢٠١٢م).

وأما المؤلفات المخطوطة:

- ١٦- الحقائق الزينية: رؤية جديدة ودراسة عن حياة السيدة زينب عليها السلام.
- ١٧- فقهاؤنا: فتاواهم وآراؤهم الفقهية في مسيرة الدماء يوم عاشوراء.
- ١٨- لواعج الشجن في مراسم عرس القاسم بن الحسن عليه السلام أو (عرس الشهادة).
- ١٩- المهرجان في القصائد الحسينية.

وغير ذلك من المؤلفات المطبوعة للمؤلف في مناسبات مختلفة صدرت من المركز الثقافي الحسيني لمزيد الاطلاع، أو الدعم المادي: تبرعاً، أو إهداءً، أو رد مظالم وما أشبه، الاتصال على العناوين والأرقام التالية: جمهورية العراق - كربلاء المقدسة - حوزة شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام - ديوان الإمام الشيرازي
دام ظله: هاتف ٧٨٠١٠٧٤٤٨٦ / ٧٧٠٩٤٣٥٤٤٤ - ٠٠٩٦٤ / ٧٧٠٩٤٣٥٤٤٤

الكاظمية المقدسة: مؤسسة عبد الله الرضيع الثقافية:
هاتف: ٧٥٠٦٧٣٩٤٣٠ / ٠٠٩٦٤ (حيدر الكاظمي)

بغداد: ٧٧٢٢٢٩٣٠٠٧ / ٠٠٩٦٤ (أحمد عبد الجليل البغدادي).

تنويه للقراء الأعزاء

المركز الثقافي الحسيني، تأسس في بلاد المهجر والاعتراب سنة (١٩٨٥م) وهو مركز ثقافي خيرى غير انتفاعي، هدفه نشر الثقافة الحسينية الهادفة وترويج الشعائر الحسينية المقدسة (تحت نظر مرجعية الإمام المجدد المظلوم آية الله العظمى الشهيد السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره القدوسي)، وجميع منشوراته تطبع وتوزع مجاناً في سبيل الله من هدايا وتبرعات ورد مظالم العباد من قبل المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها، ويصل الكتاب المطبوع إلى أقطار الأرض ليتنفع منه المؤمنون.

نسأل الله العليّ القدير أن يأخذ بأيدي المؤمنين الغيارى أن يدعموا هذا المركز الحسيني بما تجود به أنفسهم وأيديهم الكريمة، للوقوف سداً منيعاً أمام ترويج الأفكار الوهابية والإخوانية وكل من يسير في دوائر الصهيونية التي غزت العالم الإسلامي، ولرفع راية سيد الشهداء عليه السلام خفاقة في أرجاء المعمورة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

صدق الله العلي العظيم